المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني

دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة
تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث
(تخصص التفسير وعلوم القرآن)
الرقم الجامعي/٤٢٥٨٠٢٩٠

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور/عبد العزيز عزت

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الداعي إلى بابه، الموفق من شاء لصوابه، أنْعمَ بإنزال كتابه، يتكلم سبحانه بكلامٍ يَجلّ أن يشابه كلام المخلوقين ويَبعُد، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وهو الذّكْر الحكيم، والنور المبين، أحْمده على الهدى وتيسير أسبابِه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من عقابه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل الناس عِلماً وعملاً في ذهابه وإيابه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فإن من أعظم الخير أن يَسعد المسلم بخدمة كتاب الله، فينعم بتلاوته وتأمّله وتذوق أسلوبه، وهذا خيرُ ما يَبذل فيه المسلم وقته وجهده، ويصرفُ إليه همّته، ويجولُ فيه فِكْره وقلمه، فإن كتابَ الله منبع العلوم، أودع الله فيه علم كل شيء، فاستمد منه أصحاب كل علمٍ علمهم، واجتهد العلماء في تفسيره وبيانه وتوضيحه، فهو كتابُ الله المعجَز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزّلت آياته على العرب وفيهم الشعراء والخطباء وهم أهل الفصاحة والبيان، فآمن منهم من كان يبتغي الحق، إذ تيقن أن هذا ليس بكلام بشر، وأما من أخذته العزة بالإثم فقد بقي على كفره وأصرّ على ضلاله، ومع ذلك فقد كتب الله لدينه أن ينتشر، ولكلامه أن يخالط القلوب وينير الدروب، ويُذهل ببلاغته أرباب البلاغة، ويُدهش بفصاحته أساطين الفصاحة، وإن من أعظم مظاهر إعجازه البياني ذلك التشابه العجيب بين كثير من آياته، فقد تتشابه الآيتان أو الثلاث، أو أكثر من ذلك في بعض ألفاظها، وتختلف نظماً بتقديم وتأخير، أو بإفراد وجمع، أو بذكر وحذف، وغير ذلك، فيشبه بعضه بعضاً في الصدق والإعجاز، وإقامة الحجة على المعاندين.

ثم إن من توفيق الله أن جعلني إحدى المشتغلات بعلم من علوم القرآن وفن من فنونه وهو علم المتشابه اللفظي، **والذي دعاني لاختياره أسباب عدة:**

أولا: أني عندما كنت أحفظ القرآن الكريم كانت تمر بي آيات متشابهة في اللفظ، مختلفة في كلمة أو أكثر، مما كان يؤدي بي إلى الخلْط وعدم الفصل بين الآيات المتشابهات، وكلما زاد عدد الأجزاء والسور التي أحفظها كلما زاد هذا الخلط، ولم أستطع إتقان الحفظ إلا بعمل موازنة بسيطة بين الآيات كتبتها لنفسي وأنا في المرحلة المتوسطة، وكنت أبحث عن سبب هذه الفروقات الدقيقة بين الآيات في كتب التفسير فحصلت على بعض الإجابات، ثم شاء الله لي أثناء دراستي للسنة المنهجية أن علمت بتقدم الأستاذ فهد الشتوي برسالة عالج فيها المتشابه في آيات قصة موسى عليه السلام، فأحببت الموضوع على الفور ورغبت بشدة في التسجيل فيه وعرضت الفكرة على أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت قبل أن يصبح مشرفاً لي على الرسالة فشجعني وحرص على تسجيل الموضوع لي.

ثانيا: أن لهذا الموضوع أهمية في الرد على أعداء الإسلام الذين اتخذوا من تشابه الآيات وتكرارها مدخلا ملتويا للطعن والتشهير بكتاب الله، فهو قامع لشبهات الذين أُظلمت قلوبهم وأغلقت عقولهم، يرد باطلهم، ويبيّن جهلهم وزيغهم.

ثالثا: جمع ما تناثر، وضم ما تفرق في باب المتشابه اللفظي في قصص أنبياء الله نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام من كتب المتشابه اللفظي، والوجوه والنظائر، وعلوم القرآن ومعانيه، وإعرابه، وتفسيره، وكتب اللغة والمعاجم والشعر.

رابعا: أن هذا الموضوع معين على التدبر في كتاب الله وتأمل آياته ومعانيه، فكتاب الله نزل ليُتدبر ويُعمل به، ولم ينزل للقراءة فقط.

وقد كانت رسالتي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام لما فيها من العبر والمواعظ والتي ثنيت بسببها في القرآن مراراً، ولما فيها من وفرة المتشابه مع تعدد ذلك في سور وسياقات مختلفة.

ولقد واجهتني صعوبات في هذا البحث ترجع إلى أسباب عدة:

أولا: طبيعة البحث لكونه فن دقيقٌ من فنون التفسير.

ثانيا: أن المتشابه يحتاج في توجيهه ومعرفة أسبابه النظر إلى علوم عديدة كأصول الدين والنحو والبلاغة وغيرها، مما يحتم على الباحث فيه أن يطلع على هذه العلوم، وهنا تكمن الصعوبة.

ثالثاً: أن كتب توجيه المتشابه قليلة جداً، وهي مع قلتها لم تتناول جميع المتشابه في القصص التي درستها، إضافة إلى أن بعض توجيهات هذه الكتب كانت توجيهات ضعيفة غير مرضية لي.

مما دعاني إلى محاولة بذل الجهد والسعي في جمع شتات المسائل من مظانّها ومن غير مظانّها من متفرقات المصنفات، وهذا مما أضاف إلى صعوبة الموضوع، ولولا هداية الله وتوفيقه لما اهتديت لشيء أبداً.

وعنوان هذه الرسالة: أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، دراسة نظرية تطبيقية.

وتشمل خطة هذه الرسالة على ما يلي: مقدمة وقسمين وخاتمة.

وهذه هي المقدمة، أما القسمان،

فالأول: الدراسة النظرية: علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأثر السياق في توجيهه، وتنقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: المتشابه اللفظي في القرآن،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المتشابه، والمتشابه اللفظي، ومعناه والمراد به في القرآن الكريم.

وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة، واصطلاحا، ومعناه والمراد به في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أنواع المتشابه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أهمية المتشابه وفوائده.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أهمية علم المتشابه اللفظي.

المطلب الثاني: فوائد علم المتشابه اللفظي.

الفصل الثاني: السياق،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا، ودلالته:

وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول: السياق لغة.

المطلب الثاني: السياق اصطلاحا.

المطلب الثالث: دلالة السياق.

المبحث الثاني: أصل القول بالسياق من سنة النبيﷺ وأقوال الصحابة رضـــي الله عنهم.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أصل القول بالسياق من سنة النبيﷺ

المطلب الثاني: ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من اعتبار السياق.

المبحث الثالث: عناية العلماء بالسياق وأهميته.

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: عناية العلماء بالسياق.

المطلب الثاني: أهمية السياق.

المبحث الرابع: أركان السياق وأنواعه:

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أركان السياق.

المطلب الثاني: أنواع السياق.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية:

وتشتمل على:

قصة نوح عليه السلام.

وقصة هود عليه السلام.

وقصة صالح عليه السلام.

وقصة شعيب عليه السلام.

وتشتمل على: موازنة بين القصص السابقة في المتشابه اللفظي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس: ذيّلت البحث بكشافات للآيات المتشابهات، والآيات المستشهد بها، والأحاديث، والآثار، والأعلام، والأماكن، والأشعار، ودليل للمراجع، وآخر للموضوعات.

منهجي في البحث:

١-عزوت الآيات بالأرقام إلى سورها، واعتمدت الرسم العثماني في كتابة جميع الآيات، المتشابه منها، والمستشهد بها، والمنقول من المصادر.

٢-خرجت الأحاديث النبوية.

٣-عرفت الأعلام الذين وردت أسماؤهم في المتن، بدون أن أشير إلى مَن سبقت ترجمته، مُكتفية بكشاف الأعلام.

٤-عند حذف شيء من النص لا يقتضيه المقام وضعت مكانه نقاطاً "....." ، وعند إضافة توضيحٍ للنص وضعته بين قوسين (   ).

٥-ما نقلته من كلام غيري وضعته بين علامتي تنصيص "   "، وقد أضعه بين هاتين العلامتين في أثناء كلامي دون الإشارة إلى أنه منقول من غيري حتى لا يختل سبك الكلام، ثم أشير إلى قائله في الحاشية.

٦-عند نقل نص بالتلخيص أو بالمفهوم أكتب في الحاشية كلمة: (ينظر).

٧-كتبت المراجع في الحاشية بلا تفصيل، بل ذكرت تفاصيلها في دليل المراجع.

٨-قدمت بمقدمة في افتتاح الدراسة التطبيقية تبين منهجي فيها، لأن وجوده هناك أنسب فهو كالمفتاح الذي يفتح بابها.

وأخيرا فإني أتقدم بالشكر الوافر بعد شكر الله عز وجل لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود، الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، والذي كان لي مشرفا كريما وأستاذا فاضلا، فقد كان نعم المشرف، أعطاني من وقته الكثير، ولم يبخل عليّ بعلمه وتوجيهه، فأشكره على ما قام به من توجيه ومتابعة وتقويم، وجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

كما أشكر كل من ساعدني في هذا البحث برأي أو تقويم أو توجيه أو دلالة على كتاب أو غير ذلك، من أساتذة أو أخوات عزيزات قدمن لي العون عندما كنت في حاجة إليه، وأخص منهم فضيلة الدكتور الشيخ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض، جامعة الملك سعود، والدكتورة فائقة الحسني، الأستاذة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، على إفادتها لي في هذا الموضوع من مشورةٍ وإعارةٍ لكتب، فجزاهما الله خير الجزاء.

وقد كان من تيسير الله أن هيأ لهذا البحث مناقشَين فاضلين من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى هما الأستاذ الدكتور محمد بن عمر بازمول، والأستاذ الدكتور عبد القيوم بن عبد الغفور السندي حفظهما الله، فلهما جزيل الشكر على تفضلهما بقراءة الرسالة وموافقتهما على مناقشتي فيها.

كما أود أن أقدم شكراً خاصاً لزوجي الأستاذ أحمد بن عمر باحويرث، الذي قدّم لي دعماً كاملاً، ومكّنني من التفرغ لدراستي، وكان لي نِعْم المعين بعد الله عز وجل، فله بالغ شكري وعظيم امتناني.

وبعد:

فإني أرجو أن أكون قد وفّيت هذا الموضوع بعض حقه، هذا وإن عمل ابن آدم لا يخلو من الخطأ والزلل، فما كان في هذا البحث من صواب فهو من فضل الله وله الحمد أولاً وآخرا، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي، أسأل الله أن لا يحرمني أجر المجتهدين، والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول

الدراسة النظرية

وفيها فصلان

الفصل الأول: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

الفصل الثاني: السياق

الفصل الأول: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي، ومعناه والمراد به في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أهمية المتشابه وفوائده

المبحث الأول: تعريف المتشابه

وتحته ثلاث مطالب

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: تعريف المتشابه في القرآن الكريم

المطلب الثالث: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة، واصطلاحا، ومعناه والمراد به في القرآن:

المتشابه لغة:

قال الجوهري [١]– رحمه الله – :" شِبه و شَبه لغتان بمعنىً... والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات."[٢]

وقال ابن فارس [٣]–رحمه الله–:" الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكُله لوناً ووصفاً، يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشبَه من الجوهر الذي يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور المشكلات، واشْتَبه الأمران إذا أشكلا."[٤]

وقال الراغب الأصفهاني [٥]–رحمه الله–:" الشِّبْه والشَّبَه والشبيه: حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم، كالعدالة والظلم، والشُّبْهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنىً، قال تعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ (البقرة ٢٥) أي يُشبه بعضه بعضا لوناً لا طعماً وحقيقةً...والمتشابه في القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى."[٦]

---

[١] هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، من أذكياء العالم، خطه يضرب به المثل في الجودة، أخذ عن خاله إبراهيم بن إسحاق، وعن أبي سعيد السيرافي، وعن أبي علي الفارسي، مات سنة ٣٩٣هـ (ينظر معجم الأدباء٢/٢٠٦، وبغية الوعاة ١/٤٤٦)

[٢] الصحاح٢/١٦٣٢،١٦٣٣

[٣] هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي، من أئمة اللغة، رأسا في الأدب، جواداً كريماً، له كتاب المجمل، ومعجم مقاييس اللغة، مات سنة ٣٩٥هـ (ينظر بغية الوعاة ١/٣٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣)

[٤] معجم مقاييس اللغة ٣/٢٤٣

[٥] هو: الحسين بن محمد بن المفضل، وقيل هو: الحسين بن المفضل بن محمد، وقيل هو: الحسين بن الفضل، وقيل هو: المفضل بن محمد الأصبهاني الراغب، له مفردات ألفاظ القرآن، وأفانين البلاغة، والمحاضرات، توفي سنة ٤٢٥هـ على خلاف في ذلك.(ينظر بغية الوعاة ٢/٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/١٢٠)

[٦] مفردات ألفاظ القرآن ص٤٤٣–٤٤٥، وينظر بصائر ذوي التمييز ١/٢٩٣

وقال الزمخشري [١]-رحمه الله- :" تشابه الشيئان واشتبها، واشتبهت الأمور وتشابهت التبست لإشباه بعضها بعضا."[٢]

وقال ابن منظور [٣]-رحمه الله- :" شِبْه الشبه، والشِّبه، والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثَله، وفي المَثَل من أشبَه أباه فما ظلم... والجمع مشابه على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير، وأشبهْت فلانا و شابهته، واشتبه علي و تشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحدٍ منهما صاحبه، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات، وتشبّه فلان بكذا، والتشبيه التمثيل... وأمور مشتبهة ومشبّهة: مشكلة يشبه بعضها بعضاً...المتشابه: ما لم يُتلق معناه من لفظه"[٤]

وقال محمد بن أبي بكر الرازي[٥] -رحمه الله- :" شِبه و شَبه لغتان بمعنىً، يقال هذا شِبْهُه أي شبيهه وبينهما شَبَه بالتحريك، والجمع مشابه على غير قياس... و الشبهة الالتباس، ... والشَّبَه ضرب من النحاس."[٦]

وقال أحمد بن محمد الفيومي[٧]-رحمه الله- :" واشتبهت الأمور وتشابهت:التبست فلم تتميز ولم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والشبهة

---

[١]هو: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر ولد سنة ٤٦٧هـ برع في الأدب والنحو واللغة، من مصنفاته الفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة ومتشابه أسماء الرواة والمفصل في النحو وغيرها توفي سنة ٥٣٨هـ (ينظر طبقات المفسرين للسيوطي ١٢٠/١، طبقات المفسرين للداودي ١٧٣/١، سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠)

[٢] أساس البلاغة ٣٢٠/١

[٣] هو: محمد بن مكرم بن علي بن منظور، كان عارفا بالنحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة، اختصر كثيراً من الأدب، وله لسان العرب في اللغة، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية، مات سنة ٧١١هـ (ينظر بغية الوعاة ٢٤٨/١، وأبجد العلوم ١٠/٣)

[٤] لسان العرب ٥٠٣/١٣،٥٠٤

[٥] هو: شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، توفي سنة ٦٦٠هـ (ينظر كشف الظنون ٩٢/١)

[٦] مختار الصحاح ١٣٨/١

[٧] هو: الشيخ الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، توفي سنة ٧٧٠هـ (ينظر كشف الظنون ١٧١٠/٢، وأسماء الكتب ٢٧٦/١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣٧٢/١)

في العقيدة المأخذ الملبس، سميت شُبهة لأنها تُشبه الحق...وتشابهت الآيات: تساوت أيضا...فالمُشابهة:المُشاركة في معنىً من المعاني."[١]

وقال الفيروز أبادي[٢] -رحمه الله- :"وشابهه وأشبهه: ماثله ... وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ... وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة."[٣] وبالتأمل في هذه التعريفات للمتشابه عند أهل اللغة نجد أن المتشابه يدور حول معنيين:

الأول: معنى المماثلة:

وقد جاء ذلك في وصف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزمر ٢٣) قد تشابهت آياته في التنزه عن كل وصف يلحقه بكلام المخلوقات، وتماثلت في كل وصف يوصف به كلام رب العالمين منبئةً أنها تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، هدىً ورحمةً للعالمين.

كذلك وصفت آيات القرآن بالإحكام، قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (هود١)، والمراد هنا: الإحكام العام فلا يلحق آيات القرآن العظيم خلل أو قصور، أو تفاوت في النسق والإعجاز.

الثاني: معنى الإشكال أو الالتباس:

فإن الأمور لا تشتبه إلا بوجود التماثل أو بعض تماثل بين المشبه والمشبه به.

---

[١] المصباح المنير ص٣٠٤

[٢] هو: محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز أبادي، ولد سنة ٧٢٩هـ، وتفقه في اللغة، كان كثير المطالعة، صنف القاموس المحيط، والروض المسلوف، مات سنة ٨١٦هـ (ينظر بغية الوعاة ٢٧٣/١، أبجد العلوم ٨/٣)

[٣] القاموس المحيط ٢٩٩/٤

قال ابن قتيبة[١] –رحمه الله– :" ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشـــابه وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطّعة فـــي أوائل السور: متشابه، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها."[٢]

المتشابه في الاصطلاح:

أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى، كما قال تعالى فـــي وصـــف ثمر الجنة: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ (البقرة ٢٥)، أي متفق المناظر ومختلف الطعوم.[٣]

وقال الشيخ عبد الرؤوف بن محمد المناوي[٤] –رحمه الله– :"المتشـــابه: المشـــكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل."[٥]

وهو أعم من المتشابه في القرآن وغيره، والدليل على ذلك أن أبا منصـــور الثعالبي[٦]–رحمه الله– ألف كتاباً بعنوان المتشابه، وهـــو كتـــابٌ صـــغير الحجـــم خصّصه لأخبار الأدباء والشعراء والكتّاب، وقد أوجز في مقدمة كتابه هذا الخطة التي سار عليها فقال:" ثم إن هذا الكتاب مبنيٌّ على ثلاثة أقسام: فالقسم الأول فـــي

---

[١] هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزيل بغداد، كان رأسا في اللغة، له تصانيف كثيرة منها معـــاني القرآن ومختلف الحديث، ودلائل النبوة، توفي سنة ٢٧٦هـــ (ينظر سير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣، وبغية الوعاة ٦٣/٢)

[٢] تأويل مشكل القرآن ص١٠٢

[٣] ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٠٢، والبرهان للزركشي ٦٩/٢

[٤] هو: الشيخ عبد الرؤوف بن محمد المناوي المصري، عالم فاضل، توفي سنة ١٠٢٩هـــ (ينظـــر كشـــف الظنون ٥٠٨/١، وطبقات المفسرين للداودي ٤١٣/١)

[٥] التوقيف على مهمات التعاريف ٦٣٣/١

[٦] هو:عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي النيسابوري الأديب الشاعر صـــاحب التصـــانيف الأدبية، ولد سنة ١٥٠هـــ ، وكان يلقب بجاحظ زمانه، وتصانيفه كثيرة منها يتيمة الدهر، وتتمة اليتيمة وهي أحسن تصانيفه وقد اشتهرت كثيرا، توفي سنة ١٢٩هـــ على خلاف (ينظر الوافي بالوفيات ١٣٠/١٩)

المتشابه الذي يشبه التصحيف[١]، والقسم الثاني في المتشابه من التجنيس الصحيح، والقسم الثالث في المتشابه خطا ولفظا."[٢]

[١] من أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾ (الكهف ١-٤)

[٢] ينظر المتشابه للثعالبي ص١١

المطلب الثاني: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

قبل الخوض في بيان ذلك نذكر أن المتشابه في القرآن نوعان:

النوع الأول: المتشابه الذي يقابل المحكم.

وقد اختلف العلماء في تعريف المحكم والمتشابه:

١- فقيل: المحكم ما استقلّ بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

٢- وقيل: المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور.

٣- وقيل: المحكم ما أحكم الله من الحلال والحرام، والمتشابه ما اشتبهت معانيه.

٤- وقيل: المحكم ما أحكم الله من قصص الأمم، والمتشابه ما اشتبهت ألفاظه منها.

٥- وقيل: المحكم ما لم يحتمل من التأويل غير وجه، والمتشابه ما احتمل وجوهاً.

٦- وقيل: المحكم ما يؤمَن به ويعمل به، والمتشابه ما يؤمَن به ولا يعمل به.

٧- وقيل المتشابه هو آيات الصفات.

٨- وقيل: المحكم ما علم العلماء تأويله، والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استأثر الله بعلمه.[1]

وهذا النوع ليس مجال بحثنا، وقد تناوله الزركشي[2]-رحمه الله- في كتابه البرهان تحت عنوان: "النوع السادس والثلاثون: معرفة المحكم من المتشابه"[3]،

---

[1] ينظر جامع البيان للطبري ١٩٩/٥،٢٠٠، ومجموع الفتاوى ٣٩٠/١٧

[2] هو: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون، وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم، ومن مصنفاته شرح البخاري، والتنقيح على البخاري، وشرح التنبيه، والبرهان في علوم القرآن، وتخريج أحاديث الرافعي، توفي سنة ٧٩٤هـ (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٣٠٢/١)

[3] البرهان في علوم القرآن ٦٨/٢

وتناوله السيوطي[١] –رحمه الله– في الإتقان بعنوان: "النوع الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه"[٢]، وبحث هذا أيضا في كتابه معترك الأقران تحت عنوان:"الوجه التاسع من وجوه إعجازه: انقسامه إلى محكم ومتشابه" [٣]، كما تناوله في كتابه التحبير تحت عنوان:"النوع الرابع والأربعون والخامس والأربعون: المحكم والمتشابه"[٤]

النوع الثاني: المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم، وهذا هو المراد بالبحث في هذه الرسالة.

وقد تناوله ابن الجوزي –رحمه الله–[٥] في كتابه فنون الأفنان تحت عنوان:"أبواب المتشابه" [٦]، وأورد تحت هذا العنوان بعض أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بذكر أمثلةٍ كثيرة دون بيان السبب والحكمة في ذلك.

وسمى الزركشي–رحمه الله– هذا النوع في كتابه البرهان:"علم المتشابه" [٧]، وسماه السيوطي في الإتقان: "الآيات المشتبهات"[٨]، وتناوله في كتابه معترك

---

[١] هو: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، ولد سنة ٨٤٩هـ، نشأ يتيماً، وحفظ القرآن صغيراً، كان مكثراً من التأليف، مات سنة ٩١١هـ (أنظر حسن المحاضرة ١/٢٨٩-٢٩٧، والبدر الطالع ١/٢٢٩)

[٢] الإتقان في علوم القرآن ٣/٣

[٣] معترك الأقران ١/١٠٣

[٤] التحبير في علم التفسير ص١٠١

[٥] هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ، كان علامة عصره، وإمام وقته في الحديث،توفي سنة ٥١٤هـ (ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣/١٤٠)

[٦] فنون الأفنان ص٣٧٦

[٧] البرهان في علوم القرآن ١/١١٢

[٨] الإتقان ١/١١٢

الأقران تحت عنوان:"الوجه السادس من وجوه إعجازه مشتبهات آياته"[١]، وتناولـــه أيضاً في كتابه التحبير تحت عنوان: "النوع التاسع والستون:الأشباه"[٢]

وحتى يتضح مفهوم المتشابه في القرآن عند العلماء لابـــد مـــن أن نـــورد أقوالهم، لذا نبدأ ببيان ذلك بالمتقدم منهم فالذي يليه.

وأول نص يبين المراد من المتشابه هو ما قاله ابن جرير الطبري[٣]-رحمـــه الله- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٤] -رحمه الله- في تعيينه المراد بالمتشـــابه في آية آل عمران، فقد حدد المتشابه بما نسميه الآن بالمتشابه اللفظـــي، فيقـــول: "وقال آخرون: معنى المحكم ما أحكم الله فيه مـــن آي القـــرآن وقصـــص الأمـــم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم، ففصّله ببيان ذلك لمحمد وأمته، والمتشـــابه هـــو مـــا اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، فقصـــة باتفـــاق الألفـــاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ذكر مـــن قـــال ذلـــك: حدثني يونس[٥] قال أخبرنا بن وهب[٦] قال: قال ابن زيد وقـــرأ: ﴿ الٓرۚ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ ﴾ (هود١)، قال: وذكر حديث رسول الله فـــي أربع وعشرين آية منها (أي من سورة هود) وحديث نوح في أربع وعشرين آيـــة

---

[١] معترك الأقران ٦٦/١

[٢] التحبير ص١٢٤

[٣] وهو: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير كان إماما فـــي التفســـير والقراءات والسنن والحديث والفقه والتاريخ ولد سنة ٢٢٤هــ وتوفي سنة ٣١٠هــ (ينظر وفيـــات الأعيـــان ١٩١/٤)

[٤] هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، صاحب قرآن وتفسير، له كتاب فـــي التفســـير وفـــي الناســـخ والمنسوخ، مات سنة ١٨٢هــ، (ينظر الفهرست ص٣١٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٤٩)

[٥] هو: يونس بن حبيب بن عبدالرحمن الضبي مولاهم أو مولى بني الليث، أخذ عن أبي عمرو بـــن العـــلاء وحماد بن سلَمة، إمام في النحو واللغة، وله فيه قياس ومذاهب تروى عنه، سمع من العرب، أخذ عنه الكسائي والفراء، وروى عنه سيبويه فأكثر، قال أبو عبيدة: اختلف إلى يونس أربعين سنة أملأ ألواحي مـــن حفظـــه، عاش ٨٨ سنة ولم يتزوج ولم يتسر ولم يكن له همة إلا طلب العلم، جاوز المائة وكان يشرب المطبوخ، مات سنة ١٨٢هــ (ينظر البلغة ٢٤٧/١ ، ومعجم الأدباء ٦٥١/٥)

[٦] هو: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه،كان ثقةً، صـــاحب عقـــل وديـــن وصلاح، توفي سنة ١٩٧هــ (ينظر تهذيب الكمال ٢٧٧/١٦)

منها، ثم قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ (هود ٤٩)، ثم ذكر: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ (هود ٥٠)، فقرأ حتى بلغ: ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ (هود ٥٢)، ثم مضى ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وفرغ من ذلك، وهذا يقين، ذلك يقين: ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾، قال: والمتشابه ذِكر موسى عليه السلام في أمكنة كثيرة وهو متشابه، وهو كله معنىً واحد، وهو متشابه: ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا ﴾ (المؤمنون ٢٧) ،﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾ (هود ٤٠)، ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ ﴾(القصص ٣٢) ،﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ (النمل ١٢)، ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ (طه ٢٠)، ﴿ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأعراف ١٠٧)، ﴿ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الشعراء ٣٢)، قال: ثم ذكر هوداً عليه السلام في عشر آيات منها، وصالحاً عليه السلام في ثمان آيات منها، وإبراهيم عليه السلام في ثماني آيات أخرى، ولوطاً عليه السلام في ثماني آيات منها، وشعيباً عليه السلام في ثلاث عشرة آية، وموسى عليه السلام في أربع آيات، كل هذا يقضي بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة، فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود، ثم قال: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (هود ١٠٠)، وقال: في المتشابه من القرآن من يردّ الله به البلاء والضلالة يقول: ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا؟"[١]

وهذا الذي نبّه إليه ابن جرير الطبري-رحمه الله- هو المتشابه اللفظي، وقد ذكر منه نوعاً واحداً وهو الإبدال في المفردات.

وقد ذكر الخطيب الإسكافي -رحمه الله-[٢] سبب تصنيفه لكتابه درة التنزيل بأنه مذ كان يقرأ القرآن كانت تدعوه دواعٍ قوية، يبعثها نظر ورواية " في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المتعلقة والمنحرفة، تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها"[٣]

---

[١] تفسير الطبري ١٩٧/٥، ١٩٨

[٢] وهو: محمد بن عبد الله أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف ومنها: غلط كتاب العين، والغرة، ومبادئ اللغة، وشواهد كتاب سيبويه، ونقد الشعر، توفي سنة ٤٢٠هـ. (ينظر معجم الأدباء ٣٥٢/٥).

[٣] درة التنزيل ٢١٧/١، ٢١٨ ولم يتبين لي قصده من الحروف المتعلقة والمنحرفة.

ويظهر من كلام الخطيب أنه يقصد بتصنيفه بيان المتكـــرر مـــع اخـــتلاف الألفاظ، لا المتكرر الذي لم تختلف ألفاظه، وقوله:"بالكلمات المتفقة والمختلفة" أي أن الآيات المتشابهة يكون فيها من الكلمات متفق ومختلف، يؤكد ذلك أنه قال بعـــد ذلك: "ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقانا، وصار لمـــبهم المتشـــابه وتكـــرار المتكرر تبيانا"[1]

وهذا هو المتشابه عنده – رحمه الله – وقد صرح بذلك في أول سورة البقرة، فقال:"الآية الحادية عشرة من هذه السورة مفارقة للآي التي شرطنا الفـــرق بينهـــا وبين ما خالفها بلفظ يسير من الآية التي بإزائها غير أنها مثلهـــا فـــي التكـــرار، والحاجة إلى ذكر الفائدة في إعادتها، وهي قوله تعـــالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (البقرة ١٣٤) [2]

فقد تكررت هذه الآية نفسها في الآية (١٤١) من نفس السورة، وهو بكلامـــه هذا كأنه يبين سبب مخالفته شرطه، علماً بأنه خالفه في مكرر غير هذا[3]، ويتبـــين من هذا أن المتشابه عند المصنف هو المكرر مع التغاير.

وأما الكرماني – رحمه الله –[4] فقال في مقدمة كتابه: "فإن هذا كتاب أذكـــر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكـــن وقـــع فـــي بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غيـــر زيـــادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها، وما الموجـــب للزيـــادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بـــذلك دون

---

[1] درة التنزيل ٢١٨/١،٢١٩

[2] درة التنزيل ٢٨٨/١

[3] درة التنزيل ١٢٣٧/٣- ١٢٤٦/٣-١٣١٤/٣-١٣١٩/٣-١٣٢٧/٣،١٣٢٨-١٣٦٨/٣

[4] هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي، أحد العلماء النبلاء، صاحب التصـــانيف ومنهـــا: لبـــاب التفسير، والإيجاز في النحو، والإفادة في النحو، كان في حدود الخمسمائة ومات بعدها. (ينظر معجم الأدبـــاء ٤٨٨/٥).

الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا؟"[١]

وبهذا يتبين أن المتشابه عند الكرماني هو المكرر المختلف في ألفاظه، وأما أسباب الاختلاف فلم يحصرها بل مثّل وجعل الباب مفتوحاً.

وأما ابن الزبير الغرناطي – رحمه الله –[٢] فقد سمى كتابه:"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل" فسماه متشابه اللفظ، أما مفهومه لهذا الفن فقد تبين من مقدمته حيث قال:" وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا – رضي الله عنهم – في خدمة علومه، وتوجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير"[٣]

وقد ذكر ابن جماعة – رحمه الله –[٤] في مقدمة كتابه كشف المعاني سبب تأليفه لهذا الكتاب بأنه:"ربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبة، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة...من اختلاف ألفاظ معان مكررة، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادة ونقصان، وبديع وبيان، وبسيط واختصار، وتعويض حروف بحروف أغيار" [٥]، فكان غرضه بيان الأسرار البلاغية للأسئلة الواردة، ومن هذه الأسرار ما يتعلق بالمتشابه.

وقال الأنصاري – رحمه الله –[٦] :"فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات، والمختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر، وغير ذلك مع بيان

---

[١] البرهان في توجيه متشابه القرآن ص١٩،٢٠

[٢] هو: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي العاصمي الغرناطي النحوي، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، ولد سنة ٦٢٧هـ، وله باع في القراءات وعللها وطرقها، وأحكام العربية، وله تاريخ الأندلس، وقد أخذ عنه الإمام أبو حيان، مات سنة ٧٠٨هـ .(ينظر طبقات الحفاظ ٥١٦/١)

[٣] ملاك التأويل ١٤٤/١،١٤٥

[٤] وهو شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي، ولد سنة ٦٣٠هـ وروى الكثير. (ينظر معجم المحدثين ٢٠٩/١).

[٥] كشف المعاني ص٨٦

[٦] هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، حفظ القرآن صغيراً، التحق بالأزهر فحفظ ودرس كثيراً من متون العلم، عمّر وعمي آخر عمره، مات سنة ٩٢٦هـ على خلاف في ذلك.(ينظر مقدمة محقق كتابه ص١٧-٣٧).

سبب الاختلاف، وفي ذكر غير المختلفة مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها صريحا أو إشارة"[١]

وبذلك يتبين أن مقصود الأنصاري-رحمه الله- في كتابه ثلاثة أمور:

الأول: المتشابه وهو عنده المكرر المختلف.

الثاني: المكرر غير المختلف.

الثالث: ما يحتاج إلى بيان من غير ذلك.

ويقول الزركشي – رحمه الله – في بيان معنى المتشابه:" وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء"[٢]

وليس مقصود الزركشي -رحمه الله- قصر المتشابه على القصص القرآني، لأنه جعله كثيرا فيه لا قاصراً عليه، والأمثلة التي مثل بها رحمه الله تدل على ذلك.

وبمثل ذلك عرفه السيوطي-رحمه الله- حيث قال: "والقصد إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً كقوله تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ (البقرة ٥٨)، وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ (الأعراف ١٦١)...، وفي موضعٍ بزيادة وفي آخر بدونها...، وفي موضعٍ معرفاً وفي آخر منكراً، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرفٍ وفي آخر بحرفٍ آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً"[٣]

ويقول أبو البقاء-رحمه الله-[٤] في كتابه الكليات:" إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، والإدغام والفك، وتبديل حرف بحرف"[٥]

---

[١] فتح الرحمن ص١٣٨،١٣٧

[٢] البرهان في علوم القرآن ١١٢/١

[٣] ينظر الإتقان ٩٩٦،٩٩٥/٢، ومعترك الأقران ٦٦/١

[٤] هو: أبو البقاء الحسيني الكفوي الحنفي ابن الشريف موسى، مات سنة ١٠٩٥هـ (ينظر معجم المطبوعات ٢٩٣/١، واكتفاء القنوع ٣٣٦/١)

[٥] الكليات لأبي البقاء ص٨٤٥

وبعد أن اتضح مفهوم المتشابه اللفظي نستطيع تعريفه اصطلاحا كالتالي:

المتشابه اللفظي اصطلاحا:

الآيات القرآنية المتكررة بلفظها، أو مع اختلاف يسير في لفظها أو نظمها أو كليهما، مع تقارب المعنى لغرض ما.

المطلب الثالث: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن:

أود الإشارة إلى أن كل محاولة لحصر المتشابه إنما هي محاولة اجتهادية جاءت ثمرة الاطلاع على مصنفات الأئمة في المتشابه أو كلامهم عنه في كتب التفسير.

وقد حاول الراغب الأصفهاني-رحمه الله- وضع تقسيمٍ دقيق للمتشابه في مصنفه المفردات في غريب القرآن. [١]

كما اعتنت مصنفات علوم القرآن فيما بعد بسرد أنواعه، فأفرد الزركشي-رحمه الله-خمسة عشر فصلاً من كتابه البرهان في علوم القرآن لبيان أنواع المتشابه. واكتفى السيوطي-رحمه الله- في كتابيه الإتقان ومعترك الأقران بذكر أمثلة تبين أنواعه.

وفيما يلي بيان لأنواع المتشابه اعتماداً على استقراء ما قرأته في هذا الشأن:

النوع الأول: التشابه بالتقديم والتأخير، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني[٢] في بيان أهمية هذا النوع: " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٣]

ويندرج تحت هذا النوع أربعة أقسام:

١- **تقديم كلمة وتأخيرها:** ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ (الأعراف ١٨٨)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي

---

[١] ينظر المفردات في غريب القرآن ص٢٥٤ تحت مادة (شبه)

[٢] هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الشافعي، كان متكلما أشعريا، من أشهر مصنفاته: دلائل الإعجاز، والجمل، وشرحه التلخيص، والعمدة في التصريف، والمفتاح، وشرح الفاتحة، وغيرها، توفي سنة ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤هـ(أنظر طبقات الشافعية ٢٥٢/١)

[٣] دلائل الإعجاز ٩٦/١

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (يونس ٤٩)

بتقديم كلمة نفعاً وتأخير ضراً في الآية الأولى وعكس ذلك في الآية الثانية.

٢- **تقديم جملة وتأخيرها:** ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (القصص ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ (يس ٢٠)

بتأخير جملة ﴿ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ في الآية الأولى وتقديمها في الثانية.

٣- **الاختلاف في ترتيب بعض المتعاطفات**[١] ، ومثال ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (البقرة ٦٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (المائدة ٦٩)

٤-**تقديم الضمير وتأخيره:** ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ (الأنعام ١٥١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ (الإسراء ٣١)

النوع الثاني: الحذف والإثبات، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني-رحمه الله- في فائدة الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"[٢]، ويندرج تحت ذلك ثلاثة أقسام:

---

[١] قد يدخل هذا القسم تحت القسمين الأول والثاني.

[٢] دلائل الإعجاز ١٢١/١

١- **إثبات حرف وحذفه**، ومثاله قوله تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ (يوسف ١٠٩)، وقوله تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (الأنبياء ٧)

بإثبات حرف الجر (من) في الآية الأولى وحذفه في الآية الثانية.

٢- **إثبات كلمة وحذفها**، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا ﴾(البقرة ٥٨)، وقوله تعـالى: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا ﴾ (الأعراف ١٦١)

بإثبات كلمة ﴿ رَغَدًا ﴾ في الآية الأولى وحذفها في الثانية.

٣- **إثبات أكثر من كلمة وحذفها**، ومثاله قوله تعـالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرًا فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ (لقمان ٧)، وقوله تعـالى: ﴿ وَيۡلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرًا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الجاثية ٧-٨)

بزيادة قوله تعالى:﴿ كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرًا ﴾ في الآية الأولى.

النوع الثالث: الإبدال، ويندرج تحت ذلك ثلاثة أقسام:

١- **إبدال حرف بآخر**، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ (البقرة ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ (الأعراف ١٩)

حيث استُبدل حرف الواو في الآية الأولى في قوله:﴿ وَكُلَا ﴾ بحرف الفـاء في الآية الثانية في قوله:﴿ فَكُلَا ﴾

٢- **إبدال كلمة بأخرى**، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ (البقرة ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ (الأعراف ١٦٠)

حيث أبدل كلمة ﴿ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ في الآية الأولى بكلمة ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ في الآية الثانية.

٣- **إبدال جملة بأخرى**، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَنكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (إبراهيم ٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (النحل ١٨)

فأبدل الجملة في خاتمة الآيتين، فقال تعالى في الأولى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، وقال في الثانية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

النوع الرابع: الجمع والإفراد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ (البقرة ٨٠)، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ ﴾ (آل عمران ٢٤)

النوع الخامس: التذكير والتأنيث، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود ٦٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود ٩٤)

فقد أضاف تاء التأنيث للفعل في قصة شعيب عليه السلام في الآية الثانية، بدون وجود هذه التاء في قصة صالح عليه السلام في الآية الأولى، والفاعل واحد والحاجز بين الفعل والفاعل في الموضعين واحد ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾.

النوع السادس: التعريف والتنكير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة ٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ (آل عمران ٢١)

فجاءت كلمة الحق معرفة بأل في الآية الأولى وجاءت نكرة في الآية الثانية.

النوع السابع: الإظهار والإضمار، ويندرج تحته قسمان:

١- وضع المظهر موضع المضمر: ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (يونس ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (غافر ٦١)

فأضمر في الآية الأولى وأظهر في الآية الثانية.

٢- الاختلاف في الضمائر: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ﴾ (طه ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (القصص ١٣)

حيث كان كلام الله لموسى عليه السلام على أسلوب الخطاب في الآية الأولى وكان على أسلوب الغائب في الآية الثانية.

النوع الثامن: اختلاف الصيغة الصرفية، ويندرج تحت ذلك:

١- الفك والإدغام، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ (النساء ١١٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنفال ١٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (الحشر ٤)

بترك الإدغام في الآيتين الأوليين وبالإدغام في الآية الثالثة.

٢- التضعيف وعدمه: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم ﴾ (البقرة ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم ﴾ (الأعراف ١٤١)

بتضعيف الفعل في الآية الأولى وعدمه في الآية الثانية.

٣- **المجرد والمزيد:** ومثاله قول الله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأعراف ١١٢)، وقوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الشعراء ٣٧)

فالآية الثانية فيها زيادة في المبنى يترتب عليها زيادة في المعنى.

٤- **الماضي والمضارع:** ومثاله قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجر١٢)، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الشعراء ٢٠٠)

حيث جاء الفعل على صيغة المضارع في الآية الأولى، بينما جاء الفعل على صيغة الماضي في الآية الثانية، ولكل نوع من أنواع الفعل معناه.

٥- **البناء للفاعل والبناء لِما لمْ يُسمّ فاعله:** ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (البقرة ٥٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (الأعراف ١٦١)

فجاء الفعل في الآية الأولى بالبناء للفاعل، وفي الآية الثانية بالبناء لما لم يسم فاعله.

٦- **البناء على جمع السلامة والتكسير:** ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ﴾ (البقرة ٦١) ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ﴾ (آل عمران ١١٢)

فجاء الجمع جمع مذكر سالم في الآية الأولى وجمع تكسير في الآية الثانية.

النوع التاسع:الإجمال والتفصيل، ومثاله قول الله تعالى في قصة هود: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾(هود ٠٤٠-٠٤١) ، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(المؤمنون ٠٢٧)

حيث جاء التفصيل في سورة هود بقوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بتحديد المؤمنين بأنهم قلة من قوم نوح، بينما في سورة المؤمنون لم يـــرد تحديـــد ذلك.

النوع العاشر: الاختلاف بالإضافة وعدمها: ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ ﴾ (طه ١٣٠)، وقولـــه: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (ق ٣٩)

فجاءت الآية الأولى بالإضافة بينما جاءت الآية الثانية بالإطلاق.

المبحث الثاني

وتحته مطلبان

المطلب الأول: أهمية علم المتشابه اللفظي

المطلب الثاني: فوائد علم المتشابه اللفظي

المطلب الأول: أهمية المتشابه اللفظي:

أولاً: ترجع أهمية هذا العلم إلى موضوعه فهو ضرب من تفسير القرآن لذلك فأهميته من أهمية علم التفسير، فعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قسم قائم بذاته، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه مع تنوع استعمالاته من تقديم وتأخير، أو حذف وإثبات، أو تعريف وتنكير، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضع الواحد.

ثانيا: ترجع أهميته إلى أهمية نشأته، حيث أنه أنشئ حفاظاً على القرآن الكريم، من أن يقع اللحن في كلماته، وتيسيراً لحَفَظَة كتاب الله، وهو من علوم القرآن التي تخدمه وتحافظ عليه وتبرز كثيرا من وجوه إعجازه وأسراره التي لا تنفد.

ثالثا: تتضح أهميته بمعرفة فوائده التي أستعرضها في المطلب الثاني بإذن الله.

المطلب الثاني: فوائد المتشابه اللفظي:

١- أن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانا بعظمة الله وقدرتــه حــين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقــرآن الكريم، فدراسته تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغــزارة معانيــه وأسراره، والبحث عن دقائقه، وذلك من أعظم القُرَب؛ لأنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب من الله تعالى.

٢- أن علم المتشابه اللفظي فيه دلالة على صدق نبوة نبينا محمدﷺ وذلــك حين تتجلى الصور البلاغية البديعة والمعاني العظيمة مطوية في ثناياه، مــع أنــه أمي لم يقرأ ولم يكتب، قــال تعــالى:﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (العنكبوت ٤٨)

٣- أن علم المتشابه اللفظي باب من أبواب التأمل في آيات الله الأمر الــذي حث عليه سبحانه في كتابــه بقولــه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النســاء ٨٢) ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد ٢٤)

٤- هو علم يرد على الملحدين والمشككين الذين يطعنون في القــرآن مــن خلال ما تشابه منه وما تماثل أو تكرر من ألفاظه وآياته، مدعين أن ما بــه مــن المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو تكرار لا هدف له، فعلم المتشابه يرد عليهم بعكس ما يقولون وذلك بإظهاره عظمة القرآن وبلاغته في متشابهه، وما يظهره من وجه الحكمة في كل موضع.

٥- وكذا نستفيد أن المتشابه اللفظي ضرب من التكرار، وفي هذا التكــرار تثبيت لقلب النبيﷺ، قال الله تعــالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود ١٢٠)

٦- أن علم المتشابه اللفظي يعين على تيسير حفظ القرآن الكــريم وإتقانــه، ولذلك صنف العلماء مؤلفات في المتشابه اللفظي لهذا الغرض تحديداً.

قال ابن المنادي –رحمه الله–[١]: " أما الأنواع المرجوة منافعها في تقوية حفظ الحافظ، والمجربة معاونتها لإدراب المتحفظ فقد قدمنا ذكرها، وذكر شواهدها المأثورة فيها، ولم يبق إلا النوع الذي استحدثه فريق من القراء ولقبوه (المتشابه) وإنما حملهم على وضعهم إياه للقراءة ردا من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير كثير، ترداد أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين والأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، وقد يجيء حرف غير هذا الضرب، فيأتي بالواو مرة وبالفاء مرة، وآخر يأتي بالإدغام تارة وبالبيان تارة، وأسماء متماثلة، فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط"[٢]

٧- أن المتشابه اللفظي معين على المحافظة على علوم القرآن الكريم، وذلك لأن البحث في أوجه التشابه ومحاولة توجيهها يحتاج إلى النظر في اللغة والنحو والبلاغة وأصول الفقه وغيرها، فكان المتشابه اللفظي بذلك سببا في تحصيل علوم كثيرة.

---

[١] هو: أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد أبو الحسين بن المنادي، سمع جده محمدا وأباه جعفرا، كان ثقة أمينا ثبتا صدوقا ورعا حجة فيما يرويه، محصلا لما يحكيه، صنف كتبا كثيرة، وجمع علوما جمة،توفي سنة ٣٣٦هـ (ينظر البداية والنهاية ٢١٩/١١، وطبقات الحنابلة ٣/٢)

[٢] متشابه القرآن العظيم ص٥٩

الفصل الثاني: السياق

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا

المبحث الثاني: أصل القول بالسياق من سنة النبي ﷺ وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم

المبحث الثالث: عناية العلماء بالسياق وأهميته

المبحث الرابع: أركان السياق وأنواعه

المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا

وتحته ثلاث مطالب

المطلب الأول: السياق لغة

المطلب الثاني: السياق اصطلاحا

المطلب الثالث: دلالة السياق

المطلب الأول: السياق لغة:

قبل الحديث عن معنى السياق لابد من الإشارة إلى أن السياق يرادف في اللغة كلا من المقام والحال والموقف والمقتضى والنظم.[١]

قال الجوهري – رحمه الله –: "ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساقٍ واحدة أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية... والسياق نزع الروح."[٢]

وقال ابن فارس – رحمه الله– :"السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال ساق يسوق سَوقا. والسِّيقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته والسُّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها."[٣]

وقال الراغب الأصفهاني – رحمه الله– :"سَوق الإبل: جلبها وطردها، يقال: سقته فانساق...والسَّويق سمي لانسواقه في الحلْق من غير مضْغ"[٤]

وقال الزمخشري– رحمه الله– :"تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سَوقِه: على سرده."[٥]

وقال ابن منظور – رحمه الله– :"سوق السوق معروف، ساقَ الإبل وغيرها يسوقها سَوْقاً سِياقاً...وقد انساقت تسَاوقت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدت فهي متقاودة متساوقة، وفي حديث أم معبد [٦]: فجاء زوجها يسوق أعْنُزاً ما تَساوَقُ أي ما تتابعُ. والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، والأصل في تساوقُ

---

[١] دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، للدكتور عبد الفتاح البركاوي، ص٣٠

[٢] الصحاح ١١٣٨/٢،١١٣٩

[٣] معجم مقاييس اللغة ١١٧/٣

[٤] مفردات ألفاظ القرآن ص٢٤٩، كتاب السين.

[٥] أساس البلاغة ص٣١٤

[٦] هي: أم معبد الخزاعية، اسمها: عاتكة بنت خالد بن خليف، ويقال بنت خالد بن خلف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس الكعبية من خزاعة (ينظر الثقات ٣٢٥/٣)، وعبارتها هذه في البداية والنهاية ١٩٠/٣

تتساوقُ كأنها لضعفها وفرْط هزالها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعــض... ســاقَ إليها الصداق والمهر سِياقا أساقه وإن كان دراهمَ أو دنانير، لأن أصــل الصــداق عند العرب الإبلُ وهي التــي تُســاق، فاســتعمل ذلــك فــي الــدرهم والــدينار وغيرهما...وهو في السَّوق أي النزع كأن روحه تُساق لتخرج من بدنه ويقال لــه السياق أيضا"[1]

وقال الفيروز أبادي – رحمه الله –:"والسياق ككتاب: المهــر...والمُنســاق: التابع، والقريب...وتسَاوَقت الإبل: تتابعت وتقاودت، والغنم: تزاحمت في السير"[2]

وقال الزبيدي– رحمه الله– [3] :"وأصل السياق سِواق، قلبت الواو ياء لكسرة السين...ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق."[4]

وبهذا يتضح أن السياق يدور حول معنى التتابع والاتصال، فســياق الكــلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

---

[1] لسان العرب ١٦٧،١٦٦/١٠

[2] القاموس المحيط ٣٣٦،٣٣٥/٣

[3] هو أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الملقب بمرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، علامــة فــي الحديث واللغة والأدب والأنساب، له تاج العروس، توفي بالطاعون سنة ١٢٠٥هـ (ينظر فهرس الفهــارس ٥٢٦/١)

[4] تاج العروس ٣٨٧/٦

المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً:

حتى يتبين لنا المراد من السياق لابد من استعراض أقوال العلماء في بيان مفهومه عندهم:

قال ابن دقيق العيد[١] -رحمه الله- :"أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات"[٢]

وقال الزركشي -رحمه الله-:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف[٣] يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح"[٤]

وقال السجلماسي[٥] في تعريفه للسياق:"ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[٦]، أي ربط القول بغرض مقصود أولى وأوضح من القصد الأول، وهذا يعني أن النص يحمل معنيين أو قصدين أحدهما أولى من الآخر لارتباطه بالسياق.

وفي قواعد الفقه جاء مفهوم سياق الكلام بأنه:" أسلوبه الذي يجري عليه"[٧]

وقال صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم:"أما السياق القرآني فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع

---

[١] هو: محمد بن علي بن وهب تقي الدين أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد، كان إماما متقنا في الحديث والأصول والفقه، كثير المطالعة، وله من المؤلفات الإمام والإلمام وغيرهما، توفي سنة ٧٠٢هـ (ينظر أبجد العلوم ١٥٦/٣)

[٢] إحكام الأحكام ٢٢٥/٢

[٣] يعني بذلك أبو القاسم محمود الزمخشري.

[٤] البرهان في علوم القرآن ٣١٧/١

[٥] هو: أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي الأندلسي، من علماء القرن الثامن (ينظر مقدمة محقق كتابه ص٤٦، ولم يجد له المحقق ترجمة غير التي وردت في نسخ الكتاب المحقق)

[٦] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ص١٨٨

[٧] قواعد الفقه لمحمد البركتي ٣٣٠/١

معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"[١]، وهذا الكلام يشابه كثيراً ما يطلق عليه الوحدة الموضوعية.

أما صاحب رسالة دلالة السياق فقد قال: "كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجاً واحدا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق"[٢]

وقد توصل صاحب رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام إلى تعريف للسياق بعد استقرائه لاستعمال العلماء للسياق واعتمادهم عليه، ومن خلال وسائلهم وطرقهم في تحديده، ومن خلال صريح قولهم في مفهوم السياق، وهذا التعريف الذي توصل إليه هو: "أنه الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع"[٣]

ومن هنا يتضح أن للسياق عند العلماء والمؤلفين مفهومين:

أحدهما: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام.

الثاني: أن السياق هو التتابع والسرد الذي سيق الكلام على هيئته ووصفه في أسلوبه الذي بُنيت جمله وعباراته عليه حتى أصبح سياقا من الكلام يتبع بعضه بعضا في نظمه الذي ورد الخطاب به[٤]، إذاً التتابع والاتصال والترابط في التراكيب والنظم هو السياق.

والتعريف الثاني للسياق هو الذي ارتضيته وذلك لأن غرض الكلام أو ما يتبين من المعاني على ما يقتضيه الغرض ليس سياقه.

---

[١] دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن ص٨٨

[٢] دلالة السياق للدكتور ردة الله الطلحي ص٥١

[٣] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام : فهد الشتوي ص٢٧، وهذا ما اختاره فضيلة الدكتور محمد بازمول.

[٤] هذا التعريف لفضيلة الدكتور عويد المطرفي (ينظر رسالة دلالة السياق: فهد الشتوي ص٢٧)

المطلب الثالث: دلالة السياق:

الدلالة في اللغة: مصدر من الفعل (دلّ)، ولهذه المادة معان متعددة، منها: الهداية والإرشاد على نحو ما جاء في الأفعال المتعدية:" يدل دلالة أرشده وهداه "[١]

أما عند علماء المنطق فالدلالة هي: كون الشيء يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.[٢]

قال الزركشي – رحمه الله – :" دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"[٣]

وقال صاحب رسالة دلالة السياق القرآني:"ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.

ويمكن تعريف دلالة السياق في التفسير بأنها: بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق"[٤]

وهذا تعريف فيه نظر لأن بيان اللفظ بما لا يخرج عن السابق واللاحق في الآية هو تفسير لغوي وليس بيانا لدلالة السياق، وكذلك بالنسبة إلى بيان الجملة في الآية فهو بيان لظاهرها من خلال تركيبها أما فهم سياقها فلا يتضح إلا إذا نُظر إلى هذه الجملة من خلال العبارات التي جاء أسلوب الخطاب بها.

وعلى هذا فإن تعريف دلالة السياق هو:

معنى مفهوم غير مصرح به في النص يشير إليه عموم ارتباط السياق بالسباق واللحاق في أسلوب الخطاب الذي يُبحث فيه عن ذلك المعنى من ذي علم بالعربية ودُربة بأساليبها.[٥]

---

[١] ينظر الأفعال المتعدية ١٠٣/١

[٢] ينظر التعريفات ١٣٩/١

[٣] البحر المحيط للزركشي ٣٥٧/٤

[٤] دلالة السياق القرآني لعبد الحكيم القاسم ص٦٢

[٥] هذا التعريف لفضيلة الدكتور عويد المطرفي (ينظر رسالة دلالة السياق لفهد الشتوي ص٢٩)

المبحث الثاني: أصل القول بالسياق

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أصل القول بالسياق من سنة النبي ﷺ

المطلب الثاني: ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من اعتبار السياق

المطلب الأول: أصل القول بالسياق من سنة النبيﷺ

لقد ورد استعمال دلالة السياق في السنة، وفيما يلي أذكر بعضا من الأمثلة الدالة على ذلك:

المثال الأول: قال صاحب رسالة دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير مستدلاً على استعمال السياق من السنة:" قول النبيﷺ لعائشة رضي الله عنها[١] لما سألته عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المؤمنون ٦٠) ، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال:" لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يُقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات "[٢].

ثم قال: "وهذا مثال من السنة واضح في استعمال اللاحق من الآيات، في معرفة المعنى للجملة المفسرة، ورجع فيه النبيﷺ إلى السياق ليحلّ المشكل في الأذهان.. وهذا أوضح دليل من السنة على استعمال السياق فيما وصلت إليه".[٣]

المثال الثاني: ذكر صاحب رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام مثالاً آخر يدل على استعمال السياق من السنة بقوله: (إن من أصرح الأدلة في نظري في بيان تأصيل السياق هو ما جاء في حديث موسى عليه السلام مع الخضر وفيه قول النبي:" فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً"[٤]

---

[١] هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، تزوجها النبيﷺ بمكة وعمرها تسع سنوات، ولم يتزوج بكراً غيرها، توفيت سنة ٥٨هـ (ينظر صفة الصفوة ١٥/٢)

[٢] ينظر الترمذي في تفسير سورة المؤمنون ٣٢٧/٥، حديث رقم ٣١٧٥،

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، ١٤٠٤/٢، حديث رقم ٤١٩٨،

والحاكم في المستدرك ٤٢٧/٢ حديث رقم ٣٤٨٦، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

[٣] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير ص٨٧

[٤] ينظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله ٥٦/١، حديث رقم ١٢٢

وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر، ١٨٤٧/٤، حديث رقم ٢٣٨٠

ووجه ذلك: أن الله قال في سورة الكهف في الموضع الأول عن الحوت الذي حمله موسى عليه السلام وفتاه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾(الكهف٦١) ، وقال في الموضع الثاني: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (الكهف ٦٣) فالقصة واحدة، ولكن الوصف لذلك الحوت اختلف، ففي الأولى كان:﴿ سَرَبًا ﴾، وهو وصف للحوت الذي انسلّ ودخل البحر، وفي الثانية:﴿ عَجَبًا ﴾؛ لأنه بيان لحال موسى وفتاه عليهما السلام والذي بيّن ذلك هو السياق.)[١]

المثال الثالث: قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(الأنعام ٨٢) ، وقد ثبت في الصحيحين[٢]: أن الصحابة رضوان الله عليهم شقت عليهم هذه الآية لما نزلت، لِما فهموه من تعميم حكم الظلم على كل معصية، وأن مطلق الظلم يفقد الأمن المطلق.

عن ابن مسعود رضي الله عنه[٣] قال: لما نزلت:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، قلنا يا رسول الله: أيّنا لا يظلم نفسه، قال: " ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أولَم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾(لقمان ١٣)

---

[١] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في توجيه قصة موسى عليه السلام ص٥١

[٢] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:واتخذ الله إبراهيم خليلا،١٢٢٦/٣، حديث رقم ٣١٨١ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١، حديث رقم ١٢٤

[٣] هو:عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة، من السابقين الأولين، مات بالمدينة لما وفد سنة ٣٢هـ، (ينظر الكاشف ٥٩٧/١)

قال ابن قيم الجوزية [١] -رحمه الله -: " وأنكر على من فهم من قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الأنعام ٨٢) أنه ظلم النفس بالمعاصي، وبيّن أنه الشرك، وذكر قول لقمان لابنه:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(لقمان ١٣) ، مع أن سياق اللفظ عند إعطائه حقه من التأمل يبين ذلك؛ فإن الله سبحانه لم يقل: ولم يظلموا أنفسهم، بل قال:﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، ولبس الشيء بالشيء تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(البقرة ٨١) فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن أبداً فإن إيمانه يمنعه من إحاطة الخطيئة به، ومع أن سياق قوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾(الأنعام ٨١)، ثم حكم الله أعدل حكم وأصدقه أن من آمن ولم يلبس إيمانه بظلم فهو أحق بالأمن والهدى فدل على أن الظلم: الشرك"[٢]، ويقول-رحمه الله-: "فلما أشكل عليهم المراد بالظلم، وظنوا أن ظلم النفس داخل فيه وأن من ظَلَم نفسه أيّ ظُلمٍ كان لا يكون آمناً، أجابهمﷺ بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل، ويروي الغليل؛ فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضْع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام مانع من الأمن والهدى المطلق، ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعاً من مطلق الأمن ومطلق الهدى فتأمله، فالمطلق للمطلق والحصة للحصة."[٣]

---

[١] هو: الشيخ محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، العالم الفاضل المحقق شمس الدين، فسر الفاتحة ،وصنف التبيان في أقسام القرآن، وتوفي سنة ٧٥١هـ (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٢٨٤/١)

[٢] إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣٥١/١

[٣] الصواعق المرسلة ١٠٥٧/٣

المطلب الثاني: ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من اعتبار دلالة السياق:

اعتنى الصحابة بدلالة السياق وفسروا بمقتضاها القرآن الكريم، وفزعوا إليها في بيان ما اشتبه من المعاني، ومن أمثلة ذلك:

المثـــال الأول:أن رجلا سأل علي بن أبي طالبﷺ [١]، فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النســاء١٤١) وهــم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي بن أبي طالبﷺ:أدنه، ثــم قــال:﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النســاء١٤١) يــوم القيامة.[٢] وكذا كان قول ابن عباسﷺ.[٣]

المثال الثاني: الحديث المشهور عن ابن عمرﷺ [٤] قال: (قال النبـــيﷺ يــوم الأحزاب: "لا يصلينّ أحد العصر إلا في بني قريظة" فأدرك بعضهم العصر فـــي الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منـــا ذلك، فذُكر ذلك للنبيﷺ فلم يعنّف واحداً منهم.) هذا لفظ البخاري.[٥]

أما لفظ مسلم: فعن عبد الله قال:(نادى فينا رسول اللهﷺ يوم انصرف عـــن الأحزاب:" أن لا يصلينّ أحد الظهر إلا في بني قريظة"، فتخوف ناس فوت الوقت،

---

[١] هو: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين،وهو أحد الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنـــة، قتــل سنة٤٠هــ (ينظر تاريخ الخلفاء ١٦٦/١)

[٢] تفسير الطبري ٣٣٣/٥

[٣] هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وقال عمر: لــو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، مات سنة ٦٨هــ بالطائف، وهو أحد المكثرين مــن الصــحابة، وأحــد العبادلة، من فقهاء الصحابة (ينظر التقريب ٣٠٩/١)

[٤] هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وهو بن أربع عشرة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعا للأثــر، مــات ســنة ٧٣هــ(ينظر التقريب ٣١٥/١)

[٥] صحيح البخاري كتاب المغازي، باب مرجع النبيﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظـــة ومحاصـــرته إياهم، ١٥١٠/٤، حديث رقم ٣٨٩٣

فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول اللهﷺ وإن فاتنا الوقت، قال فما عنّف واحداً من الفريقين).[١]

قال النووي–رحمه الله–[٢]: "أما جمعهم بين الروايتين في كونها الظهر والعصر، فمحمول على أن هذا الأمر كان بعد دخول وقت الظهر، وقد صلّى الظهر بالمدينة بعضهم دون بعض، فقيل للذين لم يصلوا الظهر: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، وللذين صلوا بالمدينة: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، ويحتمل أنه قيل للجميع: ولا تصلوا العصر ولا الظهر إلا في بني قريظة، ويحتمل أنه قيل للذين ذهبوا أولاً: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، وللذين ذهبوا بعدهم: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، والله أعلم.

وأما اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في المبادرة بالصلاة عند ضيق وقتها وتأخيرها؛ فسببه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن الصلاة مأمور بها في الوقت مع أن المفهوم من قول النبيﷺ: لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة، المبادرة بالذهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء، لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه، من حيث أنه تأخير، فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم، نظراً إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوت الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخّروها، ولم يعنّف النبيﷺ واحداً من الفريقين لأنهم مجتهدون".[٣]

وقال ابن تيمية –رحمه الله–[٤]: "فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب، فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم، والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين ٣/١٣٩١، حديث رقم ١٧٧٠

[٢] هو: يحيى بن شرف بن مزي بن حسن بن حسين بن حزام ابن محمد بن جمعة النووي، الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا، شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، كان زاهدا، له مصنفات كثيرة مشهورة، مات سنة ٦٧٦هـ (ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٩٦)

[٣] شرح صحيح مسلم ١٢/٩٧-٩٨

[٤] هو: الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، أحد الأعلام، مات سنة ٧٢٨هـ (ينظر طبقات الحفاظ ١/٥٢٠)

هذه الصورة عن العموم، فإن المقصود المبادرة إلى القوم، وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافاً مشهوراً هل يخص العموم بالقياس؟ ومع هذا فالـذين صـلّوا فـي الطريق كانوا أصوب).[1]

[1] مجموع الفتاوى ٢٠/٢٥٣،

المبحث الثالث: عناية العلماء بالسياق وأهميته

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: عناية العلماء بالسياق

المطلب الثاني: أهمية السياق

المطلب الأول: عناية العلماء بالسياق:

تتضح عناية العلماء بالسياق بأمور:

الأمر الأول: من خلال أقوالهم في الحث على الاهتمام به، ومن ذلك: ما قاله الجويني -رحمه الله-[١]: "المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق".[٢]

وقال العز بن عبد السلام -رحمه الله-[٣]: " السياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال، مثاله:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾(الدخان٤٩) أي الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم".[٤]

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: " فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية".[٥]

وقال: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين".[٦]

---

[١] هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد العلامة إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي بن الشيخ أبي محمد الجويني، رئيس الشافعية بنيسابور، كان مولده سنة ٤١٠هـ،من مصنفاته النهاية والأساليب في الخلاف والإرشاد في أصول الدين وغيرها، توفي سنة ٤٧٨هـ (ينظر طبقات الشافعية ٢٥٥/١)

[٢] البرهان في أصول الفقه ٨٧٠/٢

[٣] هو: الشيخ عز الدين عبد العزيز عبد السلام الدمشقي السلمي، كان شيخا للإسلام، عالما ورعا زاهدا، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر،توفي سنة ٦٦٠هـ (ينظر طبقات الفقهاء ٢٦٧/١)

[٤] الإمام في بيان أدلة الأحكام ١٥٩/١

[٥] مجموع الفتاوى ١١٤/٦

[٦] مجموع الفتاوى ٩٤/١٥

وقال الكلبي –رحمه الله–[١] في بيان وجوه الترجيح: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل على ما قبله وما بعده"[٢]

وقال ابن دقيق العيد –رحمه الله– مبيناً أهمية السياق: " أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[٣]

وقال ابن قيم الجوزية –رحمه الله–: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته".[٤]

وقد ذكر الزركشي –رحمه الله– السياق في البرهان في حديثه عن النوع الثامن عشر (معرفة غريب القرآن) فقال في تعريفه له: "وهو يتصيد المعاني من السياق لأن مدلولات الألفاظ خاصة".[٥]

وقال: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له..."[٦]

وقال عند حديثه عن التفسير الذي لم يرد بالنقل فقال: " الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق".[٧]

---

[١] هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة كان عاكفا على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، وكان حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية، وأصول، وقراءات، وحديث، وأدب، وكان حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، وألف الكثير في فنون شتى منها: كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، وكتاب الأقوال السنية في الكلمات السنية، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، مات سنة ٧٤١هـ (ينظر الديباج المذهب ٢٩٥/١)

[٢] التسهيل لعلوم التنزيل ٩/١

[٣] إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢١/٢

[٤] بدائع الفوائد ٨١٥/٤

[٥] البرهان ٢٩١/١

[٦] البرهان ٣١٧/١

[٧] البرهان ١٧٢/٢

وقال السيوطي –رحمه الله– أثناء بيانه للشروط الواجبة على المفسر: "وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف، والغرض الذي سيق له الكلام".[١]

وقال الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله–[٢] مبيّناً أن المرتبة العليا لفهم القرآن هي الفهم العام للسياق القرآني، فيقول:"والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، ويُنظر فيه، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية...وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"[٣]

وقد جعل الدكتور محمد دراز –رحمه الله–[٤] فهم السياق على رأس قائمة الشروط الواجب على المفسر الإلمام بها، حيث قال:"إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها"[٥]

---

[١] الإتقان ٤٨٨/٢

[٢] هو: محمد رشيد رضا بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين علي خليفة القلموني، بغدادي الأصل، حسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، عالم بالأدب والحديث والتفسير والتاريخ، مات سنة ١٣٥٤هـ(ينظر الأعلام للزركلي ١٢٦/٦)

[٣] تفسير المنار ٢٢/١

[٤] هو: الدكتور محمد عبد الله دراز، ولد بكفر الشيخ بمصر سنة ١٨٩٤م، اشتغل بالتدريس في الأزهر وانتدب لتدريس تاريخ الأديان بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول سابقاً)، وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء، إلى جانب مناصب أخرى، توفي سنة ١٩٥٨م.(ينظر مقدمة كتابه، تحقيق:عبد الله بن إبراهيم الأنصاري)

[٥] النبأ العظيم ص١٥٨

وقال الشيخ السعدي –رحمه الله–[١] في مقدمته لتفسيره: " وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم، فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه".[٢]

الأمر الثاني: اهتمامهم بأسباب النزول، فقد اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم بهذا لما له من أثر في توجيه المتشابه لفهم المعنى.

قال ابن مسعودﷺ: " والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه".[٣]

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: "ومن فوائد معرفة الرسولﷺ معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه، وفهم المعنى، والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسولﷺ وسيرته مع قومه وأصحابه، وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافا كثيرا، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى

---

[١] هو: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي، صاحب التفسير والمؤلفات الكثيرة، ولد سنة ١٣٠٧هـ،حصر وقته للعلم والتعليم، كان لين الجانب،تتلمذ على يديه كبار العلماء ومنهم: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين –رحمه الله–، توفي سنة ١٣٧٦هـ(ينظر علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ٢٩٥/٢)

[٢] تفسير السعدي ٢٩/١

[٣] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ١٩١٢/٤ حديث رقم ٤٧١٦
صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن مسعودﷺ ١٩١٣/٤ حديث رقم ٢٤٦٣

رسولهﷺ وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير، وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي ينزه عنها كلام الله".[١]

وقال ابن تيمية –رحمه الله-: " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".[٢]

وفي الإتقان: "قال الواحدي[٣]: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن".[٤]

الأمر الثالث: اهتمام العلماء بعلم المناسبات.

وهو علم عظيم، يثمر ربط كلام الله بعضه ببعض، ويعين على فهم الآية، ويظهر إعجاز القرآن، قال الزركشي –رحمه الله- عند حديثه عن علم المناسبات: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء".[٥]

الأمر الرابع: اهتمام العلماء بتوجيه القراءات، و"توجيه القراءات هو في جوهره بحث لغوي خالص، بل هو من أدق بحوث اللغة، ولذلك لم يتصدر للبحث فيه إلا شيوخ علم اللغة".[٦] وهذا فيه نظر، فعلم توجيه القراءات ليس لغويا بحتاً.

الأمر الخامس: اهتمام العلماء بالوجوه والنظائر.

ومما يدل على ذلك كثرة المؤلفات في هذا العلم، قال ابن تيمية–رحمه الله-: "والأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه، وبعض المتواطئة أيضاً من

---

[١] تفسير السعدي ٣٦/١

[٢] مجموع الفتاوى ٣٣٩/١٣

[٣] هو: علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي، كان فقيها إماما في النحو واللغة، وكان إمام عصره في التفسير، له مصنفات كثيرة منها ثلاث كتب في التفسير:البسيط والوسيط والوجيز، وصنف في أسباب النزول، وكتاب المغازي، وغيرها الكثير، وله شعر مليح، توفي سنة ٤٦٨هـ(ينظر طبقات الشافعية الكبرى٢٤٠/٥)

[٤] الإتقان ٨٧/١

[٥] البرهان ٣٦/١

[٦] التناسب البياني في القرآن لأحمد أبو زيد ص٣٩

المتشابه، ويسميها أهل التفسير: الوجوه والنظائر، وصنفوا كتب الوجوه والنظائر، فالوجوه في الأسماء المشتركة، والنظائر في الأسماء المتواطئة".[١]

الأمر السادس: اهتمام العلماء بعلم غريب القرآن كما اهتموا بعلم الوجوه والنظائر، وهو قريب منها في الاعتناء بالسياق، إلا أن كتب الغريب أقل ذكراً للسياق من كتب الوجوه والنظائر.

الأمر السابع: اهتمام العلماء بعلم الوقف والابتداء.

الأمر الثامن: اهتمام العلماء بعلم معاني القرآن وتفسيره.

الأمر التاسع: اهتمام العلماء بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

ويأتي البحث فيه –بإذن الله– في الدراسة التطبيقية.

---

[١] مجموع الفتاوى ٢٧٦/١٣

المطلب الثاني: أهمية السياق:

تظهر أهمية السياق مما يلي:

١- أنه يعين على بيان المعنى وتحديده.

قال ابن تيمية –رحمه الله- :" فتأمَّل ما قبل الآية وما بعدها، يطلعك على حقيقة المعنى"[١]

وقد ذكرت سابقا قول ابن قيم الجوزية –رحمه الله- الذي يبين فيه أهمية السياق في بيان المعاني ومعرفة المراد من الكلام.[٢]

وقد أورد ابن قيم الجوزية –رحمه الله- مثالاً لذلك في قوله تعالى:﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾(الدخان ٤٩) ، فلو نظرنا إلى هذه الآية معزولة عن سياقها التي وردت فيه لاحتمل الأمر أن يكون المراد منها التكريم والتعظيم لكن بالنظر إليها وسط سياقها نجد أنها تدل على السخرية والاستهزاء ممن وجهت إليه.

يقول صاحب كتاب التطور الدلالي معقبا على هذه الآية:"ولا يخفى أن نطق كلمة ﴿ ذُقۡ ﴾ هنا لابد أن يكون منبوراً شديدا، وكذلك التوكيد في: ﴿ إِنَّكَ ﴾ ثم نغمة التهكم والسخرية في :﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ لأن سياق الآيات العجيب يحتم ذلك. ويلاحظ كذلك اختيار كلمة ﴿ فَٱعۡتِلُوهُ ﴾(الدخان ٤٧) دون غيرها لكي توحي بأن هذا الذي يدعي العزة والكرامة في الدنيا سوف يُقتلع من مكانته هذه ويُلقى في سواء الجحيم"[٣]

٢- وأنه مهم في بيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف.

---

[١] دقائق التفسير ٣١٣/٢

[٢] ينظر ص٥٢

[٣] التطور الدلالي ص٨١

يقول مسلم بن يسار – رحمه الله – [١]: "إذا حدثت عن الله حديثاً فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده"[٢]، وهذا يدل على الاهتمام بالسياق في كل تفسير قلّ أو كَثُر.

ويقول الكلبي رحمه الله–: من أوجه الترجيح " أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله، وما بعده"[٣]

ويقول ابن تيمية رحمه الله – في بيان أن السياق عنده هو الأصل العظيم في فهم كتاب الله وسنة رسوله: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية."[٤]

ثم يقول: "فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله أو بعض صفاته، لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد، حتى يكون ذلك طرداً للمثبِت، ونقضاً للنافي، بل يُنظر في كل آية وحديث، بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقا، ونافع في معرفة الاستدلال، والاعتراض والجواب، وطرْد الدليل ونقْضِه، فهو نافع في كل علمٍ خبري أو إنشائي، وفي كل استدلال أو معارضة من الكتاب والسنة، وفي سائر أدلة الخلق."[٥]

---

[١] هو: أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري الفقيه، مولى، تابعي ثقة، روى عن ابن عباس وابن عمر، توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل ١٠١هـ (ينظر تهذيب الكمال ٥٥١/٢٧، وسير أعلام النبلاء ٥١٠/٤، وتهذيب التهذيب ٧٣/٤)

[٢] تفسير ابن كثير ٧/١

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل ٩/١

[٤] مجموع الفتاوى ١٤/٦

[٥] مجموع الفتاوى ١٨/٦

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير ابن كثير –رحمه الله–[1] لقوله تعالى:﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾(المطففين ٢٣): " قيل معناه: ينظرون في مُلكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد. وقيل معناه:﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ إلى الله عز وجل. وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ (المطففين ١٥) فذُكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم".[2]

من هنا يظهر أن ابن كثير –رحمه الله– نظر إلى سياق الكلام في سابقه تصحيحاً لهذا التفسير، حيث إن الآية تُحمل على المعنيين لكن ابن كثير رجّح أحدهما باعتبار السياق.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ ﴾(الأنفال ٤١) حيث استُدل بهذه الآية على أن أول نزول القرآن كان في ليلة السابع عشر من رمضان، في غزوة بدر، فقيل:" الظاهر أن معناه: وما أنزلنا على عبدنا محمد من الوحي والملائكة والفتح في ذاك اليوم المشهود الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل في أول موقعة تاريخية انتصر فيها الإسلام، وقام للمسلمين بسببها شوكة ودولة، وإلى هذا الرأي جنح أكثر المفسرين...ويؤيده سياق النظم القرآني الكريم، فإن الآية نزلت لترويض قلوب المسلمين على الرضا بما شرع الله في قسمة الغنائم، وليقطعوا أطماعهم من الخمس، الذي قضى الله أن يكون له لا لهم، فإن الفضل في هذه الغنائم إنما هو لله، فهو الذي في هذا اليوم أنزل ما أنزل من هدايات وبشائر تثبت قلوبهم، وأنزل مدداً من لدنه، وسخر سائر أسباب النصر في هذه المعركة، وإذا كان الأمر كذلك فأطيعوا أيها المسلمون أمره في قسمة الغنائم الناتجة عن هذا النصر، و﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

---

[1] هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، الإمام الفقيه المحدث المفسر،له تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية، والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم،مات سنة ٧٧٤هـ (ينظر معجم المحدثين ٧٤/١، وطبقات الشافعية ٨٥/٣)

[2] تفسير ابن كثير ٤٨٧/٤

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ "[1]

٣- وهو مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، فهناك المناسبة بين السور، والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين القصص، والمناسبة بين كلمات السورة الواحدة، والمناسبة بين السورة واسمها.

يقول السيوطي -رحمه الله- في الإتقان:"الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن: هو أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة"[2]

ومن أمثلة ذلك ما أورده ابن الزبير الغرناطي -رحمه الله- في قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(القصص ٧١-٧٢) ، فقد ختمت الآية الأولى بقوله:﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾، والثانية بقوله:﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ حيث أجاب عن ذلك -رحمه الله- بقوله: "والجواب...: أن قوله تعالى في الآية الأولى:﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ مناسبٌ للمدرك ليلاً من ضربي ما يعتبر به المسموعات والمبصرات، وإنما تُدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعةٍ من إدراكها، فجيء بما يناسب مع ذكر النهار بما يناسب أيضا، فقيل:﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل بما يناسب، والله أعلم".[3]

٤-وهو مهم في بيان مرجع الضمير.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾(العاديات ٧) قيل: الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الإنسان، وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان المذكور

---

[1] مناهل العرفان ٧٥/١

[2] الإتقان ٢٩٣/٢

[3] ملاك التأويل ٩١٠/٢-٩١١

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝ ﴾(العاديات ٦) ، ولكن النظم الكـريم يدل على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ، بدليل قوله بعـده: وإنه لحب الخير لشديد، فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر، بجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم.[١]

٥- ويعين السياق على بيان المحذوف.

قال العز بن عبد السلام –رحمه الله-: "ولا يحذفون ما لا دليـل عليـه، وإذا دار المحذوف بين أمرين قدر أحسنهما لفظاً ومعنى، والسياق مرشد إليه، فيقدر في كل موضع أحسن ما يليق به".[٢]

ومثال ذلك ما قاله أبو السعود –رحمه الله-[٣] في قوله تعـالى:﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝ ﴾(مريم ١٨) : "﴿ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾: أي تتقـي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف، ثقة بدلالة السياق عليـه، أي: فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي".[٤]

٦ – وهو مهم في تحديد معنى المشترك اللفظي وهو مـا احتمـل لفظـه معنيين فأكثر.[٥]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝ ﴾(الـرحمن ٦) فـالنجم يراد به الفلك الدوار في أبراج السماء، ويراد به النبات الصغير قسيم الشـجر وهو ما لم يقم من النبات على ساق، ومجيء الشجر في سياق الآية الكريمـة يدل على أن المراد بالنجم هو المعنى الثاني.[٦]

---

[١] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ٢١٤/٤،

[٢] الإمام في بيان أدلة الأحكام ٢٠٤/١

[٣] هو المولى أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ولد سنة ٨٩٦هـ وهو سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين وتفسيره من أكمل التفاسير وصنف الحاشية على تفسير الكشاف بلغها إلى آخر سورة الفـتح وسماها معاقد النظر توفي سنة ٩٨٢هـ (أنظر طبقات المفسرين للداودي ٣٩٨/١)

[٤] تفسير أبي السعود ٢٦٠/٥

[٥] ينظر الصاحبي ص٣٢٧

[٦] ينظر المعنى بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجـاحظ للـدكتور محمـد العريان ص١٨

٧-ويعين السياق على تحديد زمن النزول.

ومثال ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾(البقرة ١٩٤) : " اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فقال بعضهم:... هذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وليس لهم سلطان يقهر المشركين، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى، فأمر الله المسلمين من يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أوتي إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل، فلما هاجر رسول اللهﷺ إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين فقاتلوهم كما قاتلوكم، وقالوا نزلت هذه الآية على رسول اللهﷺ بالمدينة وبعد عمرة القضية...، وأشبه التأويلين بما دل عليه ظاهر الآية الذي حكي عن مجاهد[1] (وهو القول الثاني)؛ لأن الآيات قبلها إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة، وذلك قوله:﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾(البقرة ١٩٠) والآيات بعدها، وقوله:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد، والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة، فمعلوم بذلك أن قوله:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ مدني لا مكي، إذ كان فرض قتال المشركين لم يكن وجب على المؤمنين بمكة".[2]

---

[1] هو: مجاهد بن جبير أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي المكي، إمام في التفسير والتأويل، ثقة، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل سنة١٠٣هـ، وقيل سنة١٠٤هـ (ينظر حلية الأولياء ٢٧٩/٣، الكاشف ٢٤٠/٢، التقريب ٥٢٠/١، والتاريخ الكبير ٤١٢/٧)

[2] تفسير الطبري ١٩٩/٢

٨-كما أن السياق مهم في الدلالة على وجود النسخ وعدمه.

ومن ذلك ما أورده ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ (الأنفال ٦٥) حيث قال: "وهذه الآية أعني قوله:﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر فإن معناها الأمر، يدل على ذلك قوله: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾ (الأنفال ٦٦) فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً لم يكن للتخفيف وجه؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً لم يكن للترخيص وجه إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد، وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله:﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾ ناسخ لحكم قوله:﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾."[١]، فمن قال: بأن الآية الأولى على وجه الندب لا الفرض، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه؛ لقوله تعالى:﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾ والتخفيف مقابل الإيجاب، وهذا يدل على نسخ الأولى بالثانية، وقد يكون الخلاف لفظياً، إذ من العلماء من يعتبر التخفيف نسخاً، ومنهم من لا يعتبره كذلك، والمراد أن الحكم في الآية الأولى تغير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار إلى وجوب مصابرته لاثنين منهم، وتحرير محل النزاع هو: هل يعتبر التخفيف نسخاً أم لا؟

قال الشوكاني – رحمه الله-: "وقد اختلف أهل العلم: هل هذا التخفيف نسخ أم لا؟ ولا يتعلق بذلك كثير فائدة."[٢]

---

[١] تفسير الطبري ٤١/١٠

[٢] فتح القدير ٣٢٤/٢

٩-ويعين السياق على بيان سبب النزول الصحيح عند تعدد أسباب النزول.

ويدل على ذلك ما قاله ابن جرير الطبري -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(النساء ٦٥) : " واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت، فقال بعضهم: نزلت في الزبير بن العوام[١] وخصم له من الأنصار اختصما إلى النبيﷺ في بعض الأمور...، وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في المنافق واليهودي اللذين وصف الله صفتهما في قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ (النساء ٦٠) ...، قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول مَن قال عني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ أولى بالصواب؛ لأن قوله:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى، فإن ظنّ ظانّ أن في الذي روي عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة، وقول مَن قال في خبرهما فنزلت:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ما يُنبئ عن انقطاع حُكم هذه الآية وقصتها مِن قصة الآيات قبلها، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في حصة المحتكمين إلى الطاغوت ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري إذ كانت الآية دالة على ذلك، وإذ كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى، ما دام الكلام متسقة معانيه

---

[١] هو: الزبير بن العوام الأسدي حواري رسول الله، وابن عمته صفية، وابن أخي خديجة، وأول من سل سيفاً في سبيل الله، استشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ (ينظر الكاشف ١/٤٠٢)

على سياقٍ واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ما قبله".[١]

١٠-يعين السياق على تحديد أسلوب الكلام، فحيناً يخالف ظاهره المقصود به، فيأتي التعبير بالماضي والمقصود به المضارع، أو العكس، وحيناً يكون ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء، ونحو ذلك.

ومثال ذلك قول الله تعالى:﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾(البقرة ٢٢٨) ، وقوله تعالى:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ﴾(البقرة ٢٣٣) ، فالأسلوب أسلوب خبر لكن المراد من ذلك الأمر، والمرشد هو السياق، فالصيغة كانت مقصودة للدلالة على الأمر، قال الزركشي -رحمه الله- عن هاتين الآيتين: "السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك، لا أنه خبر وإلا لزم الخُلف في الخبر".[٢]

١١-وهو مهم في الرد على الفرق المنحرفة عن العقيدة الصحيحة.

ومن ذلك تنازع كثير من مثبتي القدر ونفاته في قوله تعالى:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾(النساء ٧٩) ، فكان منهم من قال: الأفعال كلها من الله لقوله:﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(النساء ٧٨) ، ومنهم من قال: الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله:﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ ، وقد أبطل ابن تيمية -رحمه الله- هذين القولين وقرر العقيدة الصحيحة، ووظف السياق توظيفا حكيما في تقرير ذلك، فإنه:

أولا: بيّن أن لغة القرآن قد ورد فيها استعمال لفظ الحسنة في الطاعات وفي النعم، وأما السيئة فوردت بمعنى المعصية وبمعنى المصيبة.

ثانيا: قرر أن الوارد في الآيتين محل البحث إنما هو النعم والمصائب، مستدلا على ذلك بما في ألفاظ الآية:﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ فإنه من فعل غيرك بك، وبين

---

[١] تفسير الطبري٥/ ١٥٨-١٦٠

[٢] البرهان ٢/٣٢٠

نظيره من الألفاظ التي أتت بمثل هذا المعنى، كلفظ (مسّك) ونحوه، ثم بين أن اللفظ الذي يبين الطاعة والمعصية هو لفظ (جاء) كقوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ (الأنعام ١٦٠)

ثالثا: قُرر هذا المعنى الصحيح من خلال سياق النص، فإن الآية وردت في سياق الحث على الجهاد وذم المتخلفين عنه، فذكر سبحانه ما يصيب المؤمنين من المصيبة فيه وتارة من فضل الله.

رابعا: زاد الأمر تأكيدا بالنظر إلى سياق القرآن، فأورد نظير هذا المعنى في القرآن في قصة موسى عليه السلام وفرعون، وما ورد كذلك في سورة يس.[1]

١٢- والسياق مهم في تخصيص العام أو تعميم الخاص.

قال الزركشي -رحمه الله-: "مسألة هل يترك العموم لأجل السياق؟ يخرج من كلام الشافعي في هذه المسألة قولان، فإنه تردد قوله في الأمَة الحامل إذا طلقها بائنا هل يجب لها النفقة أم لا؟ على قولين:

أحدهما: نعم، لعموم قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(الطلاق ٦)

والثاني: لا؛ لأن سياق الآية يشعر بإرادة الحرائر، لقوله: ﴿ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾(الطلاق ٦) ، فضرب أجلا تعود المرأة بعد مضيه إلى الاستقلال بنفسها، والأمة لا تستقل، وأطلق الصيرفي جواز التخصيص بالسياق، ومثّله بقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾(آل عمران ١٧٣) ، وكلام الشافعي-رحمه الله-[2] في الرسالة يقتضيه، بل بوب على ذلك بابا، فقال: باب الذي يبين سياقه معناه، وذكر قوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى ١٤/٢٣٧-٢٤٠، وتفسير أبي السعود ٢/٢٠٥

[2] هو: محمد بن إدريس أبو عبد الله المطلبي المكي الشافعي الإمام ناصر الحديث، مات سنة ٢٠٤هـ (ينظر الكاشف ٢/١٥٥)

(الأعراف ١٦٣) ، فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلها، وهو قولــه:﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾(الأعراف ١٦٣) ".[١]

وقد اعتنى ابن قيم الجوزية –رحمه الله– كذلك ببيان أن السياق قـد يكـون مخصصا للعام أو معمما للخاص، ومن تعميم الخاص قوله تعـالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾(الإسراء٢٣) فهو خاص لكننا نفهم منه معنى عاما، وهو إرادة النهي عن جميـع أنواع الأذى بالقول والفعل وإن لم ترد نصوص أخرى بالنهي عن عموم الأذى.[٢]

ومن تخصيص العام قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾(البقرة ٢٧٥) فهذا عامٌ خصّصه ما روي عن النبي من النهي عن بيع الدرهم بالدرهمين.[٣]

١٣–وللسياق أهمية في الترجيح بين معاني القراءات.

فقد رجّح ابن كثير –رحمه الله– قراءة (يؤتون) السبعية على قراءة (يأتون)[٤] في قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المؤمنـون ٦٠) فبيّن أن المراد الآثام بالسياق لقوله بعدها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(المؤمنـون ٦١) ومن فعـل الآثـام كـان مـن المقتصـدين أو المقصرين.[٥]

١٤– وهو معين على معرفة سبب التقديم؛ لأن أحد أسباب التقديم ما دل عليه السياق.

قال الزركشي في المقتضى التاسع من مقتضيات تقديم ما قُدم والمعنـى عليه: " التاسع: سبق ما يقتضى تقديمه، وهو دلالة السياق كقوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾(النحل ٦) لما كان إسراحها وهـي خماص وإراحتها وهي بطان قدم الإراحة؛ لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

---

[١] البحر المحيط للزركشي ٥١١/٢، والرسالة ٦٢/١

[٢] ينظر ابن قيم الجوزية جهوده في التفسير اللغوي، للدكتور طاهر سليمان حمودة، ص١٧٤،

[٣] ينظر صحيح البخاري كتاب البيوع ٧٦/٣

[٤] قراءة شاذة. ينظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٩٨، والمحتسب لابن جني ٩٥/٢

[٥] ينظر تفسير ابن كثير ٢٤١/٣

وقوله:﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء ٩١) لأن السياق في ذكر مريم في قوله:﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾(الأنبياء ٩١) ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان، قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾(المؤمنون ٥٠)

وقوله:﴿ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾الأنبياء ٧٩) فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم، ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه، قال تعالى:﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأنبياء ٧٨) "[1]

١٥- والسياق مهم في إظهار الإعجاز البياني في القرآن.

فالقرآن الكريم امتاز بالجزالة في الألفاظ، والتناسق والترتيب بين الآيات، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب المفسرين، وكتب توجيه المتشابه، فإن كل مَن راعى السياق في تفسيره أو توجيهه فهو بلا شك يعتبر موضحا ومبيناً لوجه من بلاغة القرآن وبديعه وبيانه، ومن ذلك ما قاله ابن الزبير الغرناطي -رحمه الله- عند قوله تعالى من سورة الانشقاق:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾ (الانشقاق ٢٢) ، وفي قوله في سورة البروج:﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (البروج ١٩) : "للسائل أن يسأل عن اختصاص الأول بقوله:﴿ يُكَذِّبُونَ ﴾ بلفظ المضارع، والثانية بقول:﴿ فِى تَكْذِيبٍ ﴾ بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود؟ والجواب عن ذلك -والله أعلم- أن آية الانشقاق تقدمها وعيد أخروي، كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال وإن كان يصلح للحال، ليطابق الإخبار لأنه عما يأتي، ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في استقباله، فأما آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ ﴾(البروج ١٧) ، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدم

---

[1] البرهان ٣/٢٦٢

ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل:﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ ... فجيء في كل من الآيتين بما يناسب.

١٦-والسياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القــرآن، الــذي يظهــر الإعجاز البياني للقرآن، فقد ظهر الإعجاز البياني بجلاء في كتب المتشابه من القرآن؛ لأن المؤلفين لهذه الكتب يعمدون إلى السياق غالباً؛ للتعرف على سبب الاختلاف بين آية وأخرى.

وأمثلة ذلك في الدراسة التطبيقية بعون الله.

المبحث الرابع: أركان السياق وأنواعه

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أركان السياق

المطلب الثاني: أنواع السياق

المطلب الأول: أركان السياق:

قال الرازي –رحمه الله–: "وركن الشيء جانبه الأقوى".[١]

ركن الشيء هو جانبه الذي لا يقوم إلا به، فالركن بهذا هو من ماهية الشيء، وبذلك فإن أركان السياق هي كالشرح لتعريفه السابق ذكره، وقد ذكرت في تعريف السياق أنه عبارة عن تتابع للكلام مع مراعاة السابق واللاحق عليه، والاهتمام في كل ذلك بالألفاظ ومعانيها، فلهذا أصبح للسياق ثلاثة أركان:

الركن الأول: السباق:

والسباق لغة: قال ابن فارس –رحمه الله–: " سبق: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم".[٢]

وقال الجوهري –رحمه الله–: "سابَقه فسبقه من باب ضرب، و استبقا في العدو أي تسابقا".[٣]

فكلمة السباق تعني تقدم شيء على آخر، وترابطهما.

اصطلاحا: هو الكلام الذي يبين معنى ما بعده.

وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

عن يُسيع الحضرمي –رحمه الله–[٤] قال: " كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ فقال رجل: (يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله:﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(النساء ١٤١) ،وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون.) قال له علي: ادنه، ادنه، ثم قال:﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾النساء

---

[١] مختار الصحاح ١٠٧/١، وينظر اللسان ١٨٥/١٣

[٢] معجم مقاييس اللغة ١٢٩/٣

[٣] مختار الصحاح ١٢٠/١

[٤] هو: يُسيع بن معدان الحضرمي، وثقه النسائي، وقال ابن المديني: معروف، وذكره ابن حبان في الثقات، (ينظر الثقات ٥٥٨/٥، وتهذيب التهذيب ٤٣٨/٤)

١٤١) يوم القيامة، فبيّن عليﷺ أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السباق، وهي في قوله تعالى:﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ ﴾ [1]

الركن الثاني: اللحاق:

واللحاق لغة: قال ابن فارس –رحمه الله–:"اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق، وأُلحق بمعناه...، وربما قالوا: لحقْته اتبعته، وألحَقته وصلت إليه..."[2]

وقال الزبيدي–رحمه الله–: "وتلاحقت الأخبار: تتابعت، وكذا أحوال القوم".[3]

ومن هذا يتبين أن معنى اللحاق في اللغة إدراك شيء لشيء، وتجاوزه إلى ما بعده.

اصطلاحا: هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله.

ويتضح هذا بأمثلة كثيرة، منها: عن قتادة[4] في قوله:﴿ يَـٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(المائدة ١١٦) متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول:﴿ هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾(المائدة ١١٩) [5]

فقوله:﴿ هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ لحقت الآية المسئول عنها، ففسرت وقت الحدث بأنه يوم القيامة.

---

[1] تفسير الطبري ٤٤٤/٥

[2] معجم مقاييس اللغة ٢٣٨/٥

[3] تاج العروس ٦١/٧

[4] هو: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضرير الأكمه، قدوة المفسرين والمحدثين،له تفسير مجلد، مات سنة ١١٧هـ (ينظر سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥)

[5] تفسير الطبري ٧:١٣٧

الركن الثالث: ألفاظ الكلام:

وهذا الركن يقوم على ثلاثة أركان أو ثلاثة أمور،

الأمر الأول: المفـردات: لأن "النظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيـق المعـاني وخفي الإشارات"[١]

وقد بلغ من اهتمام العلماء بمعنى المفردة أن اهتموا بحروفها التي تتركـب منها، فكانوا يلاحظون بهذا التناسب بين الألفاظ والمعاني، وكل هذا يبين اهتمامهم بالمفردة لما للسياق من أثر كبير في توجيه المتشابه في فهم النص.

الأمر الثاني: هيئة الكلمة، بمعرفة تصريفها واشتقاقها، ذلـك أن المعـاني تختلف باختلاف ذلك.

فإذا كان الاختلاف في هيئة الكلمة يثير اهتمام الدارس للغة العـرب، حتـى تتبين له المعاني المختبئة وراء الألفاظ، فإن الدارس للمتشابه يثيـر هـذا الأمـر اهتمامه أضعاف ذلك، والسبب في هذا أن المتشابه تأتي فيه الصيغ المختلفة فـي موضوع واحد.

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتهـا ببعض.

إن في تبيّن معنى المفردة ودلالة هيئتها، ثم ما يكون بعده من تحديد علاقات المفردات في الجملة، وعلاقات الجمل ببعضها، بعد ذلك كله تتبين دلالة الألفـاظ على المعاني.

قال ابن تيمية –رحمه الله-: " ولابد في تفسير القـرآن والحـديث مـن أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامـه؟ فمعرفـة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكـذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني".[٢]

---

[١] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٢٦١

[٢] مجموع الفتاوى ١١٦/٧

إن "دراسة الجملة قد استنفذت جهدا كبيرا من علماء النحو والبلاغة، وقد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية، كما قامت الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية، أو يحدد بين اللونين تحديدا كاملا".[١]

وفي دراسة المتشابه من مباحث نظم الجملة الشيء الكثير، فإننا نجد من أنواع المتشابه: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، وصور التوكيد، وأسرار الإعراب، وفي الجمل من مباحث الفصل والوصل، وترتيب الجمل، والاختصار في القصص، واختلاف التذييل وهو ما يسمى بالفواصل وغيرها، وقد بينت ذلك في مبحث أنواع المتشابه، وتوجيه ما ورد في ذلك من متشابه القصة في الدراسة التطبيقية.

وللزركشي –رحمه الله– كلام يلخص ويؤكد ما قلته عن هذا الركن، يقول: " فصل فيما يجب على المفسر البداءة به: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها: تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره، وهو كما قالوا إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها، وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة.

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف.

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.

---

[١] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص٣٢٤

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع، وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني: لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلق بعلم البديع."[1]

---

[1] البرهان ٢/١٧٣-١٧٤

المطلب الثاني: أنواع السياق:

يقول صاحب كتاب دلالة السياق:" السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى"[1]

ومن هذا القول تتضح أنواع السياق، وهي:

١- سياق الآية.

٢- سياق النص.

٣- سياق السورة.

٤- سياق القرآن.

وتفصيل ذلك كما يلي:

النوع الأول: سياق الآية:

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى آية، فإننا ننظر في السياق، كوجود لفظ مشترك في الآية لا يتضح معناه إلا بمعرفة سياق الآية.

مثال ذلك: لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية، والتزويج،[2] ويتحدد المعنى المراد منها بالسياق، ففي قوله تعالى:﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾(النساء ٢٥) المراد بالإحصان هنا التزويج، لدلالة السياق.

---

[1] دلالة السياق ص٨٨

[2] ينظر أضواء البيان ٢٣٣/١

قال الشنقيطي –رحمه الله–[١]: " قوله تعالى:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ ﴾ الآية، أي: فإذا تزوجن، وقول من قال من العلماء، إن المراد بالإحصان في قوله: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾ الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً ﴾(النساء ٢٥) [٢]

وقال ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: " أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ (النساء ٢٥) والله أعلم، والآية الكريمة ساقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله:﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾: أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره".[٣]

فقد اتفق الشنقيطي وابن كثير –رحمهما الله– على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

النوع الثاني: سياق النص.

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيراً في سياق القصص، فيكون الترجيح أحياناً بناء على سياق النص.

مثال ذلك: ما قاله النحاس –رحمه الله–[٤] في قوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾(البروج ١٣) في معناه قولان، قال ابن زيد: يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة. وعن ابن عباس:" يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة،

---

[١] هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن المختار الجكني الشنقيطي، ولد سنة ١٣٠٥هـ، له تفسير أضواء البيان مات سنة ١٣٩٣هـ ودفن بمكة (ينظر مقدمة كتابه للشيخ عطية محمد سالم)

[٢] ينظر أضواء البيان ٢٣٣/١

[٣] تفسير ابن كثير ٤٧٧/١

[٤] هو:أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، من أهل مصر رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان والزجاج وغيرهم، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٣٧هـ ، وقيل سنة ٣٣٨هـ، له مصنفات كثيرة في إعراب القرآن والنحو (ينظر معجم الأدباء ٦١٧/١ وطبقات المفسرين للداوودي ٧٢/١)

قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن سياق القصة أنهم أُحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم".[١]

النوع الثالث: سياق السورة.

لقد نظر العلماء في سياق السور، وبحثوا عن الغرض الرئيسي الذي تدور عليه السورة، يقول الدكتور محمد دراز –رحمه الله– مشيراً إلى أن كل سورة تدور حول وحدةٍ واحدة: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأُقيم كل أصل منها على شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد، قد وُضع رسمه مرة واحدة... كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حُسن السياقة، ولطف التمهيد في مطلع كل غرض، ومقطعه وأثنائه."[٢]
ومن الأمثلة التي تبيّن أهمية دراسة سياق السورة ما يلي:

١–لقد بحث ابن قيم الجوزية –رحمه الله– وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها، فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط، فيقول –رحمه الله–: " في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما".[٣]

٢– وبين ابن تيمية –رحمه الله– وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي ﷺ وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب، وبين ذِكر غزوة الأحزاب في السورة، وهي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة.

---

[١] إعراب القرآن ١٩٤/٥
[٢] النبأ العظيم ص١٥٥
[٣] الأمثال في القرآن ص٧٥

فيقول –رحمه الله– عن سورة الأحزاب: "وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده، وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم. ذكر فيها خصائص رسول اللهﷺ وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال".[١]

فقد تبيّن من سياق السورة وجه المناسبات التي قد تكون غير واضحة.

النوع الرابع: سياق القرآن.

يقول صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: "أما السياق القرآني فإننا نقصد به أمرين:

١-الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، الأمر الذي يؤكد ضرورة الإلمام بهذا الأسلوب، ومعرفة خصائصه، مع معرفة الأغراض والمقاصد الكلية، والاتجاهات العامة الثابتة في القرآن الكريم.

٢-الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة:

أما في الآيات: فمثل قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾القصص ٢٠) ، وقوله:﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ (يس ٢٠) ، فالتركيز فيما يظهر في آية يس على الرجل ذاته، أما التركيز في آية القصص فهو على سعي الرجل، إذ السياق في الأولى يركز في قصة موسىعليه السلام على ضرورة السعي لإنقاذه، والسياق في الثانية (سورة يس) يركز على الرجل المؤمن لأهمية موقفه من أهل قريته ودعوة الرسل، ومآل أمره.

[١] مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٣

وأما في النصوص: وخاصة القصصية منها، فمثل قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة، بين سورة الشعراء وسورة الأعراف، حيث نلاحظ اختلافات في بعض الألفاظ وفي ترتيبها، ففي سورة الأعراف:﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝١١٠ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢ ﴾(الأعراف ١٠٧-١١٢) ، وفي سورة الشعراء:﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝٣٥ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧ ﴾(الشعراء ٣٢-٣٧) .

فنحن نلاحظ أن السياق في آيات الشعراء يركز على فرعون، ويهول من أمره في مقابلة اشتداد موسى عليه السلام عليه في المحاجة، حتى بدا أنه غالبُه، بينما في سورة الأعراف فإن السياق يخلو من هذا التركيز ولا يركز إلا على التفكير في كيفية الخلاص من موسى عليه السلام".[1]

[1] دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ص٨٨-٨٩

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية على قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام والموازنة بين المتشابه اللفظي لهذه القصص

تمهيد

هذا القسم الثاني من أقسام البحث وهو القسم التطبيقي الذي هو لبّ البحث وثمرته، ولقد اتبعت في هذا القسم المنهج التالي:

أولاً: حصرت الآيات المتشابهة في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، وجعلتها وحدات مرقمة، لكل سورة أرقامها، متتبعة السور والوحدات حسب ترتيب ورودها في المصحف، فابتدأت بسورة الأعراف وما يشتبه معها من السور، ثم يونس وهكذا.

ثانياً: ما سبق توجيهه من آيات السور المتأخرة في السور المتقدمة عليها أحلته إليه هناك، محاكية بذلك الحاصل في كتب توجيه المتشابه.

ثالثاً: قدمت لكل سورة بمقدمة ألخص فيها سياق السورة العام، وسياق القصة الخاص، والمناسبة بين السياقين، واقتصرت على بيان سياق القصة الخاص في السور التي وردت فيها القصة مختصرة، معتمدة في ذلك على أقوال العلماء، وكل السور المتأخر ورودها والمشاركة في المتشابه فإني أحلت على سياقها في مواضعها وهكذا.

رابعاً: أوردت آيات الوحدات كاملة دون الاقتصار على موضع الشاهد منها، وعزوت كل آية برقمها لسورتها، حتى يحصل التأمل في كامل الآية؛ ولأهمية ذلك في بيان دلالة السياق.

خامساً: بينت مواضع التشابه في كل وحدة، وبينت نوع هذا التشابه.

سادساً: بيّنت أثر السياق في توجيه المتشابه، والذي هو ثمرة هذا البحث.

سابعاً: التزمت بقاعدة وهي أن كل لفظ أتى في موضعه فهو المناسب لذلك الموضع لا ينوب عنه غيره، وقد طوعت توجيهي لكل لفظ في محله.

ثامناً: ذكرت من القراءات ما له أثر في توجيه المعنى.

القصة الأولى

قصة نوح عليه السلام

قصة نوح عليه السلام

وردت هذه القصة في كتاب الله في السور التالية:

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(الأعراف ٥٩-٦٤)

سورة يونس: قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾(يونس ٧١،٧٣)

سورة هود: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟

رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ
عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ
لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ
جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم
بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن
كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ
ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن
قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا
وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن
قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ
تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ
ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ
وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي
لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ
يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ
قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ
ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ
وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ
إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ
ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي

وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾(هود ٠٢٥-٠٤٩)

سورة الأنبياء: قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(الأنبياء ٠٧٦-٠٧٧)

سورة المؤمنون: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(المؤمنون ٠٢٣-٠٣٠)

سورة الفرقان: قال تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ ﴾(الفرقان ٠٣٧)

سورة الشعراء: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ

لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾(الشعراء ١٠٥-١٢٢)

سورة العنكبوت: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾(العنكبوت ٠١٤-٠١٥)

سورة الصافات: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾(الصافات ٠٧٥-٠٨٢)

سورة الذاريات: قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الذاريات ٠٤٦)

سورة النجم: قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾(النجم ٠٥٢)

سورة القمر: قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾

(القمر ٠٠٩-٠١٦)

سورة الحاقة: قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (الحاقة ٠١١-٠١٢)

سورة نوح: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ۝٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ۝٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ۝٢٥ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ۝٢٨ ﴾(نوح ٠٠١-٠٢٨)

وبذلك يكون مجموع آيات هذه القصة في كتاب الله في سوره المختلفة ما يزيد عن مائة وعشر آيات، في كل موضع زيادة شيء لم تُذكر في الذي قبله، أو إبدالٌ لنكتة، وهذا من بلاغة القرآن الكريم، وجميع هذه الآيات تدور حول إرسال نوح عليه السلام إلى قومه، ودعوته لهم إلى توحيد الله، وكفرهم به، وسخريتهم منه، وتخويفه لهم من غضب الله، ومطالبته لهم بالنظر في حاله، وأنه لا يطلب منهم

على دعوته أجراً، وصبره عليهم، فهاهو يدعوهم وينصحهم ليلاً ونهــاراً، ســـراً وجهاراً، ومع ذلك أصروا واستكبروا، ثم تحدثت عن أمْر الله له بصنع السفينة بعد أن يئس من صلاحهم، وركوبهم فيها عندما يفور التنّور، ونجاته مع من آمن معه، وغرق الكافرين.

وفيما يلي حصر وبيان للمتشابه اللفظي في جميع هذه السور ســورةً ســـورة متسلسلةً حسب ترتيب المصحف:

سورة الأعراف

مكيتها ومدنيتها:

هي سورةٌ مكية، قال النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ:" قال يموت بن المزرع [١] ، قال حدثنا أبو حاتم [٢]، قال حدثنا أبو عبيدة [٣]، قال حدثنا يونس بن حبيب، عن أبي عمرو بن العلاء [٤]، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال : وسورة الأعراف نزلت بمكة "[٥]

إلا آيات نزلت بالمدينة وهي ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا

---

[١] هو: يموت بن المزرع بن يموت أبو بكر العبدي من عبد القيس، وهو ثوري وهو ابن أخت الجاحظ، قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي وكان صاحب أخبار وآداب، وقد غير اسمه بمحمد فلم يغلب عليه إلا الأول، توفي بدمشق سنة ٣٠٤هـ (ينظر البداية والنهاية ١٢٧/١١، والبلغة ٢٤٤/١، وتاريخ بغداد ٣٦٠/١٤هـ)

[٢] هو: سهل بن محمد بن عثمان السجستاني المقرئ النحوي، أخذ عن يزيد بن هارون وأبي عبيدة، كان صدوقا من أعلم الناس بالأصمعي، توفي سنة ٢٥٥هـ (ينظر الكاشف ٤٧٠/١، والتقريب ٢٥٨/١)

[٣] هو: معمَر بن المثنى التيمي البصري اللغوي النحوي، كان صدوقا ثقة له تفسير حديث في الزكاة، توفي سنة ٢٠٨هـ، وقيل سنة ٢٠٩هـ على خلاف. (ينظر الكاشف ٢٨٢/٢، والتقريب ٥٤١/١، وتهذيب الكمال ٣١٨/٢٨)

[٤] هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن عمرو بن خزاعي بن مالك بن مازن بن عمرو بن تميم التميمي المازني، النحوي البصري المقرئ أحد الأئمة القراء السبعة، وقيل في نسبه غير ذلك، واختلف في اسمه فقيل اسمه زبان، وقيل العريان، وقيل يحيى، وقيل اسمه كنيته، وكان مقدما في عصره عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم باللغة إمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة وفقهه في العربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعا في علمه، توفي سنة ١٥٤هـ (ينظر التقريب ٦٦٠/١، والتهذيب ١٩٧/١٢، وتهذيب الكمال ١٢٣/٣٤)

[٥] الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٥/١

كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (الأعراف ١٦٣-١٦٧) نزلت في اليهود بالمدينة[١]، والصحيح المختار أنها كلها مكية.[٢]

فإن قيل: كيف يكون ذلك وقوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ حديث لبني إسرائيل ومخاطبتهم في القرآن لم تكن إلا في المدينة فكيف تكون السورة كلها مكية؟

أقول: هذا غير مسلّم لأن السورة حكت عن قصص بني إسرائيل ليعلم النبيﷺ بها كفار مكة وهذا من إعجاز القرآن الكريم، لذا لم تذكر السورة من المختلف في مكيتها ومدنيتها بل اتفقوا على كونها مكية.

موضوعات السورة:

هي من أطول السور المكية، عدد آياتها مائتان وست ، وهي أول سورة تناولت قصص الأنبياء بالتفصيل، وهي كغيرها من السور المكية تعتني بأصول الدعوة والعقيدة الإسلامية من توحيد الله عز وجل وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرسالة، وقد تحدثت في بدايتها عن نعمة القرآن التي أنعم الله بها على البشرية وأنه المعجزة الخالدة، وبينت وجوب التمسك بما فيه للفوز بسعادة الدارين.

ثم توجهت السورة إلى بيان نعمة خلقهم من أب واحد وهو آدم ؏، وبسطت فيها هذه القصة كما لم تبسط في غيرها، فأخبرت عما كان من أمر الله تعالى للملائكة بالسجود له، ثم حذرت من كيد الشيطان، ثم بعد الحديث عن قصة آدم مع إبليس وخروجه من الجنة تناولت النداءات المتتالية لبني آدم المحذرة لهم من إبليس ووسوسته .

ثم انتقلت السورة للحديث عن مشهدٍ من مشاهد يوم القيامة، مشهد فريق المؤمنين أصحاب الجنة، ومشهد فريق الكافرين أصحاب النار، ومناظرة بعضهم

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ للمقري ٩٠/١ ، وينظر البيان في عد آي القران لأبي عمرو الداني١٥٥/١

[٢] ينظر تفسير المنار ٢٩٤/٨

بعضاً، ومشهد أصحاب الأعراف وهم الذين سميت السورة باسمهم، ونداءهم لكلا الفريقين.

ثم سردت السورة قصص الأنبياء بإسهاب : نوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وبينت أحوال أممهم وكيفية إهلاكهم بتفصيلٍ شافٍ مستوعب لم يقع نظيره في سورة أخرى.

وقد ابتدأت السورة بذكر قصة نوح عليه السلام، وما لاقاه من قومه من جحود وعناء، وما كان من جدالهم له فوجدنا ذلك متناسبا مع موضوع السورة وما يتضمنه من نعم على بني آدم ليشكروا الله تعالى عليها، ولا أدل على ذلك من الخطاب الذي يخاطب به نوح قومه من أنه بلغهم رسالات ربهم ونصح لهم، ومن أنه رجل منهم جاء لينذرهم حتى تنالهم رحمة الله.

ثم أشارت السورة إلى ذكر الأسباط وقصة أصحاب السبت وأهل أيلة، وذم علماء أهل الكتاب.

وقد ختمت السورة بإثبات التوحيد والتحكم بمن عبدوا ما لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع من أحجار وأصنام اتخذوها شركاء مع الله وهو سبحانه وحده خالقهم ورازقهم، وهكذا نجد أن السورة خُتمت بما بُدئت به وهو الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل .

سبب تسميتها بسورة الأعراف:

سميت بسورة الأعراف لورود ذكر الأعراف فيها وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلهما، وقد ورد ذكره في قوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ ﴾ ، وأما أصحاب الأعراف فهم " قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن دخول النار ، فوقفوا على السور حتى يقضي الله فيهم "[١]

---

[١] تفسير الطبري ١٩٠/٨، وينظر صفوة التفاسير ٤٣٤/١ ، والإعجاز البلاغي في القرآن ص ١٠١

وقد أخرج ابن مردويه [١] عن جابر بن عبد الله [٢] قال: سُئل رسول اللهﷺ عمّن استوت حسناته وسيئاته فقال:" أولئك أصحاب الأعراف "

وروى الحاكم-رحمه الله- [٣] في المستدرك على الصحيحين عن حذيفة بن اليمان [٤] أنه قال:" أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال لهم:(قوموا فادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم.)"[٥] وروي ذلك مرفوعا بمعناه.

---

[١] هو: الحافظ الكبير العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، صاحب التفسير والتاريخ والمستخرج على البخاري، سمع أبا سهل بن زياد القطان وخلقا، وكان فهماً بهذا الشأن، بصيراً بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف، ولد سنة ٣٢٣هـ، ومات سنة ٤١٠هـ (ينظر طبقات الحفاظ ٤١٢/١)

[٢] هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري السلمي المدني، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، اختلف في كنيته ووفاته فقيل: هو أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل أبو محمد، وأما وفاته فكانت بالمدينة وعمره ٩٤ سنة وذلك عام ٧٣هـ، وقيل سنة ٧٧هـ، وقيل غير ذلك. (ينظر التقريب ٤١٢/١، والتهذيب ٣٧/٢)

[٣]هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المعروف بابن البيع، صاحب المستدرك وغيره من الكتب المشهورة، طلب العلم في صغره، وأول سماعه سنة ثلاثين، ورحل في طلب الحديث، وسمع الكثير على شيوخ يزيدون على ألفين، بلغت تصانيفه قريبا من خمسمائة جزء، وقيل ألف جزء، وقيل ألف وخمسمائة جزء،توفي فجأة بعد خروجه من الحمام سنة ٤٠٥هـ (ينظر طبقات الشافعية ١٩٣/١)

[٤] هو: حذيفة بن اليمان من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر، واسم اليمان حسل، ويقال حسيل ابن جابر العبسي اليماني أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية أحاديث، وفي مسلم سبعة عشر حديثاً، ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان وتوفي بها بعد عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ(ينظر سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢)

[٥] المستدرك على الصحيحين ٣٥٠/٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وينظر شعب الإيمان ٣٤٤/١

الوحدة الأولى:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف ٥٩)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ (يونس ٧١)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (هود ٢٥-٢٦)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٣)

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الشعراء ١٠٦-١٠٨)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (العنكبوت ١٤)

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ (نوح ١-٣)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

قوله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ في سورة الأعراف بدون واو ، وفي سور هود والمؤمنون والعنكبوت﴿ وَلَقَدْ ﴾ بالواو ، وفي سورة نوح قال﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا ﴾ .

في هذا الموضع نوعان من التشابه :

النوع الأول من التشابه: حذف الواو وإثباتها قبل فعل الإرسال.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، إثبات حرف الواو في سور هود والمؤمنون والعنكبوت وحذفه في سورتي الأعراف ونوح.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

إذا نظرنا إلى السابق من السياق في كل موضع، فإنه سيظهر لنا سبب ورود الواو في مواضع سور هود والمؤمنون والعنكبوت، وعدم ورودها في موضع سورة الأعراف.

ففي سورة هود كانت الآيات التي تقدمت قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ (هود ٢٥) تتحدث عن رسالة النبي محمد ﷺ وكفر من كفر به، وحال من ظلم وصد عن سبيل الله، وحال من اهتدى وآمن ، ثم جاءت الآيات لتثبيت قلب النبي محمدﷺ ولتسليته، ولتخويف قومه بقوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾(هود١٢)، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ (هود ١٣)، وبيان أنه على بينة من ربه.

كما تقدم في السورة ما يشعر بالرسالات السابقة على رسالة النبي محمد ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾(هود١٧) فهذا الانتقال من إنذار المشركين ووصف أحوالهم إلى موعظتهم بما أصاب المكذبين من قبلهم من المصائب، وهذا التشابه بين القصتين اقتضى عطف القصة الثانية على القصة الأولى.[١]

وكذا في سورة المؤمنون لمَا سبق قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (المؤمنون ١٣) آيات تتحدث عن مظاهر من نعم الله علينا وبعضا من آثار كرمه وقدرته

---

[١] ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣/١٢، والبرهان للكرماني ص١٨٧، ودرة التنزيل للإسكافي ٣٦٣/١ ، وكشف المعاني لابن جماعة ص١٧٧-١٧٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٢٣/٤، وينظر الفصول المفيدة في الواو المزيدة ١٣٧/١

، منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (المؤمنون ١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (المؤمنون ١٧)

ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٢) الفلك الذي كان سببا لوجودهم واستمرار نسلهم، عطف بعد ذلك إرسال نوح عليه السلام إلى قومه باعتبار أن المعطوف من جنس المعطوف عليه فالكل من نعم الله على الإنسان[١]، ولأن العطف يقتضي التغاير والاشتراك وهما متوافران هنا لذا حَسُن العطف.

وقد أجاب الكرماني -رحمه الله- عن ذلك بأنه قد تقدم في سورة هود ذكر الرسول مرات وفي سورة المؤمنون تكرر ذكر نوح عليه السلام ضمناً في قوله: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٢)؛ لأنه أول من صنعها فحسن أن يؤتى بعاطف على ما تقدم[٢].

وبذلك يكون الكرماني قد أخذ بتوجيه الخطيب الإسكافي[٣]، ووافقه ابن الزبير الغرناطي الذي ذكر عبارة الإسكافي[٤]، ووافقهم ابن جماعة[٥]، أما الأنصاري فقد نقل كلام الكرماني بنصه.[٦]

وكذا في سورة العنكبوت فإن قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ (العنكبوت ١٤) مسبوق بالإنكار على مَن حسب أنه لا افتتان مع الإيمان، ومسبوق ببيان أقسام المكلفين وأن الله قد فتن الذين من قبلنا قوم نوح عليه السلام وقوم إبراهيم عليه السلام وغيرهم، لذلك فإنه لما سيقت قصة نوح عليه السلام عطفها على ما قبلها وأُجملت

---

[١] ينظر البرهان للكرماني ص١٨٧، و درة التنزيل للإسكافي ٣٦٤/١

[٢] ينظر البرهان ص ١٨٧، وروح المعاني للألوسي ١٤٩/٨

[٣] وينظر درة التنزيل للإسكافي ٣٦٤/١،

[٤] ينظر ملاك التأويل للغرناطي ٥١١/١-٥١٢

[٥] ينظر كشف المعاني لابن جماعة ص١٧٧،

[٦] ينظر البرهان للكرماني ص١٨٧، وينظر فتح الرحمن للأنصاري ص١٩٥

قصته‐عليه السلام‐ تصديقاً لقوله سبحانه في أول الســورة : ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ (العنكبوت ٣) وهو عطف جملة على جملة[١].

أما في سورة الأعراف فقد جاءت على الأصل وهــو الفصــل، وذلــك لأن الآيات المتقدمة على قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا ﴾ (الأعراف ٥٩) تخــتص بالحــديث عن الآيات الكونية في الأرض والسماء والرياح والنبات والأمطار دون ذكر بعثة نبي أو رسالة رسول "فصار كالأجنبي عن الأول فلم يُعطف عليه بــل اســتؤنف ابتداء كلام ليدل على أنه في حكم المنقطع من الأول"[٢]،لا سيما عندما طال الأمــد بين ذلك وبين قصة نوح‐عليه السلام‐.

كما أن سورة الأعراف كانت أول سورة ذُكرت فيها قصة نوح‐عليه السلام‐ وقصــة نوح‐عليه السلام‐ كانت أول القصص فيها لذلك ذُكرت بغير عاطف، كما أن قومــه كــانوا أول أمة [٣].

قال السيوطي‐رحمه الله‐ : "لما كانت قصص الأنبياء مذكورة على التوالي حسب ظهورهم والأعراف أول سورة ذُكروا فيها على هذا الوجه ذُكــرت قصــة نوح‐عليه السلام‐ بغير عاطف لأنها أول قصص الأنبياء ذكراً، وأول قصــة ذُكــرت فــي القرآن، وأول قصة ذُكرت في السورة فلم يكن للعطف محل"[٤]

أما سورة نوح فالأمر فيها ظاهر، لأنها فاتحة السورة وبدايتها، فجاءت بالحرف الدال على التوكيد، والذي جاء تسلية للنبي‐صلى الله عليه وسلم‐، وبشارة للمؤمنين، وإنذاراً للكافرين.[٥]

---

[١] ينظر كشف المعاني لابن جماعة ص١٧٨،والمحرر الوجيز للأندلسي ٣١٠/٤، والتفســير الكبيــر ٣٧/٢٥ والبحر المحيط ١٤٠/٧

[٢] درة التنزيل ٣٦٢/١

[٣] رسالة بناء المعاني وعلاقاتها في سورة الأعراف للدكتورة عواطف خياط.ص١٧٣

[٤] قطف الأزهار للسيوطي ١٠١٤/٢

[٥] ينظر رسالة القصص القرآني د.فضل عباس ص١٢٢

النوع الثاني من التشابه: إبدال حرفي اللام وقد في سور الأعراف وهود والمؤمنون والعنكبوت بالحرف (إنا) في سورة نوح.

نوعه: تشابه بالإبدال.

وفي العربية يقولون إن (قد) تدخل على الأخبار المتوقعة فإذا كان الناس في انتظار الأمير ليخرج فإنه يقال عند خروجه: قد خرج الأمير، ويقال أيضا: قد ركب الأمير لقوم يتوقعون ركوبه.[١]

كما أن (قد) حرف مختص بالفعل المتصرف المثبت المجرد من ناصب وجازم ولها معان عدة، ومنها : التحقيق والتأكيد مع الماضي [٢]، ويقولون أن اللام المجاب بها القسم لا يكاد ينطق بها إلا مع (قد) لأن القسم يؤتى به لتأكيد المقسم عليه[٣].

ويقول أهل العربية إن (إن) للتأكيد والتحقيق،والتأكيد بها أقوى من التأكيد باللام [٤]، كما قال عبد القاهر الجرجاني-رحمه الله-[٥].

أثر السياق في توجيه المتشابه:

تدخل (قد) على الأخبار المنتظرة المتوقعة إذا وقعت، لذلك لم يؤت باللام و(قد) في مطلع القصة في سورة نوح لأنها بداية سورة لم يسبقها سابق يوحي بتوقع أمر ويستدعي القسم على ذكره وتقريره.

أما بقية المواضع في سور الأعراف وهود والمؤمنون والعنكبوت فإن لها من السابق على القصة ما يجعل النفس متشوفة ومتشوقة لما بعدها لذا جئ بقد، كما أن (قد) مؤكدة لمضمون الجملة والداعي لهذا التأكيد في سورة الأعراف هو أن المقصودين الأولين بهذا البيان هم المكذبون لرسول الله محمدﷺ والمكذبون بما

---

[١] ينظر نظم الدرر للبقاعي ٢٦٨/٩

[٢] ينظر الإتقان للسيوطي ٤٨٧/١،وروح المعاني ١٤٨/٨، والبرهان للزركشي٣٠٥/٤

[٣] ينظر نظم الدرر ٢٦٨/٩، والإتقان للسيوطي٤٧٨/١، والكشاف للزمخشري ١٠٧/٢ ، وروح المعاني ١٤٨/٨، وينظر اللباب ١٧٤/٩ ، والمفصل ٤٥٠/١، والمقتضب ٣٣٦/٢

[٤] ينظر الإتقان للسيوطي ٤٥٤/١

[٥] ينظر دلائل الإعجاز ٢٥٠/١ ،

جاء به من رسالة يبلغها عن ربه فحالهم تستدعي تأكيد وقوع هذه القصة بعبارة من عبارات التأكيد في لسان العرب إذ يشير مضمون هذه القصة إلى أن المكذبين بما جاء به الرسولﷺ في عصره وأمثالهم من بعدهم عرضة لإنزال الإهلاك بهم إذا أصروا على التكذيب كما أهلك الله قوم نوح من قبل فذلك من سنن الله في عباده[١].

أما اللام فقد جئ بها لتأكيد المعنى حيث وقعت جوابا لقسم[٢]،كما قال ابن جرير الطبري[٣] وأبو حيان[٤] والشوكاني[٥] والقرطبي[٦] والنسفي[٧] وجماعة غيرهم – –رحمهم الله جميعا– وقال البيضاوي–رحمه الله–[٨] في تفسيره "ولا تكاد تطلق هذه هذه اللام إلا مع قد؛ لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها"[٩].

فإن قيل كيف حرمت سورة نوح من حرف التوقع (قد) بسبب أن النعم ابتدأت بها صدر سورة بينما نرى سورة المؤمنون مبدوءة بهذا الحرف في قوله

---

[١] معارج التفكر:د. عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ٣١٨/٤

[٢]ينظر كشف المعاني ص٤٢٥، ورسالة بناء المعاني وعلاقاتها في سورة الأعراف ص١٧٣

[٣] ينظر تفسير الطبري ٨/ ٢١٣

[٤] ينظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي٣٢٣/٤ وهو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي المقرئ النحوي ولد سنة ٦٥٤هــ له باع في الفقه والآثار والقراءات وله مصنفات في القــراءات والنحو توفي سنة ٧٤٥هــ (ينظر معرفة القراء الكبار ٧٢٣/٢، ومعجم المحدثين ٢٦٧/١)

[٥] ينظر فتح القدير للشوكاني ٢١٦/٢، وهو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، صاحب كتاب نيل الأوطار، اشتغل بالقضاء والإفتاء، سلك الاجتهاد وترك التقليد، توفي سنة ١٢٥٠هــ(ينظر أبجد العلوم ٢٠١/٣)

[٦] ينظر تفسير القرطبي٣٣٢/١٣ وهو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي صاحب التفسير المشهور (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٢٤٦/١)

[٧] ينظر تفسير النسفي١٧/٢ وهو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي كان إماما في جميع العلوم ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى صاحب التفسير المشهور مدارك التنزيل وحقائق التأويــل، توفي ببغداد سنة ٧١٠ هــ (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٢٦٣/١)

[٨] هو: أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي الشافعي، مــن أشــهر مصــنفاته: الوطالع، والمصباح في أصول الدين، وشرح المصابيح في الحديث، وغيرها، توفي سنة ٦٨٥هـــ (ينظــر طبقات المفسرين للداودي ١٥٤/١)

[٩] تفسير البيضاوي٣٠/٣

تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ (المؤمنون ١) وكذلك سورة المجادلة مبدوءة أيضا بهذا الحرف في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ (المجادلة ١)؟

فالجواب أن يقال: أنه روي من طرق صحيحة أن العشر الأول من سورة المؤمنون نزلت على النبي ﷺ وقد مكث ساعة مع الوحي والصحابة من حوله ينظرون وينتظرون فلما سُرِّي عنه رفع يديه إلى السماء ودعا بدعوات، وهذا نص الرواية كما وردت في سنن الترمذي:

"عن عمر بن الخطاب [1] رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعةً فسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: (اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا)،ثم قال: (أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة)،ثم قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ حتى ختم عشر آيات."[2]

فهذا يدل على أن نفوس الصحابة كانت منتظرة حدوث أمرٍ ما، إضافةً إلى أن السورة السابقة على سورة المؤمنون وهي سورة الحج كان في أواخرها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

---

[1] هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أبو حفص، وأمه مخزومية ابنة عم أبي جهل، روى عنه بنوه عبد الله وعاصم وحفصة ومولاه أسلم وابن عباس، استشهد لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣هـ، وعاش ٦٣ سنة (ينظر الكاشف ٥٩/٢)

[2] رواه الترمذي في سننه ٣٢٦/٥ باب ومن سورة المؤمنون برقم (٣١٧٣)، وإسناده: حدثنا يحي بن موسى وعبد بن حميد وغير واحد قالوا حدثنا عبد الرزاق عن يونس بن سليم عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارئ قال سمعت من عمر بن الخطاب، قال أبو عيسى: هذا حديث أصح من غيره لأنه ذُكر في إسناده يونس ومَن لم يذكر فيه يونس جعله مرسلاً.

و رواه النسائي في سننه الكبرى ٤٥٠/١ باب رفع اليدين في الدعاء برقم (١٤٣٩)، ورواه أحمد في مسنده ٣٤/١ مسند عمر بن الخطاب برقم (٢٢٣)

ورواه ابن حميد في مسنده ٣٤/١ مسند عمر بن الخطاب برقم (١٥) وهو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي الحافظ، توفي سنة ٢٤٩هـ ،

ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٧١٧/١ كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر برقم (١٩٦١) ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه البخاري ومسلم.

تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الحج ٧٧) فحسن عقب رجاء ذلك الفلاح وتوقعه أن يحسم به مطلع السورة التالية فيقال: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ (المؤمنون ١) كما حسن أن تختتم السورة نفسها بذكر حرمان الكافرين من الفلاح بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (المؤمنون ١١٧)

ولا يخرج الأمر عن مثل ذلك في سورة المجادلة فقد جاءت المجادِلة تشتكي إلى الله وتجادل الرسول ﷺ في زوجها، والرواية كما وردت في صحيح ابن حبان كما يلي:

عن يوسف بن عبد الله بن سلام[١] عن خويلة بنت ثعلبة[٢] قالت:"فيّ والله وفي أوس بن الصامت[٣] أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلُقه قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء فغضب قال: أنت عليّ كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي ،قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: (يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه)، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما

---

[١] هو: يوسف بن عبد الله بن سلام الإسرائيلي المدني أبو يعقوب صحابي صغير، سماه النبي محمد ﷺ، كنيته أبو يعقوب، من ثقات التابعين، روى له البخاري في الأدب، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز (ينظر التقريب ٦١١/١، تهذيب الكمال ٤٣٦/٣٢، الثقات ٤٤٦/٣)

[٢] خويلة بنت ثعلبة ويقال بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف، ويقال لها أيضا خولة وهو الأكثر الأنصارية زوج أوس بن الصامت، وهي المجادِلة التي سمع الله شكواها، روى عنها يوسف بن عبد الله بن سلام وزهير، وروى أن عمر خرج يوماً ومعه الناس فمر بعجوز فجعل يحدثها وتحدثه فقال رجل: يا أمير المؤمنين حسبت الناس على هذه العجوز، قال: ويلك تدري من هذه؟ هي امرأة سمع الله عز وجل شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة بنت ثعلبة.(ينظر الإكمال لرجال أحمد ٦٢٠/١، والمنفردات والوحدان ٩٠/١)

[٣] أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي أخو عبادة، شهد بدراً، وهو الذي ظاهر من امرأته، مات أيام عثمان وعمره ٨٥سنة (ينظر التقريب ١١٦/١، الثقات ١٠/٣)

كان يتغشاه ثم سُرّي عنه فقال لي: (يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً)، ثم قرأ علي:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله:﴿ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ قالت: فقال لي رسول اللهﷺ: (مريه فليعتق رقبة)، قالت: فقلت يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال رسول اللهﷺ: (فإنا سنعينه بعرق من تمر)، قالت: فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر، قال:(قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا)، قالت: ففعلت."[١]

فهذا يدل على أن خويلة بنت ثعلبة والمؤمنين كانت في نفوسهم معاني التوقع لما سيُنزله الله من البيانات في مثل هذه المواقف .

الموضع الثاني:

قال تعالى في سورتي الأعراف والمؤمنون : ﴿ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ﴾، وفي سورتي يونس ونوح : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ﴾، ولم يذكر فعل القول في سورة هود.

في هذا الموضع ثلاثة أنواع من التشابه :

النوع الأول من التشابه: أنه ذكر فعل القول في كل من سور الأعراف ويونس والمؤمنون ونوح ، دون ذكره في سورة هود .

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف كلمة في سورة هود وإثباتها في سور الأعراف ويونس والمؤمنون ونوح.

النوع الثاني من التشابه: أنه ذكر حرف النداء (يا) في سور الأعراف ويونس والمؤمنون ونوح دون ذكره في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف ياء النداء في سورة هود وإثباتها في سور الأعراف ويونس المؤمنون ونوح.

---

[١] رواه ابن حبان في صحيحه ١٠٧/١٠ باب الظهار برقم (٤٢٧٩)، ورواه أحمد في مسنده ٤١٠/٦ حـديث خولة بنت ثعلبة برقم(٢٧٣٦٠)

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الأصل في تقاول الرسل مع أممهم ذِكْر هذا النداء استعطافاً وتحبباً واهتماماً بما يُذْكر بعده وتنبيهاً لما يلقى إليهم، فكان ما في سور الأعراف والمؤمنون ويونس ونوح على الأصل مع التصريح بذلك،

بينما في سورة هود قد أعلن المقول رأساً دون ذكر فعل القول والنداء؛ لأن مطلع السورة سار على هذه الطريقة في قوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝ ﴾ (هود ١-٢) ، ثم أتبع هذا بأمرهم مبتدئا بحرف العبارة والتفسير الذي يحصل منه معنى القول (أن) فهي كما يقع بعدها ما يدل على تقدير القول وليس بقول كذلك يقع بعدها ما لا يلتئم معه ذكر القول ويكون مغنياً عنه، وكل هذا من بناء اللاحق على السابق هذا مع ترادف نداء نوح عليه السلام لقومه في نفس السورة بعد ذلك.[١]

النوع الثالث من التشابه: أنه صدّر الفعل (قال) بحرف الفاء في سورتي الأعراف والمؤمنون ولم يصدّره بحرف الفاء في سورتي يونس ونوح.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف الفاء في سورتي يونس ونوح وإثباته في سورتي الأعراف والمؤمنون.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الأصل هو ذكر الفاء وتقديره: أرسلنا نوحاً فجاء فقال[٢]، وذلك لبيان المسارعة في الدعوة والتبليغ عقب الإرسال وهذا ما جاءت عليه الآيات في سورتي الأعراف والمؤمنون فقد جاءت الآيات على ما يوجبه اللفظ، "فالفاء إذاً دالة على أن الثاني بعد الأول"[٣] تعقيباً، ومع هذا فإنه لا يستقيم وجود الفاء في سورتي يونس ونوح لأن القول وقع مستأنفاً حيث تخلّل بينه وبين الإرسال فاصل

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥١٦/١

[٢] بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ٢١٠/١

[٣] تفسير القرطبي ٢٣٢/٧

هو قوله تعالى في سورة نوح:﴿ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ ﴾ ، ولا شك أن القرب بين القول والإرسال أنسب بوجود الفاء، والبعد بين القول والإرسال أنسب بطريقة الاستئناف أي من غير الفاء، لأنه كالمهلة التي يرد فيها السؤال في ذهن السامع فيقع المستأنف به جوابا لهذا السؤال .

الموضع الثالث:

هذا الموضع متعلق بأقوال نوح عليه السلام لقومه، ففي سورة الأعراف قال عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ وفي سورة هود قال: ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ ﴾ ،وفي سورة المؤمنون قال: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ ﴾ ، وفي سورة الشعراء قال: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ ﴾ ، وفي سورة نوح قال: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ .

في هذا الموضع ثلاثة أنواع من التشابه :

<u>النوع الأول من التشابه</u>: جاء الأمر بالعبادة في سورتي الأعراف والمؤمنون بقوله:﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ ، وفي سورة هود: ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾ ، وفي سورة نوح: ﴿ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ .

نوعه: تشابه بإبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله- :"إن افتتاح أمرهم بعبادة الله في سورتي الأعراف والمؤمنون لا سؤال فيه لأنه أول ما يُطلب به الخلق وإنما يُسأل عن افتتاح مكالمتهم في سورة هود بقوله:﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾؟

وذلك لمطابقته لما افتتحت به السورة من قول النبي محمدﷺ بأمر ربه مخاطبا بكلامه تعالى: ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾(هود ٢)[١]، وترك توجيه ذلك في سورة نوح.

ووجه البقاعي-رحمه الله- [٢] ذلك في سورة الأعراف بقوله: "كان نوحعليه السلام أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ﴾ أي فتحبب إليهم بهذه الإضافة ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾"[٣]

أما توجيهه لذلك في سورة المؤمنون فهو" أمره لهم بالعبادة يقتضي كونهم معرضين عنها وكذلك حكيت دعوة نوحعليه السلام قومه في أكثر الآيات بصيغة أمر بأصل عبادة الله دون الأمر بقصر عبادتهم على الله مع الدلالة على أنهم ما كانوا ينكرون وجود الله ولذلك عقب كلامه بقوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ "[٤]

وأما توجيهه لقوله:﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ في سورة هود فهو: "ألا تعبدوا إلا الله: مفسرة لجملة أرسلنا لأن الإرسال فيه معنى القول دون حروفه ويجوز كونها تفسيراً لنذير لما في نذير من معنى القول."[٥]

وأما توجيه العلامة صديق خان-رحمه الله- [١] لذلك في سورة هود فكان بقوله:" اقتصر على النذارة دون البشارة لأن دعوته كانت لمجرد الإنذار أو لكونهم لم يعملوا بما بشرهم به"[٢]

---

[١] ملاك التأويل ٥١٧/١

[٢] هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر برهان أبي الحسن الخرباوي البقاعي، ولد سنة ٨٠٩هـ، صاحب المناسبات، توفي سنة ٨٨٥هـ (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٣٤٨/١)

[٣] نظم الدرر ٤٢٧/٧،

[٤] نظم الدرر ٤١/١٨

[٥] نظم الدرر ٤٤/١٢

وأما في سورة نوح فقد جاء قول نوحعليه السلام امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله في أول السورة: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ ﴾(نوح ١)[٣]

النوع الثاني من التشابه: اختلفت أقوال نوحعليه السلام فيما بعد الأمر بالعبادة، ففي سورة الأعراف قال نوحعليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾ ، وفي سورة هود قال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾ ، وفي سورة المؤمنون قال: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ ﴾ ، وفي سورة الشعراء قال: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ ﴾ .

نوعه: تشابه بإبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب اختلاف مقالهعليه السلام لأن لكل مقامٍ مقال، فإن دعوته كانت في أوقات مختلفة وأماكن متباينة فمرةً يخوفهم ومرةً ينذرهم، وبسبب الاختلاف في الأوقات اختلفت أقواله ومحكيّاته حسب المناسب لكل وقت وما يجري فيه من أقوال المدعوين وأحوالهم فليس السؤال إذاً متعلّقاً باختلاف أقوال نوحعليه السلام إنما السؤال هو تعلّق كل سورةٍ بما ورد فيها لأنه لا يذكر في كل سورة إلا ما يناسبها،

والجواب: أنه لما تقدم ذكر اليوم الآخر في أكثر من آية في أول سورة الأعراف إلى بداية قصة نوحعليه السلام وما تضمّنه من الحديث عن اليوم الآخر وأهواله كقوله: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(الأعراف ٨)، وقوله: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ

---

[١] هو الإمام العلامة الأصولي المحدث الشريف أبو الطيب محمد صديق حسن بن علي البخاري القنوجي ولد سنة ١٢٤٨هـ قرأ في النحو والصرف والحديث له مصنفات كثيرة منها الروضة الندية في شرح الدرر البهية وحصول المأمول من علم الأصول توفي سنة ١٣٠٧هـ(ينظر مقدمة كتابه، وهدية العارفين ١٥٢/٢)

[٢] تفسير فتح البيان ٣٤٣/٤

[٣] ينظر التفسير الكبير ١١٩/٣٠

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأعراف ٣٨-٣٩)، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأعراف ٣٦)، وقوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الأعراف ٤٤)، وقوله: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأعراف ٤٧) ، وقوله: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الأعراف ٤٩-٥٠)، وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأعراف ٥٣)

فلما تقدم هنا من ذكر أهوال القيامة ما لم يذكر في سورتي هود والمؤمنون ناسبه قول نوح عليه السلام : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

أما قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ فهو مناسب لقوله:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

وأما قوله في سورة هود :﴿ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ فمناسب لقوله تعالى على لسان محمد ﷺ لقومه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ

يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾(هود ٣) ، وقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾(هود ٨) ، وقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(هود ١٧)

فتكرُّر ذكر العذاب يناسبه ما ختمت به دعوة نوح عليه السلام [١]، أي أن ختام قصة نوح عليه السلام كان مناسباً لتقرير المعنى الذي سيقت له وهو النذارة والترهيب.[٢]

أما الوارد في سورة المؤمنون فالجواب عنه أنه مناسب للسورة حيث أن كل ما ذكر بها كان نعما وآلاء متوالية، وليس فيها مما في سورتي الأعراف وهود من ذكر العذاب، لذا لم يذكر في هذه الآية ذكر العذاب إلا بالإيماء الوجيز فكان مقاله عليه السلام فيها: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ تذكيرا لقومه بالتقوى المخلّصة من العذاب، ولم يكن من الملائم الإفصاح عن العذاب بعد ما تقدم من التذكير بإحسانه سبحانه وإنعامه من أول السورة إلى هنا.[٣]

وكذلك لمناسبته لقوله تعالى على لسان هود عليه السلام : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(المؤمنون ٣٢)، وعلى لسان نبينا محمد ﷺ: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾(المؤمنون ٨٧)، ويجوز أن يكون المراد من هذا الاختلاف إنما هو بيان المعاني المحكية بألفاظ مختلفة في سور متعددة.[٤]

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥١٣/١-٥١٤-٥١٤، وتفسير المنار ٦٠/١٢

[٢] ينظر نظم الدرر ٢٦٩/٩

[٣] ينظر ملاك التأويل ٥١٢/١

[٤] ينظر المنار ٦٠/١٢

وقد وجه البقاعي-رحمه الله- في نظم الدرر ذلك بقوله:" قال في الأعراف: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ وفي هود:﴿ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ وفي المؤمنون:﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣﴾ لعله جاء على ترتيبها في النزول لأنها مكيات وعلى ترتيب مقال نوحعليه السلام لهم فألان لهم أولاً المقال من حيث أنه أوهم أن العِظم الموصوف به اليوم لا بسبب العذاب بل لأمر آخر فيصير العذاب مطلقا يتناول أي عذاب كان ولو قلّ، فلما تمادى تكذيبهم بيّن لهم أن عِظمه إنما هو من جهة إيلام العذاب الواقع فيه، فلما لجّوا في عتوّهم قال لهم قول القادر إذا هدّد عند مخالفة غيره له: ألا تفعل ما أقول لك؟ أي متى خالفت بعد هذا عاجلتك بالعقاب وأنت تعرف قدرتي."[١]

أما أبو حيان-رحمه الله- فقد وجه ذلك في تفسيره بقوله:" لما كان ما هدّد به قوم نوحعليه السلام من الغرق في سورة الأعراف واقعة لم تظهر في العالم مثلها قال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ وواقعة هودعليه السلام كانت مسبوقة بواقعة نوحعليه السلام فقال: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ إشارة إلى التخويف بأن يقع بهم مثل تلك الواقعة المشهورة."[٢]

أما الخطيب الإسكافي-رحمه الله- فنفى وجود اعتراض أو توجيه لهذا الاختلاف وأنه ليس إلا اختلافاً في مقامات الأنبياء مع أممهم اختلفت فيه الأساليب والألفاظ بحسب الحاجة وكذا بالنسبة فيما يتعلق باختلاف أجوبة الأقوام لاختلاف أعدادهم ومقاصدهم.[٣]

والذي أراه أنه لا ضير في توجيه هذا الاختلاف، بل إن توجيهات الكرماني والبقاعي وأبي حيان-رحمهم الله- أبرزت بلاغة القرآن الكريم وروعة تناسب الألفاظ لسورها.

أما في سورة الشعراء فإن مجيء قوله:﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦﴾ ناسب الوارد في جميع قصص هذه السورة، فهودعليه السلام قال لقومه: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا

---

[١] نظم الدرر ٤٢٧/٧-٤٢٨

[٢] البحر المحيط ٣٢٣/٤، وينظر قطف الأزهار ١٠١٩/٢

[٣] ينظر درة التنزيل ص ٣٦٥-٣٦٦

تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٤)، وصالح‌عليه السلام قال لهم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الشعراء ١٤٢)، ولوطعليه السلام قال لقومه كذلك: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (الشعراء ١٦١)، وشعيب‌عليه السلام قال: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٧٧)، وهذا التناسب هو من أسلوب القرآن في الحرص على حصول التوافق بين الآيات والكلمات.

النوع الثالث من التشابه: خاطب نوح‌عليه السلام قومه بندائهم في سورتي الأعراف والمؤمنون وسقوط ذلك النداء في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف النداء في سورة هود، وإثباته في سورتي الأعراف والمؤمنون.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

نداؤه عليه السلام لقومه في سورتي الأعراف والمؤمنون لا كلام فيه لجريانه على ما ينبغي إنما السؤال عن سقوط ذلك في سورة هود، والسبب أن ذلك جار مع ما افتتحت به السورة من قوله على لسان نبينا: ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فدعاهم إلى عبادة الله وأن يفردوه بها ولم ينادهم لأن ذلك لم يكن ليلائم مطلع السورة إذ لم يجر ذكره‌عليه السلام منطوقا به فينزل عليه نداؤهم، بل قيل له: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (هود ١) ثم أتبع هذا بأمرهم مبتدئاً بحرف العبارة والتفسير وهو (أن) الحرف الواقع بعد ما ينبئ ويحصل منه معنى القول وليس بصريح قول ولا مرادف لمعنى القول، إلا أنه يفهمه كقوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ (ص٦)، فأن الواقعة حرف عبارة وتفسير المقدرة بأي، إنما تأتي بعد ما يُفهم من القول، فكما يقع بعدها ما يدل على تقدير القول وليس بقول، كذلك يقع بعد مالا يلتئم معه ذكر القول ويكون مع ذلك مغنياً عنه، ومنه مطلع هذه السورة بعد التنبيه بالحروف المقطعة فقيل: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا

﴿تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾ (هود ١-٢) ، كما قيل في آية سورة ص: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ﴾، فليس موضع صريح القول الذي يقصد به الحكاية، ورد دون صريح قول، ثم وردت قصة نوحعليه السلام على هذا المنهج للمناسبة ثم جيء بقصتي هود وصالح عليهما السلام بعد هذا مفتتحين بالقول على ما يجب.[١]

الموضع الرابع:

التصريح بمادة الإرسال في بداية القصة ففي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾، وفي سور هود والمؤمنون والعنكبوت قال:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾، وفي سورة نوح قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾،وابتداؤها بغير مادة الإرسال وبغير هذه الطريقة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذا الاختلاف عائد إلى الآيات السابقة واللاحقة للقصة في كل موضع ، والغرض الذي سيقت له القصة ،

ففي سورة الأعراف وقع التصريح بمادة الإرسال وتلا ذلك أمر نوحعليه السلام لقومه بالعبادة لأنه الموضع الأول الذي ذكرت فيه القصة فكان ذلك من وضع الأصل في الأصل فإن التصريح بالإرسال ثم الأمر بالعبادة هو ما جرت عليه جميع الرسالات ،إضافة إلى أن القصة بينت ما سبق من قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ﴾ (الأعراف ٥٨)

وكذلك بينت مصارع المعاندين المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾ (الأعراف ٤) ، وكانت القصة متوسطة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة.

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥١٦/١-٥١٧

أما في سورة يونس فقد ذكر الله قصة نوح عليه السلام عقب آيات تتناسب مع حال قوم نوح عليه السلام حيث أنهم كانوا أطول الأمم أعماراً، وأكثرها تمكناً في الأرض، وكانوا هم أظلم وأطغى، ومع ذلك لم ينجهم ذلك من عذاب الله فأغرقهم ونجّى نوحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وهذه الآيات هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾(يونس ١٥) ،وهذا اقتراح كفار مكة على الرسول ،وقولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(يونس ٢٠)

ومن هذه الآيات الإشارة إلى تسييرهم في الفلك وأنها من أعظم النعم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(يونس ٢٢-٢٣)

ومنها تهديد المكذبين وتذكيرهم بالأقوام السابقة التي هلكت بظلمها:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(يونس ١٣-١٤)

ومنها الحكم بعدم فلاح الكافرين وأن متاعهم في الدنيا قليل ثم في الآخرة لهم أشد العذاب:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(يونس ٦٩-٧٠)

أما ابتداء القصة بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾(يونس ٧١)، فإنها متناسبة مع ما سبقها من ألفاظ في بعض الآيات في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ

عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ ﴾ (يونس ١٦)، وفي قوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (يونس ٦١)

وفي سورة هود جاءت القصة مطولة مصدرة بذكر الإرسال والدعوة من نوحعليه السلام لقومه، وأمره لهم بالعبادة لتناسبها مع ما سبقها من إطناب وإسهاب في ذكر عناد كفار مكة، واستهزائهم برسول الله ﷺ، ونفاقهم، وتثبيته صدرهﷺ، كما أن الإطناب في بيان ما لاقاه نوحعليه السلام من قومه وسخريتهم له فيه تسلية للنبي محمد ﷺ ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (هود ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٌ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (هود ١٢٠)

وكل القصص التي تلت قصة نوحعليه السلام جاءت لنفس هـذا الغـرض تسـلية وتعزية للنبي محمد ﷺ، وهذا مخالف للغرض الذي سيقت من أجله القصص فـي سورة الأعراف وغيرها، وإن تضمن هذا الغرض بيان إهلاك من كانوا أشد مـن العرب قوةً وأكثر جمعاً وأمكن أمراً وأقوى عناداً وأعظم فساداً وأحد شوكةً، ومـا اتفق في ديارهم من الطامّات والأهوال تحذيراً من مثل حالهم بارتكـاب أفعـالهم، ففرقٌ بين ما يساق للشيء وما يلزم منه الشيء، ولهذا الغـرض المقصـود هنـا طُوّلت قصة نوحعليه السلام في هذه السورة أكثر من غيرها.[١]

وفي سورة الأنبياء سيقت القصة مساق بيان تنجية الله لنوحعليه السلام عقب اشتداد الكرب واستجابته لدعائه فقيل فيها : ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الأنبياء ٧٦-٧٧)

---

[١] ينظر نظم الدرر ٩/٢٦٥

وأكثر القصص في هذه السورة على هذه الوتيرة ،قصص داود وسليمان ولوط وذي النون وأيوب وزكريّا كلها تبدأ بذكر اسم الرسول وتنجية الله لهم عليهم السلام.

وفي سورة المؤمنون بُنيت القصة على بيان نعمة الرسالة والهدايات بعد بيان نعمة الإيجاد والتربية على آثار القدرة، فقد استفاضت الآيات في ذكر خلق الإنسان ومراحل ذلك، وخلق السماء وإنزال الماء، وإنشاء الجنات من النخيل والأعناب، وإخراج الألبان من بطون الأنعام، والركوب عليها وعلى الفلك فهذا قوام البدن، ثم جاءت الإفاضة في ذكر الرسالات ونعمتها وأنها تربية النفوس وهداية القلوب لأنها قوام الروح، لذلك حرص على التصريح بذكر الرسالات في مطلع القصص كلها : قصة نوح وقصة هود وقصة موسى عليهم السلام وقصص رسل آخرين، ثم ختمت جميع الرسالات بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ ﴾ (المؤمنون ٥١-٥٢)

وفي سورة الشعراء ابتدأت القصة بما غلب على قصص السورة الأخرى وهي قصص هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام بقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٠٥ ﴾ (الشعراء ١٠٥) ، وقوله : ﴿ كَذَّبَتۡ ﴾مناسب لما سبقته من آيات تبين تكذيب قريش في قوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ ﴾ (الشعراء ٤-٥)، وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ ﴾ (الشعراء ٣)

وفي سورة العنكبوت كان سياق الآيات يتحدث عن الابتلاء والامتحان بالشدائد،قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (العنكبوت ٢-٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ۝١١ ﴾ (العنكبوت ١١)

لذا جاءت القصة في هذه السورة تذكر أحوال لا أقوال فقد بينت مدة لبث نوحعليه السلام في قومه وأنها مدة طويلة وفي هذا رد على من حسب أن يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون فها هو نوحعليه السلام قد تحمّل ابتلاء قومه وأذيتهم له هذه المدة الطويلة وكل ذلك بعبارة موجزة قصيرة.

وفي سورة الصافات فبعد أن بيّن أحوال يوم البعث وعقاب الكافرين ونعيم المؤمنين، وقبل ذلك بيّن عناد الكافرين وإنكارهم للبعث، ثم بعد ذلك بين تقليد العرب لآبائهم ، ثم قيل بعد ذلك كله: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الصافات ٧١-٧٤)

قال بعد ذلك: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾(الصافات ٧٥-٨٢)

فالقصص في هذه السورة جاءت تفْصِل بين المؤمنين والكافرين، فلم تكد تخلو سورةً من هذه المعاني، التنويه بالجزاء للمحسنين، والتنويه بهلاك الضالين.

وفي سورة القمر سيقت القصة مساق التهديد الشديد لكفار مكة لذا ابتدأت قصة نوحعليه السلام بقوله:﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ (القمر ٩)، ولأنها مناسبة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ (القمر ٢-٣)

كما أن القصة وما فيها من تهديد متناسب مع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ (القمر٤-٥)

أما الواقع في سور الفرقان والذّاريات والنجم فإن قوم نوحعليه السلام في كل ذلك وقع عطفهم على أقوام هلكوا، ففي الأولى قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الفرقان ٣٧)

وفي الثانية قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الذاريات ٤٦)

وفي الثالثة قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النجم ٥٢)

والواقع أخيراً في سورة نوح فإن القصة هنا قد امتازت بكونها سورة كاملة مستقلة لذا ابتدأت ببيان إرسال الله نوحا إلى قومه ليأمرهم بالعبادة.[1]

الموضع الخامس:

في سورة نوح قوله: ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ زيادة على ما في المواضع الأخرى

نوعه: تشابه بالإجمال في باقي المواضع والتفصيل في سورة نوح.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لمّا كانت سورة نوح قد اختصت بحكاية قصته مع قومه عليه السلام بالتفصيل، كانت هذه الزيادة ملائمة لهذا الاختصاص وهذا التفصيل.

[1] ينظر نظم الدرر ٩/٢٦٥

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦٠)

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(هود ٠٢٧)

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٤)

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

(الشعراء ١١١)

قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

(القمر ٠٠٩)

وكما يتضح فإن هذه الآيات متعلقة بأقوال قوم نوح لنبيهم عليه السلام.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴿٦٠﴾ ﴾ بدون حرف الفاء، وفي سورتي هود والمؤمنون: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف الفاء في سورة الأعراف وإثباته في سورتي هود والمؤمنون.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

اقترن جوابهم بالفاء في سورة هود لأنه الأصل في الرد السريع ومثله في سورة المؤمنون؛ ولأن قول الكافرين في هاتين السورتين جاء مرتباً على دعوة

نوحعليه السلام لهم بالتوحيد، أي جاء على طريقة التعقيب، أي بعد أن دعاهم إلى توحيد الله لم يتريثوا، فكان جوابهم كذا وكذا.

أما في سورة الأعراف فقد جاء الفعل مفصولاً لأنه الأصل في باب المراجعة ويسمى الاستئناف البياني.

والفرق بينهما في الموضعين من هذه القصة أن الموصول بالفاء أريد به المبادرة إلى الرد على نوحعليه السلام بما يبطل دعوته بزعمهم والمفصول ليس إلا طعناً وتخطئةً، وهو من جملة ما رموه به لا يُعلم متى وقع منهم، وليس جواباً متصلاً بالدعوة وهذا من بلاغة القرآن.[١]

كما أن من أسباب هذا الفرق بين الطريقتين هو أن ما قالوه في سورتي هود والمؤمنون ليس أمراً يستنكره النبي على قومه، أما ما قالوه في سورة الأعراف فهو أمرٌ مستنكر.

فالذي قالوه في سورة هود:﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ وكذلك الذي في سورة المؤمنون:﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ولهذا ناسب أن يعقب على كلام نوحعليه السلام بالفاء العاطفة لأنه في الحقيقة كذلك، أما ما قالوه في سورة الأعراف فكان ناشئا عن حمق وسماجة، وهو قولهم:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فلم يَلِق أن يعقب بالفاء على كلامهعليه السلام، وإنما ناسب أن يكون كلاماً مستأنفاً.[٢]

وقد وجّه ابن عاشور-رحمه الله- ذلك في تفسيره بقوله: "فُصلت جملة ﴿ قَالَ ﴾ في سورة الأعراف على طريقة الفصل في المحاورات" [٣].

بينما عطف في سورة هود قول الملأ من قومه بالفاء على فعل ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ للإشارة إلى أنهم بادروه بالتكذيب والمجادلة الباطلة لمّا قال لهم:﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ إلى آخره، ولم تقع حكاية ابتداء محاورتهم إياه ب(قال) مجرداً عن

---

[١] ينظر تفسير المنار ٦١/١٢

[٢] ينظر رسالة القصص القرآني د.فضل عباس ص١٢٤

[٣] ينظر التحرير والتنوير ١٩٠/٨

الفاء كما وقع في سورة الأعراف لأن ابتداء محاورته إياهم هنا لم تقع بلفظ القول فلم يحك جوابهم بطريقة المحاورات بخلاف آية سورة الأعراف[١].

أما في سورة المؤمنون فقد خُولفت في حكاية جواب الملأ من قومه الطريقة المألوفة في القرآن في حكاية المحاورات وهي ترك العطف التي جرى عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ٣٠) ، **فعطف هنا** جواب الملأ من قومه بالفاء لوجهين:

الأول: أنهم لم يوجهوا الكلام إليه بل تركوه وأقبلوا على قومهم يفندون لهم ما دعاهم إليه نوح عليه السلام.

الثاني: ليُفاد أنهم أسرعوا بتكذيبه عليه السلام وتزييف دعوته قبل النظر.[٢]

وقال الكرماني-رحمه الله-: لأن ما في سورة الأعراف غير لائق بالجواب فصاروا كالمبتدئين بالخطاب غير سالكين طريق الجواب لأنهم قالوا:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ بخلاف السورتين (أي سورتي هود والمؤمنون) فإنهم قد أجابوه بما زعموا أنه جواب وهو قولهم في سورة هود:﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ وقولهم في سورة المؤمنون:﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.[٣]

الموضع الثاني:

جاء وصف الملأ بالكفر في سورتي هود والمؤمنون بقوله: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وعدم وصفهم بذلك في آية سورة الأعراف.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف وصف الملأ بالكفر في سورة الأعراف، وأثبته في سورتي هود والمؤمنون .

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ٤٥/١٢

[٢] ينظر التحرير والتنوير ٤١/١٨

[٣] ينظر البرهان للكرماني ص١٨٩، وينظر بصائر ذوي التمييز ٢١١/١

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن التشابه الحاصل بوصف قوم نوح عليه السلام بالكفر أو عدم ذلك إنما هو عائد إلى المقام الذي ذكرت فيه الآيات، فإن قوم نوح عليه السلام لما أساؤوا إلى نبيهم وأطالوا في ذلك كما حكى الله عنهم في سورتي هود والمؤمنون حيث قالوا في سورة هود: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾(هود ٢٧)، فهنا اتهموه باسترذال أتباعه كقولهم في سورة الشعراء:﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾(الشعراء ١١١)، كذلك أنكروا فضله عليهم ورموه بالكذب .

ومثل ذلك في سورة المؤمنون حيث قالوا : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٤-٢٥)، فلعظم إساءتهم في الموضعين وصفوا بالكفر.

بينما في سورة الأعراف اتهموا نوحاً عليه السلام بالضلال بقـــولهم ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، وهو ليس كجوابهم له في سورتي هود والمؤمنون طـــولاً ومعنـــىً، فإن لفظ الضلال ليس نصاً على الضلال في الدين فهو يأتي بمعنى الجور والظلـــم والتحيز.

لذلك لمّا لم يكن في آية سورة الأعراف من الإطالة في العبارة والإبلاغ فيما قصدوه من المعنى مثل ما في الآيتين السابقتين ناسبه الإيجاز بعدم وصفهم بالكفر صراحة وإن كانوا قد وُصفوا بما يُفهم به كفرهم وهو الاستكبار لمقابلة وصف مخاطبيهم بالاستضعاف وليس ذلك كالإفصاح بالكفر، ومما يشهد لهذا أنه في سورة الأعراف لما ورد أن قوم هود عليه السلام أساؤوا جوابهم وبالغوا فيه بقولهم:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾(الأعراف ٦٦) ، وصفوا بالكفر بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾(الأعراف ٦٦)

وكذلك في قصة صالحعليه السلام لمّا لم يواجهوا نبيهم كما واجه قوم هود نبيهم بل عدلوا إلى مخاطبة أتباعه بقولهم : ﴿ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ (الأعراف ٧٥)، لذلك لم يوصفوا بالكفر بل بالاستكبار ملاءمة لحالهم : ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾ (الأعراف ٧٥) [١]

وقد وجّه الألوسي–رحمه الله–[٢] هذا التشابه بمعنى قريب من ذلك فقال:"وصف الملأ بالكفر مع اشتراك الكل فيه للإيذان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه، وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التمييز عن أشراف آخرين آمنوا به إذ لم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (هود ٢٧)" [٣]

أما البقاعي–رحمه الله– فقد علّل ذلك بقوله:"لم يصفهم في سورة الأعراف بالكفر لأن ذلك أدخل في التسلية لأنها أول سورة قصّ فيها مثل هذا في ترتيب الكتاب، ولأن من آمن به مطلقا كانوا في جنب من لم يؤمن في غاية القلة فكيف عند تقييدهم بالشرف، وأكد ذمهم تسليةً للنبي بالتعريف بقربهم منه في النسب بقوله : ﴿ مِن قَوۡمِهِۦ ﴾"،[٤]

ثم قال بعد ذلك : "ولم يصف الملأ من قومه بالذين كفروا في الأعراف ووصفهم بذلك في هود إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين إحداهما قبل أن يسلم أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم "[٥].

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥٢٣/١،٥٢٤،٥٢٥

[٢] هو: الشهاب محمود بن علي الألوسي البغدادي، مفتي بغداد، له تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ (ينظر كشف الظنون ٥٨٦/٣، وفهرس الفهارس ١٣٩/١)

[٣] روح المعاني ٢٥/١٨

[٤] نظم الدرر ٤٢٨/٧

[٥] نظم الدرر٤٢٩/٧

الموضع الثالث:

اختلاف أجوبة قوم نوحعليه السلام، ففي سورة الأعراف كان جوابهم : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾، وفي سورة هود: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ،وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لأنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

نوعه: تشابه بالإبدال ،إبدال جملة بجملة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جواب قوم نوحعليه السلام في سورة الأعراف متناسب مع ما تقدم في نفس السورة حيث ورد لفظ الضلال مرات عديدة :

في قول مكذبي الرسل حين تتوفاهم الملائكة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأعراف ٣٧)

وفي قول أخراهم لأولاهم عند دخولهم النار: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ ﴾ (الأعراف ٣٨)

وفي إخبار الله عنهم عند تمنيهم الشفعاء أو العودة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم:﴿ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الأعراف ٥٣) فصار هذا مألوفاً من كلامهم مناسباً لما سبق.

أما جواب قوم نوحعليه السلام في سورة هود فهو مناسب لتمردهم وطغيانهم المقابل لطغيان وعناد مشركي قريش الذين أخبر الله عنهم في أول السورة: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ (هود ٥)

أما الوارد في سورة المؤمنون فهو مناسب لما تقدم من بيان الخلق وأطواره: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون ١٢-١٤) ففيه إشارة إلى انتقال الإنسان من حالة مهينة إلى اختصاص واصطفاء بسبب العناية الربانية، وفيه تلميح إلى تفاوت أقدار الخلق فمنهم اللاحق بأشرف المقامات ومنهم الباقي في الحضيض، فلمّا لم ينتبه قوم نوح‏عليه السلام إلى مزية تشريف الله لهم ببعث نبي يدعوهم، وما منح الله هذا النبي من علو القدر، بل ادّعوا قلة قدره وتساويه مع أقل الناس شأناً، جاء جوابهم مبيناً ظنّهم فكان أنسب ما يقال في هذا المقام.

إذاً فاختلاف أقوال قوم نوح‏عليه السلام له كان تبعاً لاختلاف المقامات والمناسبات، وهذا من إعجاز القرآن الكريم[١] .

الموضع الرابع:

وقع ذكر الملأ في سور الأعراف وهود والمؤمنون دون ذكرهم في سورتي الشعراء والقمر.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف كلمة الملأ من سورتي الشعراء والقمر وإثباتها في سور الأعراف وهود والمؤمنون.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

هذا يعود إلى اختلاف السياق في كل موضع،

ففي سورتي الشعراء والقمر سيقت الآيات مساق التهديد لمن كذب من أهل مكة ببيان عاقبة من كذب من قوم نوح‏عليه السلام مما اقتضى ابتداء القصة في الموضعين بقول: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ ، وذلك اقتضى إسناد أقوال الكفر والتكذيب إلى القوم لا إلى الملأ،

[١] ينظر ملاك التأويل ٥١٨-٥٢٠

بخلاف مواضع سور الأعراف وهود والمؤمنون فلم يكن مساق الآيات مختصا بالتهديد والوعيد فأسند القول للملأ، مع ما فيه من وضع الأصل في الأصل، فالملأ هم أصول الكفر ومنابعه وهذه السور الثلاث هي كالأصل في ترتيب التلاوة للسورتين الشعراء والقمر،

إضافة إلى ذكر لفظ الملأ في سائر قصص الأعراف وفي كثير من قصص سورة المؤمنون وفي قصة موسى عليه السلام في سورة هود، بينما لم يرد ذكر الملأ في قصص سورتي الشعراء والقمر.

كما أن الاقتصار على شيء في بعض مواضع الحكاية ليس نفياً لغيره في مواضع أخرى، والملابسة بين الملأ والقوم واضحة حيث أن الملأ أشراف القوم وخواصهم.

الوحدة الثالثة

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ ﴾

(الأعراف ٠٦١-٠٦٣)

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ ﴾

(هود ٠٢٨-٠٣٤)

قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ ﴾

(الشعراء ١١٢-١١٥)

وهذه الآيات تتحدث عن جواب نوح ورده على اتهامات قومه التي رموه بها.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاء نداء القوم في سورتي الأعراف وهود بقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ ولم يأت هذا النداء في سورة الشعراء بل جاء فعل القول فقط بدون ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ .

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف النداء وفعل القول من سورة الشعراء وإثباتهما في سورتي الأعراف وهود، وهو حذف أكثر من كلمة وإثباتها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لمّا كان ختام جواب قوم نوحعليه السلام أشده في سورتي الأعراف وهود بدأ عليه السلام في جوابه بردّه مبيّنا لضلالاتهم مغضياً عن شناعاتهم شفقةً عليهم ومحبةً لنجاتهم فقال تعالى حكاية عنهم:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ وكرّرها تذكيراً لهم أنه منهم لتعطِفهم الأرحام وتردّهم القرابات عن حسده أو اتهامه إلى قبول ما يُلقى إليهم من الكلام.[١]

الموضع الثاني:

اختلاف إجابات نوحعليه السلام لقومه وردوده على شبهاتهم في كل موضع من المواضع السابقة في سور الأعراف وهود والشعراء .

نوعه: تشابه بالإبدال ،إبدال جملة أو أكثر بمثلها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أن الاختلاف الحاصل في حكاية إجابة نوحعليه السلام لقومه جاء تابعاً لما سبق كل موضع من شبهات الكافرين وأقاويلهم ،

ففي سورة الأعراف تقدم قولهم لنوحعليه السلام : ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ ، لذا وقع الرد عليهم بقوله : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ ،

---

[١] نظم الدرر ٢٧١/٩، وينظر المنار ٦٣/١٢

وقال (ضلالة) ولم يقل (ضلال) كما قالوا؛ لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في النفي، قال الشيخ أحمد الصاوي-رحمه الله- [١] في حاشيته على تفسير الجلالين: "الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه، والضلالة هي الخروج عن الحق ولو بوجه، فنفيها أبلغ لأنها نكرة في سياق النفي فتعم"[٢]، كقولك: ألك تمر؟ فيقال ما لي تمرة، ثم " لمّا نفى ما رموه به على هذا الوجه البليغ أثبت لهم ضده بأشرف ما يكون من صفات الخلق فقال مستدركا بعد نفي الضلال إثبات ملزوم ضده: ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ .... ﴾ "[٣]،وهنا وقع الاستدراك أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين: نفي الضلالة المتوهم ثبوتها وثبوت الرسالة المتوهم نفيها، "وحق (لكن) أن تتوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإثباتاً والتغاير هنا حاصل من حيث المعنى"[٤]، ثم استأنف الإخبار عن وظيفته بياناً لرسالته فقال: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وأما قوله : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ففيه زيادة وعظ على إيصال الدعوة إلى نفوسهم وهذا وسط بين الإسهاب والإيجاز مناسب لما ذكر في صدر السورة في بداية رسالة سيدنا محمدﷺ إلى قومه في قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾(الأعراف ٢)

فقوله تعالى في شأن الكتاب: ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو كالذكر في قول نوح: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(الأعراف ٦٣)

---

[١] هو:أحمد بن الصاوي المصري الخلوتي، مات سنة ١٢٤١هـ (ينظر هدية العارفين ٩٩/١)

[٢] حاشية الصاوي ٨٠/٢، وينظر الكشاف١٠٨/٢،والتفسير الكبير١٢٢/١٤، والتسهيل للكلبي ٣٦/٢

[٣] نظم الدرر ٤٢٩/٧، وينظر قطف الأزهار للسيوطي ١٠١٦/٢

[٤] روح المعاني ١٥١/٨، وينظر قطف الأزهار ١٠١٧/٢،وينظر حاشية الجمل ١٥٤/٢

وكذلك قوله : ﴿ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ نظير السابق في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأعراف ٣٥)

أمّا جواب نوح عليه السلام في سورة هود فهو مناسب لموضع القصة كلها حيث فيه إطناب يتماشى مع إسهابهم في شبهاتهم، فهم قد رموه بشبهة أنه نبيٌّ من البشر، وأن أتباعه من الأراذل والفقراء، وأنه ليس له أو لأتباعه عليهم من فضل، وأنهم كاذبون، فجاء الرد على تهمة البشرية بقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (هود ٢٨)

كما أن في هذا الرد مناسبة لقوله تعالى في بداية السورة: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (هود ١٧)

ووقع الرد على شبهة أتباع الفقراء بقوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (هود ٢٩-٣١)

أما قوله (تجهلون) وعدم قوله (جاهلون) إشارة إلى أن الجهل متجدد لهم وهو ليس عادتهم، استعطافا له منهم إلى الحلم.[١]

ولما يئسوا من جداله قالوا له: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (هود ٣٢)، فأظهر نهاية التفويض إلى الله وقال: ﴿

[١] نظم الدرر ٢٧٥/٩

إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (هود ٣٣-٣٤) ، وبذلك انتهت المناورة بينهما.

أما الوارد في سورة الشعراء فإنه جواب عظيم التناسب مع ما قبله فهم قالوا له:﴿ ۞ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾فاشتغل بدحض هذه الشبهة وقال لهم: ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾، وجاءت الآيات في حجمها وفواصلها متسقة مع آيات السورة كلها وفواصلها.

الوحدة الرابعة

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦٤)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(يونس ٠٧٣)

قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الأنبياء ٠٧٦-٠٧٧)

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الفرقان ٠٣٧)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

(الشعراء ١٠٥-١٢٠)

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

(العنكبوت ٠١٥)

قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾(الصافات ٠٧٦-٠٨٢)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾(ص ٠١٢)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾(ق ٠١٢)

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الذاريات ٠٤٦)

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾(النجم ٠٥٢)

قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾(القمر ٠٠٩-٠١٤)

قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ (الحاقة ٠١١-٠١٢)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

قوله تعالى في سورتي الأعراف ويونس: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ ، وفي سورة الأنبياء: ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ ، وفي سورة الفرقان: ﴿ كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ ﴾ ، وفي سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ، وفي سورة ص: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾، وفي سورة القمر: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ ، وفيها عبر سبحانه بالتكذيب لقصد التسلية.[١]

---

[١] نظم الدرر ٦١/١٤

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول من التشابه: في سورتي الأعراف ويونس نسب التكذيب إلى ضميره عليه السلام، وفي سورة الأنبياء نسب التكذيب إلى الآيات، وفي سورة الفرقان والشعراء نسب التكذيب إلى الرسل، وفي سورة ص نسب التكذيب إلى نوح عليه السلام، وفي سورة القمر ذكر التكذيب مرتين وكان في الثانية مضافاً إلى وصفه بالعبودية.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جميع المواضع بنفس المعنى لا تعارض بينها، لكن كان ذِكْر كل لفظ في موضعه لمناسبته لذلك الموضع، فتكذيب نوح عليه السلام كتكذيب الآيات التي جاء بها وهي الدلائل والحجج الدالة على رسالته، وهي كذلك كتكذيب الرسل جميعا فإنه من كذب بواحد منهم كان كمن كذبهم جميعاً؛ لأن رسالتهم واحدة.

أما سبب نسبة التكذيب إلى نوح عليه السلام في سورتي الأعراف ويونس فذلك لأن التكذيب وقع من جميع قومه من قادتهم ودهمائهم عدا بعض أهل بيته ومن آمن به عقب سماع قوله[1]، وقيل لدوام دعوته عليه السلام ودوامهم على التكذيب.[2]

وأما نسبة التكذيب إلى الآيات في سورة الأنبياء فلتكرر هذه الكلمة وما في معناها في هذه السورة أكثر من مرة، في قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾ (الأنبياء ٢) ، فالذكر هو القرآن الذي هو أعظم آية، وقوله: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ ﴾ (الأنبياء ٥)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (الأنبياء ٧)، وقوله: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (الأنبياء ١٠)، وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ١٩٧/٨

[2] ينظر تفسير السعدي ٣٧٠/١

مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنبياء ٢٤)، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأنبياء ٣٦)، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأنبياء ٤٢)، وقوله: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الأنبياء ٩١)

وأما نسبة التكذيب إلى الرسل في سورة الفرقان ففيه تغليظ في القول عليهم حيث جاءت العبارة بما يتضمنه فعلهم.[1]

كما أنها مناسبة لذكر الرسل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾(الفرقان ٢٠)

وأخيرا في سورة الشعراء جاءت نسبة التكذيب إلى المرسلين بقوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ لمناسبته للوارد في افتتاح كل قصة من قصص السورة، ففي قصة هودعليه السلام قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(الشعراء ١٢٣) ، وقال في قصة صالحعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾(الشعراء ١٤١) ، وقال في قصة لوطعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾(الشعراء ١٦٠) ، وأخيرا في قصة شعيبعليه السلام:﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾(الشعراء ١٧٦)

أما نسبة التكذيب إلى نوحعليه السلام في سورة ص فلعله مناسب للإشارة السريعة لهذه القصة في هذه السورة، وكذلك الأمر في سورة ق.

وقيل في توجيه قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا ﴾ وأن ذلك لدوام دعوة نوحعليه السلام لهم ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، ومع ذلك لم يزدهم ذلك إلا عناداً وطغياناً وقدحاً في نبيهم.[2]

---

[1] ينظر المحرر الوجيز ٤/٢١٠

[2] ينظر تفسير السعدي ١/٨٢٥

أما الرازي-رحمه الله- [١] فقد وجّه ذلك في تفسيره بأن قوله:﴿ عَبۡدَنَا ﴾ أدل على صدقه ﷺ ، وأدل على قبح تكذيبهم، لأن العبد أقل تحريفاً لكلام السيد فيكون كقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الحاقة ٤٤-٤٦) ، أما إضافة العبد إلى الله فقد وجّهها بثلاثة أمور:

الأول: أن هذه الإضافة تشريف من الله عز وجل.

الثاني: أن معناها الذي عبدنا فالكل عبيد لله لكن منهم مَن عبد الله فحقق المقصود فصار عبداً لله.

الثالث: أن الإضافة مفيدة للحصر فهذا العبد المضاف هو الذي بكليته لله في كل وقت فجميع أموره لوجه الله تعالى.[٢]

وقيل أن في ذِكْره ﷺ بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه.[٣]

النوع الثاني من التشابه: في سورة القمر ذكر التكذيب مرتين وكان في الثانية مضافا إليه ﷺ .

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف هذه الزيادة من ذكر التكذيب ثانياً في كل المواضع وإثباتها في سورة القمر.

---

[١] هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي بن الإمام القرشي البكري من ذرية أبي بكر الصديق الشافعي المفسر المتكلم ولد سنة ٥٤٤هـ وهو من تلامذة البغوي، له المحصول في الأصول وشرح الأسماء الحسنى وشرح المعضل للزمخشري وغير ذلك توفي سنة ٦٠٦هـ (أنظر طبقات الفقهاء ٢٦٣/١، وطبقات المفسرين ١١٥/١).

[٢] ينظر التفسير الكبير ٣٢/٢٩

[٣] ينظر تفسير السعدي ١٦٩/٨

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال الشيخ أبو السعود–رحمه الله– في تفسيره :" فكذبوا عبدنا: تفسيراً لذلك التكذيب المبهم الوارد في قوله:﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ كما في قوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (هود ٤٥) وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب، وقيل: معناه كذبوه تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله، وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم."[١]

وقال الرازي–رحمه الله– الفائدة من هذا التكرار من وجوه:

الأول: كذبت قوم نوح عليه السلام بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا.

الثاني: كذبت قوم نوح الرسل وقالوا لم يبعث الله رسولاً وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره وذلك لأن قوم نوح مشركون يعبدون الأصنام ومَن يعبد الأصنام يكذب كل رسول وينكر الرسالة لأنه يقول لا تعلّق لله بالعالم السفلي وإنما أمره إلى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوا.

وقد وافقه في هذا الوجه النسفي[٢] والزمخشري[٣] والبيضاوي[٤] رحمهم الله.

الثالث: للتصديق والرد عليهم تقديره: كذبت قوم نوح وكان تكذيبهم عبدنا، أي لم يكن تكذيباً بحق كما يقول القائل: كذبني فكذب صادقا.[٥]

وقيل المعنى: كذبت قبل قومك يا محمد قوم نوح فكذبوا عبدنا، أي صرحوا له بالتكذيب.[٦]

---

[١] تفسير أبي السعود ١٦٩/٨

[٢] ينظر تفسير النسفي ١٩٥/٤

[٣] ينظر الكشاف للزمخشري ٤٣٤/٤

[٤] ينظر تفسير البيضاوي ٢٦٥/٥

[٥] ينظر التفسير الكبير ٣٢/٢٩

[٦] ينظر تفسير النسفي ١٩٥/٤، وتفسير الطبري ٩١/٢٧، وفتح القدير ١٢٢/٥، وتفسير ابن كثير ٢٦٤/٤

الموضع الثاني:

تكرار الأمر بالتقوى في سورة الشعراء دون وجود هذا الأمر في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف الزيادة بتكرار الأمر بالتقوى وإثباتها وهو حذف جملة وإثباتها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كرر الأمر بالتقوى لأنه أراد في الأول: ألا تتقون مخالفتي وأنا رسول الله، وفي الثاني: ألا تتقون مخالفتي ولست آخذاً منكم أجراً فهو في المعنى مختلف ولا تكرار فيه. وقد يقول الرجل لغيره: ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا، ألا تتقي الله وقد علمتك كبيراً.

وإنما قدم الأمر بالتقوى على الأمر بالطاعة لأن تقوى الله علّة لطاعته فقدم العلّة على المعلول.[١]

الموضع الثالث:

جاء الفعل متعدياً بالهمزة وغير مضعف بقوله :﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ ﴾ في سور الأعراف والشعراء والعنكبوت ، وفي سورتي يونس والأنبياء جاء الفعل مضعّفاً ومقترناً بحرف الفاء بقوله :﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ ﴾، وفي سورة الصافات جاء الفعل كذلك مضعّفاً ولكنه اقترن بالواو بقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ ﴾.

وفيه نوعان من التشابه:

<u>النوع الأول من التشابه</u>: تشابه باختلاف الفعل، حيث جاء الفعل (أنجينا) في سورة الأعراف والشعراء والعنكبوت، وجاء بالفعل (نجَّينا) في سور يونس والأنبياء والصافات.

---

[١] ينظر التفسير الكبير ١٥٤/٢٤، واللباب ٦٥/١٥

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، وذلك بالتضعيف وعدمه، التضعيف في الفعل (نجّينا) وعدمه في الفعل (أنجينا).

أثر السياق في توجيه المتشابه:

من المعلوم أن (فعّل) للتكثير إذا لم يكن للتعدية، فإن كان للتعدية ففيه خلاف، يقول ابن عاشور –رحمه الله–: " فأمّا إذا كان فعّل المضاعف للتعدية فإن إفادته التكثير مختلف فيها، والتحقيق أن المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة إلى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير، لأن المضاعف قد عُرف بتلك الدلالة في حالة كونه لازماً فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية، وأنا أرى أن استفادة معنى التكثير في حال استعمال المضعّف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهموز الذي هو خفيف إلى المضعّف الذي هو ثقيل فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما"[١]، وفعّل هنا للتعدية لذا فإنها ليست للتكثير.

وقيل إن صيغة (أنجينا) كالأصل لصيغة (نجّينا) والقصة في سورة الأعراف كالأصل لغيرها لأنها أول مواضع ذكرها فوضع الأصل في الأصل، بينما المواضع التالية في ذكر قصة نوح‍عليه السلام بالنسبة للمذكور في سورة الأعراف كالفرع فوضع صيغة (نجّينا) والتي هي كالفرع للصيغة (أنجينا) في الفرع.

قال البقاعي–رحمه الله– في نظم الدرر:" وعدّى في الأعراف فعل النجاة بالهمزة وهي الأصل في التعدية....."[٢]

وقيل أن الفعل (نجّينا) هو فرع للفعل (أنجينا) على اعتبار التكثير في الثاني دون الأول والكثرة فرع القلة.

---

[١] التحرير والتنوير ١١/١

[٢] نظم الدرر ٤٣١/٧

وقال ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله- في كتابه ملاك التأويل أن صيغة (أنجينا) أصلية وصيغة (نجّينا) فرعية على اعتبار كثرة الاستعمال، ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على أنجينا[١].

وانتقد صاحب كتاب دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل هذا القول فقال أن هذا غير مسلم ولا مضطرد فقد ورد الفعل (أنجينا) في سورتي الشعراء والعنكبوت وليستا أول سورتين تذكر فيهما قصة نوح عليه السلام فقد سبقتهما سورة يونس التي ورد فيها الفعل (نجّينا)، كما أن الفعل (نجّينا) ليس للتكثير لأنه للتعدية وإن كان للتعدية ففيه خلاف كما بينّا ، لذلك ليس مسلماً بأنه فرع للفعل (أنجينا) على اعتبار الكثرة والقلة .

أما قول ابن الزبير –رحمه الله- فإنه غير صحيح لأننا إذا رجعنا إلى القرآن وجدنا أن استعمال الفعل (نجّى) وما يتصرف منه أكثر مما استعمل الفعل(أنجى) وما يتصرف منه بأربعة عشر مرة.[٢]

والجواب عن ذلك أن يقال أن النجاة التي حصلت هي شيء واحد لقصة تكررت حكايتها وقد جرى القرآن على عادة البلغاء بالتنويع فيما يتكرر بمعنى واحد تنشيطاً للسامع وتحريكاً لانتباهه بلا تعارض، فجاءت اللفظة متعدية مرةً بالهمز ومرةً بالتضعيف وكأنه نظر إلى مجرد النجاة وحصولها تارة ونظر إلى كثرة النجاة وعظمها تارة أخرى ، وفي كلا الحالتين لا تخلو الكلمة من مناسبة للموقع التي وجدت فيه.

ففي سورة الأعراف نجد أن الفعل (أنجينا) هو المذكور في كل القصص الواردة في السورة، قال تعالى في قصة هود عليه السلام : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأعراف ٧٠)، وفي قصة لوط عليه السلام: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأعراف ٨٢-٨٣)،

---

[١] ملاك التأويل ٥٣٠/١

[٢] ينظر دراسة المتشابه اللفظي للسامرائي ص١٠٢-١٠٣

وفي قصة موسى : ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأعراف ١٤١)

إضافة إلى المشاكلة اللفظية والمقابلة المعنوية بين الفعل (أنجينا) والفعل (أغرقنا) الذي يليه في الآيات.

وكذلك الأمر في سورة الشعراء فقد ذكر الفعل (أنجينا) لأنه يتماشى مع المقابلة والمشاكلة اللفظية في قصص هذه السورة، فالفعل (أنجينا) في قصة نوح‌عليه السلام يشاكل ما ذكر عقبه من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٠)، وفي قصة موسى (وأنجينا) يشاكل ما بعده (أغرقنا) ، وفي قصة لوط: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾ يشاكل ما بعده ﴿ دَمَّرْنَا ﴾ ،وقيل أن الفعل (أنجينا) جاء بالهمزة لا بالتضعيف لمجيء الفعل (نجّني) بالتضعيف لا بالهمزة في الآية التي قبلها: ﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (الشعراء ١١٨)، فلتحقيق التيسير والتخفيف لم يأت التشديد والتضعيف في الفعلين الطلب والإخبار (نجّني، فنجّيناه) بل جاء أحدهما بالتضعيف مثقلاً (نجَني) وجاء الآخر بعده بالهمزة مخففاً (فأنجيناه).

وفي سورة العنكبوت ورد الفعل (أنجينا) وهو يتناسب مع إيجاز القصة في السورة حيث أن ذكر أصل الإنجاء أنسب مع الإيجاز، كذلك هو متناسب مع المذكور بعده في قصة إبراهيم‌عليه السلام :﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ ﴾ (العنكبوت ٢٤)

وبين القصتين تناسب واضح، فالأولى قصة النجاة من الغرق والثانية قصة النجاة من الحريق، وقد اقترنتا في كثير من سور القرآن اقتراناً مباشراً كما في سور الصافات والعنكبوت والشعراء.

أما الفعل الوارد في سورة يونس (نجَينا) فإنه متناسب مع المذكور في نفس السورة في قصة موسى‌عليه السلام في غرق فرعون من قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس ٩٢)

وليس في السورة غيرهما، كذلك فإنه متناسب مع سياق الآيات وما فيه من المبالغة في بيان النجاة وعظم شأنها المتناسب مع ما كان من تحدي نوح عليه السلام لقومه وكثرة توكله على الله وتفويضه الأمر إليه في قوله: ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾(يونس ٧١)

فإن قيل: لِم لَمْ يكن الفعل (نجّينا) قد ورد متعديا بالهمز (أنجينا) ليُشاكل ما بعده (فأغرقنا) كما كان الأمر في سورة الأعراف؟

أقول: أنه ورد هنا فعل آخر أضعف قوة المشاكلة وهو قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ فإنه لمّا فصل بين الفعلين (نجّينا) و(أغرقنا) أضعف الحاجة إلى طلب المشاكلة.

وكذلك الأمر في سورتي الأنبياء والصافات فإنه قد ذكر فيهما الفعل (نجّينا) لمناسبة الوارد في كل من السورتين فإنه لم يرد فيهما إلا بهذا اللفظ في سائر ما فيهما من القصص،

ففي سورة الأنبياء ورد الفعل (نجّينا) في قصص نوح ولوط وإبراهيم ويونس عليهم السلام.

وفي سورة الصافات ورد الفعل (نجّينا) في قصص نوح وموسى وهارون ولوط عليهم السلام وكل ذلك متناسب مع سياق الآيات في مطلع القصتين في السورتين والتي جاء فيها بيان تنجية الله لعباده المخلصين مما ينزل بهم من الكرب العظيم.[١]

ومما قد يوجه التشابه بين اللفظين (نجّى) و(أنجى) القول بأن القرآن كثيرا ما يستعمل الفعل (نجّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل الفعل (أنجى) للإسراع فيهما، فإن (أنجى) أسرع من (نجّى) في التخليص من الشدة والكرب، لذلك فإن الاختلاف في ذكر هذين الفعلين في المواضع التي وردت فيهما قصة

---

[١] ينظر كتاب من لطائف التعبير القرآني حول سير آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ، د.فؤاد سندي ص٩٢

نوح‍ عليه السلام هي بسبب الاختلاف في السياق وما يقتضيه مقام كل سورة، فقد يتطلب المقام الإسراع في ذكر النجاة فيستعمل (أنجى).[١]

وهذا هو الظاهر من سياق سور الأعراف والشعراء والعنكبوت ،

ففي سورة الأعراف اتهم قوم نوح نبيهم عليه السلام بالضلال ورموه بالكذب مما استدعى الإسراع في إنجائه ومن آمن معه.

وكذلك الأمر في سورة الشعراء فقد وردت القصة بشكل أكبر تفصيلاً كما أن الموقف كان فيها أشد والمحاجة أطول فقد وصفوا أتباع نوح عليه السلام بالأراذل، وطلبوا منه طردهم، وهددوه بالرجم، ثم كانت شكوى نوح عليه السلام إلى ربه بسبب تكذيبهم ودعوته بالنجاة له ولمن معه من المؤمنين، مما اقتضى الإسراع في ذكر إنجائهم.

أما في سورة العنكبوت فقد كان الإسراع متناسباً مع إيجاز القصة ومع سرعة الأخذ بالطوفان.

وقد لا يتطلب المقام الإسراع في ذكر النجاة فيستعمل الفعل (نجّى) وذلك كما في سور يونس والأنبياء والصافات حيث ليس في قصة نوح عليه السلام في هذه المواضع شيء من المجادلة أو التهديدات أو التفصيل بل كانت مواضعاً موجزة مختصرة فلم يكن هناك من داع إلى الإسراع في ذكر النجاة .[٢]

النوع الثاني من التشابه : عطف الفعل (نجّينا) بالفاء في سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والعنكبوت بخلاف سورة الصافات التي جاء العطف فيها بالواو.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف الفاء في سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والعنكبوت بحرف الواو في سورة الصافات.

---

[١] وقد ذكرت كتب معاجم اللغة أن كلمة النجاء من غير تضعيف إنما تعني السرعة في السير والحديث ونحوه، ينظر لسان العرب لابن منظور ٣٠٥/١٥

وينظر أساس البلاغة للزمخشري ٦٢١/١، ومقاييس اللغة لابن فارس ٣٩٧/٥

[٢] ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني للسامرائي ص ٦٢-٧٥

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن الأصل في فعل المطاوعة أن يُعطف عليه بالفاء، تقول دعوته فأجاب، وأعطيته فأخذ، ولا تقولها بالواو لأن المراد إفادة السببية وهو لا يكون في الغالب إلا بالفاء[١] ، لهذا نقول أن ما جاء في سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والعنكبوت إنما جاء على الأصل، إضافة إلى مناسبات أخرى لكل موضع في محله.

ففي سورة الأعراف جاء العطف بالفاء لأنها للتعقيب، وهو تعقيب عُرفي؛ لأن التكذيب حصل بعده الوحي إلى نوحٍ بأنه لن يؤمن من قومه إلا مَن قد آمن، ولا يُرجى زيادة مؤمن آخر.[٢]

ويشبه ذلك سبب العطف بالفاء في سورة يونس فقد كان لأجل الترتيب والتعقيب؛ لأن تكذيب قومه قد استمر إلى وقت إغراقهم وإنجاء نوحعليه السلام ومن اتبعه.[٣]

أما العطف بالفاء في سورة الأنبياء فقد كان للدلالة على سرعة الاستجابة لنداء نوح الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾.

وأما العطف بالفاء في سورة الشعراء فلمناسبته للوارد في قصة لوط في نفس السورة: قال تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾(الشعراء ١٧٠)

الموضع الرابع:

قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ ، وفي سورة يونس قال تعالى: ﴿ ُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ ﴾ ، وفي سورة الأنبياء: ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾ ،وفي سورة الشعراء: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ ،وفي سورة العنكبوت : ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ ، وفي

---

[١] ينظر البرهان ١٤١/٤

[٢] ينظر التحرير والتنوير ١٩٧/٨

[٣] ينظر التحرير والتنوير ٢٤٣/٩

سورة الصافات: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾، وفي سورة القمر لم يُذكر إلا نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ دون ذكر الذين آمنوا معه.

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول من التشابه: هو اختلاف الدلالة على قوم نوح عليه السلام مع أن المدلول واحد فقال في سورة الأعراف:﴿ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾، وقال في سورة يونس:﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ ، وقال في سورة سورتي الأنبياء والصافات:﴿ وَأَهْلَهُۥ ﴾، وقال في سورة العنكبوت::﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ .

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بكلمة أو جملة بجملة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أما قوله في سورة الأعراف ﴿ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾، وفي سورة يونس ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ فإن كل لفظة منهما جاءت حسبما يتناسب مع سياق المقام، فلفظة (من) كما يرى الكرماني –رحمه الله– هي اسم موصول تفيد الكثرة والمبالغة لأنها تصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث لذا فقد جاءت مع الفعل المشدد الذي يفيد المبالغة والكثرة أيضا،بينما لفظ (الذين) لا يكون إلا لجمع المذكر فقط لذا كان التشديد مع (من) أليق.[1]

وأقول: إذا كان كلام الكرماني صحيحا فلماذا اجتمع الفعل (أنجى) مع الاسم الموصول (مَن) في قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (الشعراء ١١٩) ، فهل هذا التوجيه غير مطّرد في القرآن؟

يرى الخطيب الإسكافي أن الاسمين (مَن) و(الذين) متناسبين مع الفعلين (نجّى) و (أنجى) فقال إن الفعل (أنجيناه) أصل في هذا الباب لأن أفعلت في باب

[1] ينظر البرهان للكرماني ص ١٩٠

النقل أصل لفعلت، واسم الموصول(الذين) هو الأصل في الموصولات مخصوصة بالصلة، و(مَن) تأتي بمعناها وقد تجيء بمعانٍ أخرى، لذلك استعمل الأصل في اللفظتين (أنجينا) و(مَن) في سورة الشعراء.[١]

وهذا ما رآه البقاعي –رحمه الله– حيث رأى أن (الذين) أخلص الموصولات وأصرحها، أما (مَن) فهي مشتركة بين الوصل والشرط، كما أنها قد تطلق على ما لا يعقل فناسب ذلك الحال،

لكنه علّل التعدية بالتضعيف في سورة يونس بأنه من التنوع في العبارة والذي هو الأليق بكلام البلغاء والفصحاء مع ما فيه من الأبلغية بإفهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم من مزيد التفويض في قوله: ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ .[٢]

وأقول هنا أن كلام الخطيب الإسكافي–رحمه الله– غير مسلّم لعدم اضطراده في باقي المواضع، ففي سورة الشعراء ورد الأصل (أنجينا) مع الفرع (مَن) في قوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾(الشعراء ١١٩)

وقد وافقه ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله– حيث قال :".....اعلم أيضا أن لفظ (الذي) بما تصرف منه للمثنى والمجموع أصل في الموصولات إذ لا يحذف لفظ (الذي) عن الموصولية،أما (مَن) فإنها تخرج إلى الاستفهام والشرط وغيرهما، والأصل في النقل أيضا أن يكون بالهمزة، وأما النقل بالتضعيف والباء وغيرهما فثانٍ عن الأصل......"[٣]

بناءً على ذلك جاء تعليله على هذا الموضع على نفس ما توصل له الخطيب الإسكافي، لكنه أضاف أمرا آخر وهو أن الفعل (أنجينا) لمّا كان بزيادة همزة النقل المثبت لها صورة الألف في الخط ونطق يخصها بحركة الهمزة فطالت الكلمة لفظا وخطا مما جعل الموصول (الذي) هو أنسب لها لما فيه من زيادة حروفه

---

[١] ينظر درة التنزيل ٣٧١/١–٣٧٢

[٢] ينظر نظم الدرر ٤٣١/٧–٤٣٢

[٣] ملاك التأويل ٥٣٠/١

على حروف (مَن)، بينما ناسب الفعل (نجّينا) الذي هو أخصر في الخط ناسب الموصول (مَن).[١]

وهذا الكلام أيضا غير مسلّم ولا مضطرد في القرآن.

ووجّه صاحب رسالة متشابه النظم في قصص القرآن الكريم هذا التشابه بأن سورة الأعراف كالأصل بالنسبة لسورتي يونس والشعراء بالنسبة لترتيب السور في المصحف، والموصول (الذين) كالأصل للموصول (مَن) لأنه آصل في الموصولية مختص بها لا يخرج عنها بينما تخرج (مَن)عنها، ولأنه أقل شمولاً من (مَن) فلا يشتمل إلا ما فوق الثلاثة بخلاف (مَن) التي تشتمل الواحد والاثنين والثلاثة وما فوقها فمدلولها أكثر من مدلول (الذي) والكثرة فرع القلة، لذلك جاء الأصل (الذين) في الأصل (سورة الأعراف) والفرع (مَن) في الفرع (سورتي يونس والشعراء).[٢]

وإذا وجّهنا آيات سور الأعراف ويونس والشعراء بناءً على ما قاله صاحب كتاب دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل من أن القرآن يستعمل الفعل (نجّى) للتلبث والتمهل في التنجية ، ويستعمل الفعل (أنجى) للإسراع فيها، وجدنا في الآيات في سورتي الأعراف والشعراء أن المحاجّة أوضح منها في آيات سورة يونس.

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأعراف ٥٩-٦٤)

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥٣١/١

[٢] ينظر رسالة متشابه النظم في قصص القرآن للدكتور الراجحي ص١٠١ ، وينظر قطف الأزهار ١٠١٩/٢

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (يونس ٧١-٧٣)

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (الشعراء ١٠٥-١١٥)

فلم يذكر من المحاجّة في آيات سورة يونس سوى أنهم كذبوه، أما في آيات سورة الأعراف فقد رموه بالضلال، وفي آيات سورة الشعراء ازدروا أتباعه وهددوه بالرجم مما اقتضى الإسراع في الإنجاء في سورتي الأعراف والشعراء بخلاف سورة يونس.[1]

وفي سورة الشعراء إضافة إلى ما سبق فإن لفظ (مَن) مناسب لما ورد في حكاية دعاء نوح عليه السلام الذي سبق هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾، فلما ذكر في هذا الدعاء لفظ (مَن) ذكر كذلك لفظ (مَن) فيما بعده.

---

[1] ينظر دراسة المتشابه اللفظي للسامرائي ص ١٠٣-١٠٤

يقول البقاعي-رحمه الله-:" ولمّا كان إهلاكهم وإنجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف أبرزه في مظهر العظمة فقال: فأنجيناه ومن معه "[١]

وأما قوله في سورتي الأنبياء والصافات: ﴿ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ ﴾ بالتعبير بلفظ (أهله) بدل (مَن) و(الذين) فلتناسبه مع إيجاز الآيات في السورتين، وكذلك لكثرة ورود لفظ الأهل وكثرة ذكر الذرية والقرابة ففي سورة الأنبياء ففيهما قصتي موسى وهارون عليهما السلام وهما أخوين، وكذلك قصة إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عليهم السلام وواضح ما بينهم من وشائج، وكذلك قصة داود وسليمان عليهما السلام وما بينهما من وشائج قوية، وكذلك قصة زكريا ومريم عليهما السلام .

كذلك الأمر في سورة الصافات فقد ورد فيهما ذكر الأهل والوشائج والقرابات في كل من قصص إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط وموسى وهارون عليهم السلام .

وأما التعبير عن قوم نوح عليه السلام بقوله: ﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ في سورة العنكبوت فلحسن مناسبته لمقام الإيجاز، كما أنه قد تقدم في السورة ذكر الهلاك على ذكر النجاة، وتقدُّم ذكر الهلاك كان بعنوان أخذهم بالطوفان مما اقتضى ذكر السفينة بعده فكان ذكر الناجين بعنوان (أصحاب السفينة)؛ وذلك لأنه لا ينجي من الطوفان بعد مشيئة الله إلا السفينة.

<u>النوع الثاني من التشابه: </u>الدلالة على المؤمنين من قوم نوح عليه السلام في سور الأعراف ويونس والأنبياء والعنكبوت والشعراء والصافات بينما لم يذكر إلا نوح عليه السلام دون ذكر المؤمنين في سورة القمر بقوله: ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ ﴾ (القمر ١٣)

---

[١] نظم الدرر ٦٧/١٤

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف الجملة الدالة على المؤمنين في سورة القمر وإثباتها في سور الأعراف ويونس والأنبياء والعنكبوت والشعراء والصافات.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

ذِكْر المؤمنين في سور الأعراف ويونس والأنبياء والعنكبوت والشعراء والصافات جاء على الأصل لأنهم كانوا ممن نجوا مع نوح عليه السلام، فلا يُسأل عنه إنما السؤال عن عدم ذكرهم في سورة القمر.

والجواب: أنه لم يُذكر في سورة القمر على سبيل التنجية سوى نوح عليه السلام: ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ ﴾، ليتناسب مع عدم ذكر المؤمنين في القصة في هذه السورة، ففي مطلع القصة أُفرد ذِكْره عليه السلام بشرف العبودية﴿ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾، وفي دعائه أفرد نفسه بقوله: ﴿ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ فناسب ذلك ذِكر نجاته وحده عليه السلام عليه دون ذكر من معه من المؤمنين.

يقول الكلبي –رحمه الله– في تفسيره: " لماذا قال هنا:﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ ﴾في القمر ولم يقل (وأصحابه) وقال هناك:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ في العنكبوت؟

نقول: النجاة مذكورة على وجه أبلغ مما ذكره هناك لأنه قال: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾(القمر ١٤) أي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لأصحابه وحفظ لأموالهم ودوابهم والحيوانات التي معهم فقوله: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾لا يلزم منه إنجاء الأموال إلا ببيان آخر والحكاية في سورة هود أشد تفصيلا وأتم فلهذا قال: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾(هود ٤٠) يعني المحمول، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾(هود ٤٤) تصريحا بخلاص السفينة وإشارة إلى خلاص كل من فيها. وقوله: ﴿ ءَايَةٗ ﴾ منصوبة على أنها مفعول ثان للترك لأنه بمعنى الجعل على ما تقدم بيانه وهو الظاهر، ويحتمل أن يقال حال، فإنك تقول تركتها وهي آية وهي إن لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه

قال تركناها دالة، ويحتمل أن يقال نصبها على التمييز؛ لأنها بعض وجوه الترك كقوله ضربته سوطا"[1]

الموضع الخامس:

زاد في سورة يونس قوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ ﴾.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان، حيث جاءت هذه الزيادة في سورة يونس دون باقي المواضع.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة "تفصيل لما أجمل في أول السورة: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ (يونس ١٣-١٤)، وقوم نوح أول أمة أهلكت بتكذيبها ثم خلفها غيرها فذكر تفصيلاً واحداً للمجمل المتقدم وأنهم جُعلوا خلائف كما جرى فيمن بعدهم".[2]

وقال البقاعي:" فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا ثم أشار لهم في قصة نوح عليه السلام بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم إلى أنه تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة، ورحمهم بهذا النبي فقضى أنهم غير مهلكين".[3]

الموضع السادس:

هذا الموضع متعلق بالشيء الذي ركبه المؤمنون من قوم نوح عليه السلام ونجوا فوقه، فقال في سورتي الأعراف ويونس﴿ ٱلۡفُلۡك ﴾، وفي سورة الشعراء﴿ ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾، وفي سورة العنكبوت ذكر لفظة﴿ ٱلسَّفِينَةِ ﴾، وفي سورة الحاقة﴿ فِي

---

[1] التفسير الكبير ٣٧/٢٩

[2] ملاك التأويل ٥٣١/١

[3] نظم الدرر ٤٣٢/٧

ٱلْجَارِيَةِ ﴾، وفي سورة القمر﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ . فهذه دوال مختلفة الألفاظ لمدلول واحد.

نوعه: تشابه بالإبدال، تشابه بإبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جميع هذه الدوال المختلفة هي لمدلول واحد، ولكن اختلفت لاختلاف السياق في كل موضع، ففي سورة الأعراف ويونس جاء اللفظ على الأصل وهو قوله: ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ أما في سورة الأعراف فلتناسب ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ مع ذكر بعض مظاهر آيات الله في الكون لأنه أدل على الضخامة والتفلّك والعِظَم.

وأما في سورة يونس فإن لفظ ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ مناسب لما ورد في آية سابقة في نفس السورة ورد فيها لفظ ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(يونس ٢٢)

وأما في سورة الشعراء فقد ورد لفظ ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ مع وصفه بالمشحون لمراعاة ما بعده من قوله: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(الشعراء ١٢٠)؛ لأنه إذا تم بيان في الآية الثانية أن الباقي كله قد غرق فإنه قد تم بيان في الآية الأولى أن ما تعمر به الأرض بعد هلاك هذا الباقي هي الفلك، وتم وصفه بأنه مشحون لأن الفلك لن يبقى خالياً بل سيكون مشحوناً بالأزواج وبالمؤمنين وبنوح عليه السلام .

قال البقاعي –رحمه الله–:" لما كانت سلامة المملوء جدا أغرب قال المشحون."[١]

وأما الألفاظ التي وردت في سور العنكبوت والحاقة والقمر فإنها جميعاً مشتركة في تقدم ذكر الهلاك الواقع بقوم نوح عليه السلام على ذكر الأمر الذي كانت به

---

[١] نظم الدرر ٦٧/١٤

النجاة ، ففي سورة العنكبوت ورد قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾ قبل ذكر السفينة التي حَسُن ذكرها بعد ذكر الطوفان لِمَا في حروفها من معنى السّفْن والجري، فكأنه لمّا ذكر الطوفان وهو طغيان المياه ذكر بعد ذلك الشيء الذي يطغى فوق الطوفان وتسفنه وتجري فوقه.

وفي سورة الحاقة لما ذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾، حسُن أن يعقب ذلك قوله: ﴿ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ ، فإنه لما ذكر طغيان الماء وارتفاعه ذكر بعده مالا يمكن النجاة إلا به وهي الجارية التي تجري فوقه، وفي ذلك تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وإنما السفينة سبب صوري.[1]

وفي سورة القمر لما ذكر قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾، حيث ذكر نوعين من الماء: ماءٌ نازل وآخر صاعد، حَسُن أن يعقبه ذكر الأمرين وهما قوله تعالى: ﴿ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾، ألواح ودسر يجتمعان فيصيران شيئاً واحداً تكون به النجاة.

ووجّه ابن عاشور –رحمه الله– قيام قوله:﴿ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ مقام الموصوف عوضاً عن قوله: ﴿ ٱلْفُلْك ﴾ بقوله :"لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها، وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوحعليه السلام ومن معه، فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تُعرف سفينة قبلها، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(هود ٣٦-٣٧) ، وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء وكان ذكرها دالاً على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف إيجازاً كما قال: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ ﴾(سبأ ١١) أي دروعا سابغات"[2]

ولا يخفى ما في الجميع من رعاية الفواصل لكل سورة.

---

[1] ينظر تفسير أبي السعود ٩/ ٢٣

[2] التحرير والتنوير ١٨٤/٢٧

الموضع السابع:

اختلاف الألفاظ الدالة على الكافرين من قوم نوح عليه السلام والذين غرقوا بالطوفان، فعبر عنهم في سورتي الأعراف ويونس بقوله: ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، وفي سورة الأنبياء: ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، وفي سورة الفرقان: ﴿ أَغْرَقْنَـٰهُمْ ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾، وفي سورة الصافات: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾.

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

<u>النوع الأول من التشابه</u> :اختلاف الألفاظ في كل من سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والصافات.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار، حيث أظهر في سور الأعراف ويونس والشعراء والصافات، وذلك بإضافة الإغراق إلى الذين كذبوا، وإلى الآخرين، وإلى الباقين، بينما أضمر في سورتي الأنبياء والفرقان حين أضاف الإغراق إلى الضمير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

ذكر قوله: ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ في سورتي الأعراف ويونس لتوافقها مع قوله في كلتا السورتين: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ ﴾، حيث بيّن تكذيبهم في كلا الموضعين من السورتين.

أما ذكر الآيات في قوله:﴿ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ فإنه متناسب مع المذكور في سورة الأعراف عند قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(الأعراف ٦٣)، والذكر المراد به الآيات، ومتناسب كذلك مع ذكر الآيات الكونية الواردة في السورة التي سبقت الحديث عن قصة نوح عليه السلام.

وكذلك ذكر الآيات في سورة يونس فإنه متوافق مع المذكور قبله في قوله: ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس ٧١)

يقول ابن عاشور –رحمه الله–: "سبب تعريف قوم نوح‍عليه السلام بطريق الموصولية ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾ في يونس للإيماء إلى سبب تعذيبهم بالغرق، وأنه بالتكذيب بآيات الله إنذاراً للمشركين من العرب ولذلك ذُيّل بقوله:﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي المنذَرين بالعذاب المكذبين بالإنذار"[1]

أما قوله في سورة الأنبياء: ﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فقد جاء مناسباً لما قبله في قوله: ﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ في نفس الآية حيث جاء السياق مبيّناً نصرة الرسل وقبول دعوتهم والاستجابة لهم عند اشتداد الكُرب، وكانت نصرة نوح‍عليه السلام بإغراق جميع الكافرين.

يقول الإمام ابن عاشور–رحمه الله–:" وصْف القوم في الأنبياء بالموصول للإيماء إلى علة الغرق الذي سيُذْكَر بعد، وجملة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ علّة لنصر نوح‍عليه السلام؛ لأن نصره يتضمن إضرار القوم المنصور عليهم."[2]، ويقول البيضاوي –رحمه الله–: قوله تعالى﴿ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لاجتماع الأمرين: تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلّهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله.[3]

وأما الوارد في سورة الشعراء: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾، فلأنه متناسب مع ما قبله حيث ذكر أنه قد حمل نوحاًعليه السلام والمؤمنين معه في الفلك المشحون فاستتبع ذلك بيان إغراق من تبقى من بعدهم، يقول البقاعي –رحمه الله–: "لمّا كان إغراقهم من الغرائب عظّمه بأداة البعد ومظهر العظمة فقال:﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ﴾"[4]

---

[1] التحرير والتنوير ٢٤٣/٩

[2] التحرير والتنوير ١١٣/١٧

[3] ينظر تفسير البيضاوي ١٠٢/٤

[4] نظم الدرر ٦٧/١٤

وفي سورة الصافات ورد قوله: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، لتناسبها مع باقي الآيات في نفس السورة والتي ورد فيها لفظ الآخرين وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾،

مع وجود فرق بين الأفعال (أغرقنا) و(دمرنا) و(تركنا).

النوع الثاني من التشابه: هو قوله تعالى: ﴿ أَغْرَقْنَـٰهُمْ ﴾ دون ذكر وصف لهؤلاء المُغرقين في سورة الفرقان بخلاف باقي المواضع .

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف الوصف من موضع سورة الفرقان وإثباته في المواضع الأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن عدم ذكر وصف للمغرَقين في سورة الفرقان مناسب للإشارة السريعة إلى قصة نوحعليه السلام مع قومه في هذه السورة، كما أنه مناسب لقوله تعالى في نفس الآية:﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ ﴾والتي تدل على أن المغرَقين هم جميع المكذبين لنوح عليه السلام، وعلى هذا فلا تعارض بين الأوصاف المذكورة في سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والصافات.

وقد يكون عدم وصف المغرَقين هنا في سورة الفرقان للاكتفاء بالوصف الوارد لهم في آخر الآية في قوله تعالى:﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾

الموضع الثامن:

اختلاف الأوصاف التي وُصف بها الكافرون من قوم نوحعليه السلام، فقال في سورة الأعراف: ﴿ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾،وفي سورة يونس: ﴿ فَٱنظُرْ

كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾، وفي سورة الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَـٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾، وفي سورة النجم: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال وصف بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جميع هذه الأوصاف صحيحة تنطبق على قوم نوحعليه السلام لكن اختصاص كل موضعٍ بألفاظ وأوصاف دون غيرها إنما هو لمناسبة المقام في كل سورة، ففي سورة الأعراف كان وصفهم بالعمى في قوله: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾، لمناسبة السياق في السورة حيث قالوا: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٖ مُّبِينٖ ﴾، فقد ادّعوا الرؤية فأثبت لهم العمى حيث لا يرمي الأنبياء بالضلال إلا من عميت بصيرته[1]. قال البقاعي-رحمه الله-:" قوماً عمين أي مطبوعين في عمى القلب"[2]

وفي سورة يونس وُصفوا بالمنذَرين ليتناسب مع التعريف بإنذارهم والذي سبق بيانه في سورة الأعراف في قوله: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأعراف ٦٣)

وفي سورة الأنبياء وُصفوا بقوله: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ ﴾، لتناسبه مع قوله تعالى في قصة لوطعليه السلام في السورة نفسها: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَـٰسِقِينَ ﴾.[3]

وقد وجّه أبو السعود-رحمه الله- هذا الوصف في تفسيره بقوله: هذا الوصف تعليلٌ لما قبله وتمهيدٌ لما بعده من قوله: ﴿ فَأَغۡرَقۡنَـٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ فإن الإصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الإهلاك.[4]

وفي سورة النجم قال: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴾، لتناسبه مع فواصل الآيات السابقة في السورة نفسها، كذلك فهو مناسب للتنويه في نفس السورة بقدرة

---

[1] ينظر نظم الدرر٧/٤٣٢،وملاك التأويل ٥٣٢/١

[2] نظم الدرر ٤٣٢/٧

[3] ينظر ملاك التأويل ٥٣٢/١

[4] ينظر تفسير أبي السعود ٧٨/٦ ، وينظر تفسير البيضاوي ١٠٢/٤

الله على إهلاك الطاغين لأنه أشد في بيان كفرهم وأدل على قدرة الله الغالبة على كل طغيان.[١]

ووجّه الألوسي[٢] وأبو السعود[٣] والبقاعي[٤] -رحمهم الله- وصْف قوم نوحعليه السلام بأنهم أظلم وأطغى من الفريقين المذكورين قبلهم عاد وثمود؛ لأنهم كانوا أشد إيذاءاً لنبيهم نوحعليه السلام، وأكثر إيلاماً وإصراراً وتمادياً على الباطل جيلاً بعد جيل، وأكثر من غيرهم ظلماً وطغياناً، وما أثّر ذلك في دعائه لهم.[٥]

وقال الرازي-رحمه الله- في تفسيره الكبير:"أما الظلم فلأنهم البادئون به المتقدمون فيه والبادئ أظلم، وأما أطغى فلأنهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الأمد ولم يرتدعوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعو نبي على قومه إلا بعد الإصرار العظيم، والظالم واضع الشيء في غير موضعه، والطاغي المجاوز الحد، فالطاغي أدخل في الظلم فهو كالمغاير والمخالف، فإن المخالف مغايرٌ مع وصف آخر، وكذا المغاير والمضاد، وكل ضدٍ غير وليس كل غيرٍ ضد"[٦]

فإن قيل: أن المراد من الآية تخويف الظالم بالهلاك ، فقد يُقال: إنهم كانوا في غاية الظلم والطغيان فأُهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما بالغنا فلا نهلك، ولو كان هلاكهم بسبب ظلمهم فقط دون المبالغة فيه فما الفائدة من قوله:﴿ أَظْلَمَ ﴾؟

فالجواب: أن المقصود هو بيان شدتهم، وقوة أجسامهم، فإنهم لم يقدموا على الظلم والطغيان الشديد إلا بتماديهم وطول أعمارهم ومع ذلك ما نجا منهم أحد، فما حال من هو دونهم في العمر والقوة فهو كقوله تعالى: ﴿ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾ (الزخرف ٨)

---

[١] ينظر ملاك التأويل ٥٣٢/١

[٢] ينظر روح المعاني ٧٠/٢٧

[٣] ينظر تفسير أبي السعود ١٦٥/٨

[٤] ينظر نظم الدرر ٧٩/١٩

[٥] ينظر رسالة القصص القرآني للدكتور فضل حسن عباس ص٦٧

[٦] التفسير الكبير للرازي ٢١/٢٩، وينظر اللباب ٢٢١/١٧

وقد روي أن الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه ينطلق به إلى قـوم نـوحعليه السلام، يقول: احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي ما قلـت لـك، فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير عليه.[١]

الموضع التاسع:

قدم ذكر تنجية المؤمنين واستخلافهم على إغراق المكذبين وقطع دابرهم في مواضع سور الأعراف ويونس والأنبياء والشعراء والصافات والقمر بخلاف موضعي سورتي العنكبوت والفرقان.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

البدء بالإخبار عن إغراق المكذبين في سورتي العنكبوت والفرقان ثم إتباعه بالإخبار عن نجاة المؤمنين هو الأصل فلا يُسأل عنه، لأن الطوفان إذا وقع كان الغرق، وبعد انتهائه عُلم الناجون.

أما تقديم الإخبار عن الناجين قبل ذكر المُغرَقين فإنه يحتاج إلى توجيه، يقول البقاعي –رحمه الله– في توجيه ذلك في سورة الأعراف: "لما تسبّب عن تكذيبهم له (أي لنوحعليه السلام) تصديق الله له بإهلاكهم وإنجائه ومن آمن به، قال مقدماً لإنجائه اهتماماً به ﴿ فَأَنجَيۡنَٰه ﴾ بما لنا من العظمة من أهل الأرض كلهم ومن عذابنا الذي أخذناهم به.[٢]

أما ابن عاشور –رحمه الله–[٣] فقد وجّه ذلك بقوله: "قدم الإخبار بالإنجاء على الإخبار بالإغراق مع أن مقتضى مقام العبرة تقديم الإخبار بإغراق المنكرين فقدم

---

[١] ينظر التفسير الكبير ٢٢/٢٩،اللباب٢٢٢/١٧، القرطبي١٢٠/١٧

[٢] نظم الدرر ٤٣١/٧

[٣] هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة منها: مقاصـد الشـريعة الإسـلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي سنة ١٣٩٣هـ (ينظر الأعلام للزركلي ١٧٤/٦)

الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلاً لمسرة السامعين من المؤمنين بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين فذلك التقديم يفيد التعريض بالنذارة وإلا فإن الإغراق وقع قبل الإنجاء إذ لا يظهر تحقق إنجاء نوح ومن معه إلا بعد حصول العذاب لمن لم يؤمنوا به فالمعقب به التكذيب ابتداء هو الإغراق والإنجاء واقع بعده."[١]

أما سبب ذلك في سورة يونس فهو لأن تقديم ذكر التنجية هو الأهم في سياق صدق الوعد والوعيد من وجهين:

أولهما: تقديم مصداق الوعد لتسلية النبيﷺ وتسرية حزنه على قومه ومنهم.

ثانيهما: كونه هو الأظهر في الحجة على أنهما (أي الوعد والوعيد) من الله القادر على إيقاعهما على خلاف ما يعتقد المشركون المكذبون المغرورون بكثرتهم وقلة أتباع النبي، وخلاف الأصل المعهود في المصائب العامة في العادة وهو أنها تصيب الصالح والطالح على السواء فلا تمييز فيها ولا استثناء ولكنه هو الذي جرت به سنة الله في مكذبي الرسل من بعد نوحعليه السلام فكان آية لهم فلولا أن الأمر بيد الله على وِفْق وعده ووعيده لما هلك الألوف الكثيرون ونجا أفراد قليلون لهم صفة خاصة أخرجهم منهم تصديقاً لخبر رسولهم، وما سيق هذا النبأ هنا إلا لتقرير هذا المعنى وغفل عنه الباحثون عن نكتة البلاغة في العدول عن الضمير إلى الاسم الموصول فقالوا إنها تعجيل المسرة للمؤمنين والإيذان بأن الرحمة مقدمة على العذاب والأظهر أن ما قلته هو المقصود الأول لذاته الذي يقتضيه السياق.[٢]

أما تقديم الإنجاء على الإغراق في سور الأنبياء والشعراء والصافات والقمر فلمناسبته لاستنجاد نوحعليه السلام لربه ودعائه إياه في هذه السور، حيث ناسبه ذكر إنجاء الله له قبل ذكر إغراق الكافرين، دلالة على سرعة استجابته لنبيه ونصرته له، ففي سورة الأنبياء قال تعالى:﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾(الأنبياء ٠٧٦) ، وفي سورة الشعراء قال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾

---

[١] التحرير والتنوير ١٩٧/٨

[٢] تفسير المنار ٤٦٣/١١ ، ينظر التحرير والتنوير ٢٤٢/٩

فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ ﴾(الشعراء ١١٧-١١٩) ، وفي سورة الصافات قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ ﴾(الصافات ٠٧٥-٠٧٦) ، وفي سورة القمر قال تعالى:﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ ﴾(القمر ٠١٠-٠١٣)

سورة يونس

مكيتها ومدنيتها:

سورة يونس مكية على قول الجمهور، وقد ورد خلاف بعضهم في آية أو آيتين أو ثلاث، وجعل بعضهم أول أربعين آيةً منها مكية والباقي مدنية.[1]

يقول ابن عاشور –رحمه الله– في هذه الأقوال المخالفة للجمهور: "وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ" .[2]

قال أبو جعفر النحاس–رحمه الله– في كتابه الناسخ والمنسوخ "حدثنا يموت بن المزرع قال: حدثنا أبو حاتم ثم قال: حدثنا أبو عبيدة قال: حدثنا يونس عن أبي عمرو عن مجاهد عن ابن عباس قال: نزلت سورة يونس بمكة فهي مكية".[3]

ونزلت بعد سورة الإسراء وقبل سورة هود[4]، وعدد آياتها مائة وتسع آيات فهي أولى المئين إن جعلنا سورة براءة مع سورة الأنفال من الطوال وإلا فبراءة أولاهن[5].

موضوعات السورة:

اعتنت كسائر السور المكية بأصول العقيدة والإيمان بالله وبالكتب السماوية والرسل والبعث والجزاء، وتميزت بالتوجيه إلى الإيمان بجميع الرسالات السماوية وخصوصا بالقرآن الكريم، ومطلع هذه السورة شبيه بمطلع سورة الأعراف حيث قدم الله فيها الإنذار وعمَمه وأخر البشارة وخصّصها، وفي سورة الأعراف أخر الله الذكرى وخصّصها وقدم الإنذار وعمَمه.[6]

---

[1] ينظر زاد المسير ٣/٤، تفسير القرطبي ٣٠٤/٨، والتحرير والتنوير ٥/١١(الطبعة الجديدة)

[2] التحرير والتنوير ٧٨/١١

[3] الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٢٩/١

[4] ينظر تفسير المنار ١٤١/١١

[5] ينظر نظم الدرر ٦١/٩

[6] ينظر أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ١٠٧/١

ومقصودها وصف الكتاب وأنه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس من عند غيره سبحانه لأن غيره لا يقدر على شيء منه.

ثم تحدثت السورة عن رسالة النبيﷺ، وبينت أن سنة الله اقتضت بعث الرسل إلى كل الأمم، ثم جاءت الآيات مبيّنة حقيقة الألوهية والعبودية، ثم تناولت موقف المشركين وتعنّتهم من الرسالة والقرآن وعجبهم من أن يرسل الله رجالاً منهم يوحى إليهم، ثم تحدي النبيﷺ لهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك رغم بلاغتهم وفصاحة ألسنتهم.

ثم سردت السورة قصص بعض الأنبياء بشكل مبسّط موجز فذكرت قصة نوح عليه السلام التي جاءت متناسبة مع موضوع السورة؛ وذلك لأن الكفار قد استعجلوا العذاب، وقوم نوح عليه السلام كانوا يكذبونه إذا خوّفهم من حلول العذاب لتأخيره، فلما وقع وظهر تعيّن صدق نوح عليه السلام، كما جاءت مبيّنة وثوق نوح عليه السلام من نصرة الله له وعدم مبالاته بما يتوعده به قومه، وذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقصة يونس عليه السلام الذي سميت السورة باسمه، وذكرت نجاة قومه بإخلاص الإيمان في وقت اليأس، كل ذلك لبيان سنّة الله في الكون وأنها تقتضي إهلاك الظالمين ونصرة المظلومين، ولتسلية النبي محمدﷺ.

ثم ختمت السورة بالتأكيد على نبوة النبيﷺ وأمْر الله له بالاستمساك بشريعة الإسلام والصبر على جفاء المشركين وأذاهم.

سبب تسميتها بسورة يونس عليه السلام:

لأنها انفردت بذكر خصوصية لقومه عليه السلام وهي أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب فعفا الله عنهم لما آمنوا وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ (يونس ٩٨) ، وتلك الخصوصية إنما هي كرامة ليونس عليه السلام وليس فيها ذكر ليونس عليه السلام غير ذلك.[1]

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ٥/١١ (الطبعة الجديدة)، وصفوة التفاسير ٥٧٢/١

وقد تقدم من متشابهها موضعان وهما مرتبين حسب ورودهما في توجيه متشابه سورة الأعراف :

الأول: قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

(يونس ٠٧١)

وقد تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٥٩)، وآية سورة هود (٢٥)، وآية سورة المؤمنون (٢٣)، وآية سورة العنكبوت (١٤)، وآية سورة الشعراء (١٠٦)، وآية سورة نوح (١).[1]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(يونس ٠٧٣)

وقد تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآيتي سورة الأنبياء (٧٦-٧٧)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة العنكبوت (١٥)، وآيتي سورة الشعراء (١١٩-١٢٠)، وآيات سورة الصافات (٧٦-٨٢).[2]

---

[1] ينظر ص٩٣

[2] ينظر ص١٢٩

وأما ما تشابه من سورة يونس مع ما بعدها من السور فهي:

وحدة واحدة

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

(يونس ٠٧٢)

قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(هود ٠٢٩)

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

(الشعراء ١٠٩)

وقد خاطب كل نبي قومه بهذا إزاحة لما عسى أن يتوهموه، وإمحاضاً للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع فهي بمعزل عن التأثير.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

ابتداء نوح عليه السلام بالحديث مع قومه بقوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ﴾ في سورة هود، دون وجود هذا النداء في سورتي يونس والشعراء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف النداء وفعل القول في سورتي يونس والشعراء وإثباتهما في سورة هود.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

شرع نوح عليه السلام يكرر قوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ﴾ في سورة هود كل قليلٍ تذكيراً لهم بأنه منهم لتعْطِفهم الأرحام وترُدّهم القرابات عن حسده أو اتهامه إلى قبول ما يلقى

إليهم من الكلام[١]، وذلك مناسب لطول جدالهم له في هذه السورة، وكثرة عنـــادهم، وكذلك لطلب إقبال أذهانهم لوعي كلامه.[٢]

بينما لم يكن الوضع كذلك في سورتي يونس وهود فلم يحتج نوح عليه السلام إلـــى التحنّن إليهم والتعطف لهم في الكلام، فإن اختيار التعبير عنهم بوصفهم قوماً لـــه تحبيبٌ لهم في نفسه ليأخذوا قوله مأخذ قول الناصح المتطلـــب الخيـــر لهـــم؛ لأن المرء لا يريد لقومه إلا خيراً.[٣]

الموضع الثاني:

قوله في سورة يونس: ﴿ فَمَا سَأَلۡتُكُم ﴾، وفي سورة هـــود: ﴿ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴾

في هذا الموضع أربعة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: استعمال أداة النفي (مـــا) فـــي ســـورتي يـــونس والشعراء، بينما استعملت أداة النفي (لا) في سورة هود.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال الحرف (لا) في سورة هود بالحرف (ما) فـــي سورتي يونس والشعراء.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء النفي بالحرف (ما) في سورة يونس لأنها وقعت جوابا للشرط فاقترنت بحرف الفاء، فلا يصح اقتران فاء الشرط بالحرف (لا).

وورد النفي بالحرف (لا) في سورة هود لمناسبتها لما بعدها في قصة هود في نفس السورة في قوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ ﴾(هود ٥١)

---

[١] ينظر نظم الدرر ٢٧٢/٩

[٢] ينظر التحرير والتنوير١٢/٥٠

[٣] ينظر التحرير والتنوير ٢٣٦/١١

وكذلك لوقوع الحرف نفسه في قصة نوح‍ عليه السلام عند إجابته عن الشبهة نفسها في قوله: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (هود٣١)

بينما في سورة الشعراء جاء النفي بالحرف (ما) لأنه اطّرد استعمالها في بقية القصص في السورة كلها في قول كل من هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام لأقوامهم: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ ﴾، ومن عادة القرآن مراعاة الجوار وإعطاء سمات وخصائص لكل موضع.

<u>النوع الثاني من التشابه:</u> العطف بحرف الفاء في سورة يونس، وبالواو في سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف الفاء في سورة يونس بحرف الواو في سورة الشعراء.

<u>النوع الثالث من التشابه:</u> مجيء العطف في سورتي يونس والشعراء، وتركه في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، إثبات حرفي الفاء والواو في سورتي يونس والشعراء وحذف ذلك في سورة هود.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن قوله: ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم ﴾ في سورة يونس واقعة في جواب الشرط، ولما كان توليهم عن دعوته قد وقع واستمر تعيّن أن جعل التولّي في حق الشرط مراد به ما كان حصل ليرتب عليه جواب الشرط الذي هو شيء قد وقع أيضاً. وإنما قصد إقرارهم به قطعاً لتعللاتهم واستقصاءً لقطع معاذيرهم.

والمعنى إن كنتم قد تولّيتم فقد علمتم أني ما سألتكم أجراً فتتهمونني برغبة في نفع يَنْجرّ لي من دعوتكم حتى تُعرضوا عنها شحّاً بأموالكم، أو اتهاماً بتكذيبي،

وهذا إلزامٌ لهم بأن توليهم لم يكن فيه احتمال تهمتهم إياه بتطلّب نفعٍ لنفسه، وبذلك برأ نفسه من أن يكون سبباً لتوليهم، وبهذا تعيّن أن المعلّق بهذا الشرط هو التحقق من مضمون جملة الشرط وجملة الجزاء، لا وقوع جملة الجزاء عند وقوع جملـــة الشرط.[١]

أما في سورة هود فلم يأت العطف في قوله:﴿ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴾ لأنه ورد في أول الآية في قوله:﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالاً ﴾(هود ٠٢٩)

أما العطف بالواو في سورة الشعراء فلأنه المضطرد في جميع قصص السورة فقد جاء العطف بالواو في قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

النوع الرابع من التشابه: قوله: ﴿ سَأَلۡتُكُم ﴾ في سورة يـــونس، و﴿ أَسۡـَٔلُكُم ﴾ في سورتي هود والشعراء.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، حيث جاء الفعـــل بالماضـــي فـــي سورة يونس وبالمضارع في سورتي هود والشعراء.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قوله في سورة يونس ﴿ سَأَلۡتُكُم ﴾ أي في الماضي وقبل هذا الحديث، وهنـــا جاء الفعل في الزمن الماضي فقط لمناسبته للإيجاز في سرد قصة نـــوح عليه السلام فـــي هذه السورة، بخلاف طول القصة الوارد في سورتي هود والشعراء ممـــا ناســـبه مجيء فعل المضارع ﴿ أَسۡـَٔلُكُم ﴾ الدال على استمرارية الفعل أي لا أســـألكم فـــي وقت من الأوقات.

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ١١/٢٤٠-٢٤١

الموضع الثالث:

هو ذكر لفظ ﴿ أَجۡرٍۖ ﴾في سورتي يونس والشعراء، بخلاف سورة هود التي ورد فيها لفظ ﴿ مَالاًۖ ﴾

نوعه: تشابه بإبدال كلمة بأخرى مطابقة لها في المعنى، وهو مـــا يُعـــرف بالترادف.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت الآية في سورة يونس على الأصل الأغلب، فلفظ الأجر أصل في ذلك وقد غلب التعبير به في كثير من المواضع، كما أنه أعم وأشمل من لفظ المال، ودخلت عليه (من) لتأكيد عموم النفي والاستغراق فيه، وكذا الحال في سورة الشعراء إضافة إلى كون هذا اللفظ هو المضطّرد في كل قصة في هذه السورة بعد قصة نوحعليه السلام، حيث قال في قصة هودعليه السلام: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٧) وكذلك في قصة صالحعليه السلام: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الشعراء ١٤٥) وفي قصة لوط: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٦٤) وفي قصة شعيب: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٠)

أما في سورة هود فقد عبر بلفظ المال لمناسبة ذلك لما قبله وما بعده، أما ما قبله فهو قول قوم نوح لنبيهمعليه السلام: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾ (هود ٢٧) وأرادوا بالأراذل الفقراء، والفقير هو قليل المال أو عديمه فناسب في صدد الرد عليهم التعبير بلفظ المال لأنه أمسّ بقضية الفقر، وكذلك مناسب للسابق من قول كفار قريش في حق النبي محمد: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ (هود ١٢)

أما مناسبته لما بعده فهو مناسب لذكر الخزائن الواردة في كلام نوح عليه السلام عندما قال: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾، وهكذا وردت كلمة المال كلما وردت بعدها كلمة الخزائن لأن لفظ المال بالخزائن أليق.[1]

قال البقاعي–رحمه الله–: "أن نفيهم للفضل لما كان شاملاً للأموال وعلم الغيب أقرهم على ذلك منبهاً على خطئهم فيه بأنه لم يقل بينهم ما يكون سبباً له فقال عاطفاً: ﴿ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالاً ﴾ ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ ﴾ أي في وقت من الأوقات ﴿ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ فأتفضل بها عليكم".[2]

وقال ابن عاشور–رحمه الله–:"المخالفة بين العبارتين في قوله: ﴿ مَالاً ﴾ و﴿ أَجۡرِى ﴾ في سورة هود تفيد أنه لا يسأل من الله مالاً ولكنه يسأل ثواباً."[3]

والتوجيه الأول أولى –والله أعلم–

الموضع الرابع:

هو ذكر (من) مقترنة مع لفظ (أجر) في سورتي يونس والشعراء، وعدم ذكرها مع لفظ (مال) في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف (من) وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

(من) تفيد عموم النفي والاستغراق فيه والتأكيد عليه لذلك ناسب ذكرها مقترنة مع لفظ الأجر في سورتي يونس والشعراء.[4]

يقول البقاعي –رحمه الله–: في سورة الشعراء نفى نوح عليه السلام تهمته بقوله: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي على هذا الحال الذي أتيتكم به وأشار إلى الإغراق في النفي

---

[1] ينظر البرهان للكرماني ص ٢٢٢ ،والتعبير القرآني للسامرائي ص ١٧٥– ١٧٦
[2] نظم الدرر ٢٧٥/٩
[3] التحرير والتنوير ٥٥/١٢
[4] ينظر البرهان للكرماني ص٢٢٢

بقوله: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أي ليظن ظانّ أني جعلت الدعاء سبباً له، ثم أكد هذا النفي بقوله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.[١]

الموضع الخامس:

كان المقصور عليه من حيث الأجل لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾ في سورتي يونس وهود ، بينما كان في سورة الشعراء ﴿ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء اللفظ في سورتي يونس وهود على الأصل وهو لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾، لكنه في سورة الشعراء جاء المقصور عليه بقوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ لأنها العبارة التي اضطّرد استخدامها في هذه السورة في الآيات السابقة واللاحقة على قصة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الشعراء ١٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الشعراء ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الشعراء ٤٧)، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الشعراء ٧٧)، وقال تعالى: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الشعراء ٩٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الشعراء ١٤٥)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٦٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٠)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ (الشعراء ١٩٢)

---

[١] ينظر نظم الدرر ٦٢/١٤

الموضع السادس:

زاد في سورة يونس قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾، دون وجود هذه الزيادة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان .

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت الزيادة في سورة يونس لمناسبتها الشديدة لما بعدها من القول لنبينا محمدﷺ ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (يونس ٩٤-٩٥)

الموضع السابع:

زاد في سورة هود: ﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾، دون زيادة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الزيادة في سورة هود هي بمعنى: تجهلون كل ما ينبغي أن تعلموه، ويدخل فيه جهلكم بمنزلتكم عند الله، وبما يترتب من المحذور على طرد المؤمنين، وبركاكة رأيكم في التماس ذلك، وتوقيف إيمانكم عليه، وغير ذلك.

إذا فهذه الزيادة متناسبة مع ما قاله قوم نوح لنبيهم وما اتهموه به من أنه بشر، وأنه لم يتبعه إلا أراذل الناس، وأنهم لا فضل لهم، وأنهم كاذبون، فكلها تهم تدل على سخافة عقولهم.

أما إيثار صيغة الفعل فهي للدلالة على التجدد والاستمرار، وعبر بالرؤية موافقة لتعبيرهم وجوّز أن يكون الجهل بمعنى الجناية على الغير وفعل ما يشق عليه، لا بمعنى عدم العلم المذموم، وهو معنى شائع كما في قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا[1]

أي: ولكني أراكم قوماً تتسفّهون على المؤمنين بنسبتهم إلى الخِسّة.[2]

[1] هذا البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم. (ينظر جمهرة أشعار العرب ٦٠/١، الإيضاح في علوم البلاغة ٢٥٦/١، وخزانة الأدب ٣٩٧/٦)

[2] ينظر روح المعاني ٤٢/١٢

سورة هود

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة عظيمة نزلت بمكة، قال أبو جعفر النحاس:"حدثنا يموت بن المزرع بإسناده عن ابن عباس قال: نزلت سورة هود بمكة فهي مكية"[١]

آياتها مائة وثلاث وعشرون آية.

موضوعات السورة:

اهتمت كباقي السور المكية بأصول العقيدة وتوحيد الله والبعث والجزاء وبيان حقيقة القرآن ووصْفه بالإحكام، وأنه لا ضلل فيه ولا لبس ولا تناقض فهو من لدن حكيم خبير، وتحدي النبي العربَ بالإتيان بمثله، وفيها ذكرٌ لرسالة المصطفى، وذكر يوم القيامة، وفي صدرها أيضا ذكر نعم الله على خلقه، ثم بيّنت حال فريق الهدى وفريق الضلال ووازنت بينهما وبيّنت وضعهما في السراء والضراء.

تلا ذلك الحديث عن الرسل عليهم السلام وبيان حال من تبعهم وحال من كذبهم ابتداء بقصة نوح عليه السلام والتي بسطت هنا وفصّلت دون غيرها من السور ولا في سورة الأعراف على الرغم من طولها، فشرحت ما أُجمل في سورة يونس، ولا في سورة نوح على الرغم من أنها أفردت قصته دون غيره[٢]، والسبب في تفصيلها في سورة هود أن الغرض الذي سيقت له القصص هنا في سورة هود مغاير للغرض الذي سيقت له في غيرها من السور، وهذا الغرض هو بيان إهلاك من كانوا أشد من العرب قوة وأكثر جمعاً وأمكن أمراً وأقوى عناداً وأعظم فساداً وأحد شوكةً، وما اتفق في ديارهم من الطامّات والأهوال تحذيراً من مثل حالهم بارتكاب أفعالهم، وفرق بين ما يُساق للشيء وما يلزم منه الشيء[٣]، فذكرت المواقف التي اشتدت على نوح عليه السلام، ونهْي الله له عن الحزن من عدم إيمان قومه

---

[١] الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٣١/١

[٢] ينظر أسرار ترتيب القرآن ١٠٨/١

[٣] ينظر نظم الدرر ٢٦٥/٩

به، ثم سخريتهم منه، وقصة نجاتهعليه السلام هو ومن معه، وندائهعليه السلام لابنه وشفقته عليه، وحواره مع ربه حين عاتبه سبحانه وتعالى وأعلمه بأن ابنه ليس من أهله، وقد اشتملت الآيات التي حكت هذه القصة على آية هي غاية في الروعة والبلاغة بل هي أبلغ آية في القرآن على حد قول بعض علماء البلاغة والفصاحة كالجرجاني –رحمه الله– في كتابه دلائل الإعجاز[١] وغيره من علماء الإعجاز وهي قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾(هود ٤٤)

حيث اشتملت على بلاغة وفصاحة يضعف عن الإتيان بما يقاربها باحتوائها على واحد وعشرين نوعاً من أنواع البديع ولم تتعد كلماتها تسعة عشر كلمة.

ثم ذكرت السورة قصة هود وصالح ومن بعدهما لوط وشعيب وموسى وقارون، وبيان حال الذين سعدوا وحال الذين شقوا في كل ما سبق من قصص.

ثم ختمت السورة ببيان الحكمة من عرض تلك القصص وأن ذلك للاعتبار والاتعاظ، كما أن فيها تثبيتاً لقلب النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

سبب تسميتها بسورة هود:

لورود قصة هودعليه السلام فيها والتي سميت السورة باسمه تخليداً لجهوده في سبيل الدعوة إلى الله، فقد أرسله الله إلى قوم عاد فتجبروا واستكبروا فأهلكهم الله.
وكان سياق هذه القصة أنسب ما يكون لمقصد السورة لما فيه من بيان أحكام البشارة والنذارة ،

وقيل أن سبب تسمية هذه السورة بسورة هود رغم أنها ذكرت قصص نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وعلى الرغم من أن قصة نوحعليه السلام طُوّلت فيها أكثر من غيرها؛ وذلك لأن جميع هذه القصص تكررت في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء، وكانت أكثر استيعاباً مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرّره في هذه السورة فإنه تكرر فيها عند ذكره قصته في أربع مواضع، والتكرار من أقوى

---

[١] ينظر دلائل الإعجاز ٥٣/١

الأسباب، كما أن عاداً وُصفوا فيها بأنهم قوم هود، وذلك على الرغم من أن اسم نوح عليه السلام قد تكرر في هذه السورة في ستة مواضع أي أكثر من تكرار اسم هود عليه السلام، لكنها لم تسمّ باسمه لاختصاص سورة كاملة مستقلة بقصته مع قومه.[١]

وقد تقدم من متشابه السورة ثلاثة مواضع ، وهي مرتبة حسب ورودها في الدراسة التطبيقية :

الأول: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

(هود ٠٢٥-٠٢٦)

وقد تشابه هذا الموضع مع آية سورة الأعراف (٥٩)،وآية سورة يونس (٧١)، وآية سورة المؤمنون (٢٣)، وآية سورة العنكبوت (١٤)، والآيات في سورة نوح (١-٢-٣)[٢]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(هود ٠٢٧)

وقد تشابه مع آية سورة الأعراف (٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٢٤).[٣]

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(هود ٠٢٩)

وقد تشابه مع آية سورة يونس (٧٢)، وآية سورة الشعراء (١٠٩).[٤]

وأما ما تشابه منها مع ما بعدها فهو كما يلي:

---

[١] ينظر البرهان للزركشي ٢٧١/١، وينظر التحرير والتنوير ١٩٧/١١(الطبعة الجديدة)

[٢] ينظر ص ٩٣

[٣] ينظر ص١١٣

[٤] ينظر ص١٦١

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ وَيَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَـٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(هود ٠٢٩-٠٣٠)

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

(الشعراء ١٠٩-١١٤)

موضع التشابه:

قوله في سورة هود: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

نوعه: إبدال الموصول الاسمي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ ﴾ في سورة هود، بالموصول الحرفي أل في قوله:﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ في سورة الشعراء.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أن كل موضع كان متفقاً مع السياق الذي وُجد فيه، ففي سورة هود جاء الكلام موصولاً بالذي لأن ما سبقه كان موصولاً اسمياً بالذي في قوله: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾(هود ٢٧)، أما في سورة الشعراء فقد كان السابق قوله: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(الشعراء ١١١) موصولاً حرفياً فناسب أن يأتي الجواب موصولاً حرفياً بأل، كذلك في قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(الشعراء ١١٤)

كما أن السياق يحتم أن تنتهي الآيات بجمع المذكر السالم لمناسبة فواصل الآيات.

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

(هود ٠٣٦-٠٤١)

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٧-٠٢٩)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

قوله في سورة هود: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾

وفيه نوعان من التشابه:

<u>النوع الأول من التشابه</u>: مجيء الفعل مقترناً بالواو في سورة هود، ومقترناً بالفاء في سورة المؤمنون

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف الواو في سورة هود بحرف الفاء في سورة المؤمنون.

النوع الثاني من التشابه: إسناد الفعل لما لم يُسمّ فاعله في سورة هود، وإسناده إلى الله عز وجل في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، بالبناء للفاعل في سورة المؤمنون والبناء لما لم يُسمّ فاعله في سورة هود.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لمّا سيقت الآيات في سورة المؤمنون مساق الإنعام، ولمّا سبق فيها مباشرة دعاء نوحعليه السلام لربه بالنصرة في قوله: ﴿ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦ ﴾ حسُن مجيء الفعل مقترنا بحرف الفاء الدالة على سرعة تعقيب الإجابة بالدعاء، وأما إسناد الوحي لله بصنع السفينة فإنه أدل على معنى النصرة بعد التضرع والدعاء.

ولمّا لم توجد هذه المعاني في سورة هود فلم يسبقها تضرع ولا دعاء من نوحعليه السلام، وكان الموحى به ليس صنع السفينة بل إخبار نوحعليه السلام بأن يقنط وييأس من إيمان قومه حسُنت الواو وحسُن بناء الفعل للمجهول.

الموضع الثاني:

قوله في سورة هود: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ .

في هذا الموضع أربعة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: مجيء ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ في سورة هود ومجيء (الفاء) في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف بحرف.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الفاء في سورة المؤمنون لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها من صنع الفلك.[١]

إضافة إلى أن حرف الفاء وقع جوابا لدعوة نوح عليه السلام وطلبه النصرة والإجابة إلى النصرة؛ لأن حرف الفاء دال على التعقيب المفيد للسرعة الذي شاع في آيات هذه السورة في قوله:﴿ فَأَوْحَيْنَآ ﴾ وقوله:﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ وقوله:﴿ فَٱسْلُكْ ﴾ وقوله بعد ذلك:﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وكل ذلك مناسب للإيجاز في سورة المؤمنون.

أما (حتى) فإنها تعني التراخي وتدل على البعد والغاية والاستمرار إلى وصول هذه الغاية، إضافة إلى أنها على أربعة أحرف بخلاف الفاء والتي هي حرف واحد فناسب ذلك الطول الوارد في سورة هود.[٢]

النوع الثاني من التشابه: مجيء الفعل ﴿ قُلْنَا ﴾في سورة هود وعدم وروده في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف فعل القول في سورة المؤمنون وإثباته في سورة هود.

النوع الثالث من التشابه: مجيء جواب الشرط ﴿ ٱحْمِلْ ﴾ في سورة هود واستبداله بالفعل ﴿ فَٱسْلُكْ ﴾ في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال فعل بآخر.

النوع الرابع من التشابه: اقتران الفعل في سورة المؤمنون بحرف الفاء وعدم ذلك في سورة هود.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف بحرف.

---

[١] ينظر فتح البيان ٢٨٠/٥

[٢] ينظر ملاك التأويل ٦٥٦/٢، والمفصل ٤٠٤/١ للزمخشري، والمقتضب ١٠/١ وأسرار العربية ٢٤٠/١، وعلل النحو ٣١٧/١

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وجّه ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله- ذلك بأن لفظ ﴿ ٱحْمِلْ ﴾ أوسع موقعاً في اللغة، وأكثر تصرفاً في الكلام، تقول: حملت الشيء إلى فلان، وحملته على كاهلي، وحملت العلم عن فلان، وحُمّل فلان الأمانة، وحمله الغضب على كذا، وحمل الفارس على صاحبه، وحملت المرأة والشجرة [١]، ولا تقول في شيء من هذا سلك.

وأما سلك فإن العرب تقول: سلكت الشيء في الشيء وأسلكته أي أدخلته، قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المدثر ٤٢) أي ما أدخلكم، وقال: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الجن ١٧) أي ندخله فيه [٢]، وقلّ ما يخرج سلك عن هذا المعنى من الدخول حقيقةً ومجازاً ففيها من حيث معناها خصوص، وأما حمل ففيها اتساع لا يكون في سلك.

فوجه ورودها في سورة هود لاقتران لفظ ﴿ قُلْنَا ﴾بها فطال الكلام لفظاً، كما ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في هذه السورة من استيفاء قصة نوحعليه السلام وطول الكلام بها.

أما سورة المؤمنون فقد أوجزت قصة نوحعليه السلام وأجملتها، فقصة نوحعليه السلام في سورة هود على الضعف أو أطول مما في سورة المؤمنون في كلمها وعدد حروفها؛ لذا ورد لفظ اسلك في سورة المؤمنون لإيجازه من حيث معناه وعدم اقترانه بالفعل ﴿ قُلْنَا ﴾. [٣]

وقد وافقه الخطيب الإسكافي-رحمه الله- في هذا التوجيه حين قال بأن قوله في سورة هود:﴿ ٱحْمِلْ ﴾ كان إخباراً من الله تعالى إلى نوحعليه السلام من الأمر بحمل المؤمنين وكل ما أراد حمله إلى السفينة، وهذا أمر بتهيئة مَن أراد حملهم معه، ثم

---

[١] ينظر لسان العرب ١٧٤/١١

[٢] ينظر لسان العرب ٤٤٢/١٠، والعين ٣١١/٥

[٣] ينظر ملاك التأويل ٦٥٥،٦٥٤/٢

بعد ذلك كان الأمر بركوب السفينة في قوله:﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ ، ثم كان الأمر بالهبوط في قوله: ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ ﴾

ففي هذه السورة كان هناك تفصيل الأمر بثلاثة أوامر يدل الأول منها على التهيئة والثاني على الركوب والثالث على الهبوط.

أما في سورة المؤمنون فإنه قد أجمل ذلك كله في أمر واحد بقوله:﴿ فَٱسۡلُكۡ ﴾ وهو يتضمن معنى الحمل والركوب والعبور، ومن ذلك سمي الطريق مسلكاً، وسلكه ينابيع في الأرض أي أجراه، وسلك الطريق نفذ فيه، فكان موضع الاختصار أولى بالمجمل من الكلام وموضع البيان أولى بالبسط.[1]

ورأى ابن عاشور –رحمه الله– أن قوله: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا ﴾ في سورة هود وقوله:﴿ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا ﴾ في سورة المؤمنون؛ لأن سورة هود حكت ما خاطبه الله به عند حدوث الطوفان وذلك وقت ضيق فالأمر بالحمل للدلالة على الإسراع في إركاب المؤمنين، أما سورة المؤمنون فقد حكت ما خاطب الله به نوح عليه السلام قبل حدوث الطوفان لذا أمره بالسلوك عندما يحدث الطوفان.[2]

وقيل أن الفرق بين الفعلين (احمل) و (أسلك) إنما كان لبيان أن ما كان على نوح عليه السلام أخْذه معه على السفينة منها ما يُحمل حملاً ومنها ما يُدخَل إدخالاً، فالحيوانات كانت مختلفة الأجسام والأحجام فمنها ما يُحمل فيُدخل ومنها ما يُدفع فيُسلك.[3]

---

[1] ينظر درة التنزيل ٢/٥٧٠،٥٧١

[2] ينظر التحرير والتنوير ١٨/٤٦

[3] ينظر كتاب من لطائف التعبير القرآني في سير آدم ونوح وإبراهيم د. فؤاد سندي، ص٨١

الموضع الثالث:

قوله في سورة هود: ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ وقوله في سورة المؤمنون: ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ ﴾ ،

في هذا الموضع ثلاثة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: قوله في سورة هود ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ عطفاً على المحمول دون ذكر ذلك في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف جملة وإثباتها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب ذكر قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ في سورة هود دون ذكر ذلك في سورة المؤمنون لأسباب:

أولا: أن موضع سورة هود أكثر إطناباً من موضع سورة المؤمنون فحذف ذكر ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ فيها حملاً على سورة هود واكتفاءً بها.

ثانيا: لمناسبة قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ في سورة هود لِما سبقها من قوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ ، وما سبقها أيضا من جدال طويل في شأن هؤلاء المؤمنين فالنفس قد استشرفت وتشوقت إلى معرفة مآل هؤلاء المؤمنين الذين حصل الحديث عنهم، بينما في سورة المؤمنون لم يأت شيء من هذا الجدال فلم تذكر هذه العبارة فيها.

ثالثا: أن قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ ناسب في سورة هود الأمر المنجَز والذي سبقه في قوله: ﴿ ٱحۡمِلۡ ﴾ وكان ذلك عند انتهاء الصراع والجدال، ومجيء الساعة

الفاصلة، وتعيّن من آمن فناسب التنصيص عليهم بقوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ لأنهم صاروا لا يقبلون تبديلاً.

أما في سورة المؤمنون فقد ورد الأمر المعلق وهو قبل انقضاء الأمر بمراحل عدة وفي ذلك الوقت لم يتعيّن المؤمنون بعد لأنه لا يؤمَن التغيير فيهم بموت أو كفر أو زيادة في العدد.

رابعا: لم يذكر قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ في سورة المؤمنون لأنه ورد فيها بعد آية علامة الطوفان قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ ، فهذه شملت أهل نوحعليه السلام ومن آمن معه ، أما في سورة هود فلم يرد فيها مثل هذه الآية لذا قال فيها: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ أي: واحمل يا نوح في السفينة مع أهلك من آمن معك.[١]

وقال الشيخ زاده–رحمه الله– [٢] في حاشيته على البيضاوي: وردت في سورة هود ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ دون ذكرها في سورة المؤمنون اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من أهل بيته فإنه يدل على أنه تعالى أمر بإدخال جميع من آمن به وإن لم يكن من أهل بيته.

وجوّز أن يكون المراد بقوله:﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾ جميع من آمن به سواءً اتصل به نسباً أو لم يتصل فيكون قوله:﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ استثناء منقطعا.[٣]

النوع الثاني من التشابه: قوله في سورة المؤمنون ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ دون ذكر هذا الجار والمجرور في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

---

[١] ينظر من لطائف التعبير القرآني في سير آدم ونوح وإبراهيم، د. فؤاد سندي، ص٨٢

[٢] هو: محمد بن مصطفى القوجوي محيي الدين الحنفي المعروف بشيخ زاده، المدرس الرومي، لـه حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، مات سنة ٩٥١هـ (ينظر هدية العارفين ٢٣٨/٦)

[٣] ينظر حاشية شيخ زاده على البيضاوي ٤٠٢/٣

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب حذف ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ من سورة هود وذكرها في سورة المؤمنون عدة أمور:

أولا: أنه لمّا كان أمْر الذين سبق عليهم القول من أهل نوحعليه السلام مشتبهاً فيهم عنده في سورة هود حتى ظن أن ابنه ليس من الذين سبق عليهم القول فنادى ربه عند حدوث الطوفان لإنقاذه فعاتبه ربه وقال له إنه ليس من أهله بل هو عمل غير صالح، فتاب نوح إلى ربه وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ ، لذلك حسن حذف الجار والمجرور ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ للتخفيف عن نوحعليه السلام في الملامة، والتماساً لعذره، بينما لم يكن للاشتباه والعتاب ذكر في سورة المؤمنون لذا لم يكن هناك موجب لحذف ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾.

<u>ثانيا:</u> لمّا كان قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ معطوفاً في سورة هود على قوله :﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾ حسُن حذف ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ حتى لا يطول المدى بين المعطوف والمعطوف عليه، بينما في سورة المؤمنون لم يكن فيها عاطف ومعطوف لذا لم يكن هناك موجب لحذف ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ .

<u>ثالثاً:</u> أنّ كلمة ﴿ مِنۡهُمۡۖ ﴾ فيها زيادة بيان لذا فقد وردت في الأمر التعليقي في سورة المؤمنون وذلك قبل المأمور به بسبب طول المدى بين الأمر وبين وقوعه، أمّا في سورة هود فقد كان للأمر المنجَز حضورٌ ووضوح يغني فيه عن زيادة البيان.

<u>النوع الثالث من التشابه:</u> قوله في سورة هود: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ دون ذكر لهذه الجملة في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

زِيد في سورة هود قوله: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ لمناسبتها لقوله في نفس السورة ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ والذي هو أمسّ بمقام التسلية الذي سيقت الآيات مساقه في هذه السورة، كما أنه مناسب للإفاضة في هذه السورة في الحديث عن هؤلاء المؤمنين وبيان حالهم والإشارة إلى عددهم وأنه كان قليلا فكان قوله: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ مظهرٌ من مظاهر البيان عنهم.[١]

أمّا في سورة المؤمنون فلم يذكر فيها قوله: ﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ ولذا لم تُذكر هذه الزيادة، بل ذُكر فيها قوله: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ في الختام في آية علامة الطوفان عطفاً على قوله تعالى: ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ ﴾، فناسب المعطوفُ المعطوفَ عليه ودخل ضمناً الابن الكافر في الذين ظلموا، بينما ذُكرت في سورة هود إنما لم ترد في الخاتمة بل في بداية الأمر بصنع السفينة لذا لم يكن هناك حاجة إلى إعادتها في الخاتمة.[٢]

الموضع الرابع:

الحكاية في سورة هود زادت ذكر تيئيس الله لنوحعليه السلام من إيمان قومه برسالته.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

ورد في آيات سورة هود تيئيس الله لنوحعليه السلام من إيمان قومه به، ونهيه عن الابتئاس بما كانوا يفعلون، وبيان سخريتهم له وهو يصنع السفينة، كما ذكرت

---

[١] ينظر من لطائف التعبير القرآني في سير آدم ونوح وإبراهيم، د.فؤاد سندي، ص٨٢

[٢] ينظر من لطائف التعبير القرآني في سير آدم ونوح وإبراهيم، د. فؤاد سندي، ص٨٢

الآيات ما كان من أمر السفينة وجريانها في موج كالجبال، وما كان من نوحعليه السلام من ندائه لابنه بأن يركب معه، وندائه لربه بأن ينجيه، ورد الله له، واستغفار نوحعليه السلام ربه، وكل ذلك أليق وأنسب لسياق الإطناب للتسلية في هذه السورة.

الموضع الخامس:

الحكاية في سورة المؤمنون زادت ذكر طلب الحمد من نوحعليه السلام حين استوائه على السفينة.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

طلب الله من نوحعليه السلام الحمد عند الاستواء على السفينة وطلب تبريك الله له منزله الذي ينزله وذلك من موافقة مقتضى مقام الحكاية في هذه السورة التي حرص فيها على إبراز مواضع النعم وما يتعلق بها.

الموضع السادس:

قال تعالى في سورة هود: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ بذكر حرف الجر **(في)** ، وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ بذكر حرف الجر **(على)**.

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

<u>النوع الأول من التشابه</u>: إبدال الحرف **(في)** في سورة هود بالحرف **(على)** في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف بحرف.

<u>النوع الثاني من التشابه</u>: إضمار السفينة في سورة هود والإشارة إليها بالضمير، والتصريح بها في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

" الركوب العلو على ظهر الشيء المتحرك حقيقةً نحو: ركب الدابة، أو مجازاً نحو: ركبه الدَّين، وفي الكلام حذف أي: اركبوا الماء في السفينة، فلا يرد أن (ركب) يتعدى بنفسه، وقيل: أن الفائدة في زيادة (في) أنه أمرهم بأن يكونوا في جوف السفينة لا على ظهرها، وقيل: بل إنها زيدت لرعاية جانب المحلّية والمكانية في السفينة كما في قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾(العنكبوت ٦٥)، وقوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ﴾(الكهف ٧١)

قيل: ولعل نوحاًعليه السلام قال هذه المقالة بعد إدخال ما أُمر بحمله في الفلك من الأزواج، كأنه قيل فحمل الأزواج وأدخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها، ويمكن أن يُقال أنه أَمر بالركوب كل من أُمر بحمله من الأزواج والأهل والمؤمنين، ولا يمتنع أن يَفهم خطابه مَن لا يعقل من الحيوانات، أو يكون هذا على طريقة التغليب".[١]

[١] فتح البيان ٤/٣٥٥

الوحدة الثالثة

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(هود ٠٤٤)

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٨)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

أنه تم ذكر الظالمين في كل سورة في نهاية القصة مع الاختلاف في ذكرهم، ففي سورة هود بالدعاء عليهم بالإبعاد، وأما في سورة المؤمنون فبحمد الله على النجاة منهم.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة الدعاء على الظالمين في سورة هود بجملة حمد الله على النجاة منهم في سورة المؤمنون.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء ذكر الظالمين في سورة هود وذلك عند الدعاء عليهم بالإبعاد وذلك لذكر هذا الإبعاد في نفس السورة عقب قصة هود: ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ﴾ (هود ٦٠)، وعقب قصة صالح: ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (هود ٦٨) ، وقصة شعيب: ﴿ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (هود ٩٥)

وأما في سورة المؤمنون فقد جاء ذكر الظالمين وذلك عند حمد الله على النجاة منهم، لأنه ورد الدعاء عليهم في نفس السورة في نهاية قصة هود: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المؤمنون ٤١)

أما قوله:﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ولم يقل: (فقولوا) لأن نوحاًعليه السلام كان نبياً وإماماً لهم، فكان قوله قولاً لهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبـوة، وإظهـار كبريـاء الربوبية، وأن رتبة ذلك المخاطب لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي.[١]

[١] اللباب في علوم الكتاب ٢٠٠/١٤

سورة الأنبياء

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية، قال أبو جعفر النحاس "حدثنا يموت بن المزرع بإسناده عن ابن عباس أنهن نزلن بمكة: الكهف ومريم وطه والأنبياء"[١]

موضوعات السورة:

تتناول السورة موضوعات العقيدة الإلهية، والتوحيد والبعث والجزاء، وتتحدث عن يوم القيامة وأهواله، وعن قصص الأنبياء المرسلين وإثبات نبواتهم ، فبدأت بالحديث عن غفلة الناس عن يوم القيامة والحساب الشديد، ثم انتقلت إلى الحديث عن المكذبين المشركين الذين لا يعتبرون ولا يتعظون حتى إذا ما فاجأهم العذاب رفعوا أكفّ الضراعة ولكن هيهات، ثم تناولت دلائل قدرته سبحانه وتعالى في الأنفس وفي الآفاق لتتنبّه على عظمة الخالق.

ثم جاء الحديث عن الرسل الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطٍ ونوحٍ وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وصالحٍ وإدريس وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحي وعيسى عليهم السلام بإيجاز، مع بيان الأهوال والشدائد التي تعرضوا لها ، ثم اختتمت ببيان أن سيد المرسلين هو المبعوث رحمة للعالمين.

سبب تسميتها بسورة الأنبياء:

سميت السورة بسورة الأنبياء لأن الله عز وجل ذكر فيها جملة من الأنبياء الكرام في استعراض سريع، وذكر جهادهم وصبرهم وتضحياتهم في سبيل الله، وتفانيهم في تبليغ الدعوة لإسعاد البشر، والذين بلغ عددهم ستة عشر نبياً، كما ذكر فيها قصة مريم، ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء عدا ما في سورة الأنعام فقد ذُكر فيها أسماء ثمانية عشر نبياً.[٢]

---

[١] الناسخ والمنسوخ ٥٥٥/١

[٢] ينظر التحرير والتنوير ٥/١٧ (الطبعة الجديدة)،وصفوة التفاسير ٢٥٤/٢

وقد سبق توجيه متشابه السورة في مواضع سورة الأعـــراف، وقـــد أبـــان التوجيه هناك عن هذا السياق.

وقد تشابهت هذه السورة مع ما سبقها في موضع واحد في سورة الأعـــراف وهو قوله تعالى:

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

تشابه هذا الموضع مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآية سورة يونس (٧٣)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة العنكبوت (١٥)، وآيتي سورة الشعراء (١١٩-١٢٠)، وآيات سورة الصافات (٧٦-٨٢)، وآية سورة الذاريات (٤٦)، وآيات سورة القمر (٩-١٤)، وآيتي سورة الحاقة (١١-١٢).[١]

---

[١] ينظر ص١٢٩

سورة المؤمنون

مكيتها ومدنيتها:

هي من السور المكية، قال أبو جعفر النحاس:"حدثنا يموت بن المزرع بإسناده عن ابن عباس قال:وسورة المؤمنين نزلت بمكة فهي مكية"[1]

موضوعات السورة:

عالجت آياتها أصول الدين كسائر السور المكية، وبيّنت دلائل القدرة والوحدانية متجسدة في الكون والإنسان والحيوان والنبات، ثم في خلق السماوات البديعة وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على وجود الله وقدرته سبحانه، وتحدثت عن الصفات التي تميّز المؤمنين عن غيرهم، وبشّرتهم بالفلاح العظيم على ما تحلّوا به من الفضائل.

ثم عرضت بعض قصص الأنبياء تسلية للنبي، وابتدأت بقصة نوحٍ عليه السلام التي تحدثت عما يحول بين الإنسان والإيمان، وسبب الابتداء بقصة نوح عليه السلام لأنه أبو البشر الثاني كما ذكرت قصة آدم عليه السلام أولاً في قوله: ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (المؤمنون ١٢) ولأن قصته مناسبة لما قبلها من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٢)

فذكر بعدها قصة مَن صنع السفينة وأنه كان سبب نجاة من آمن، ثم ذكرت عناد كفار قريش ومكابرتهم للحق، وقدمت الحجج والبراهين على البعث والنشور وهو محور السورة كلها.

ثم تحدثت عن الأهوال والشدائد التي يلقاها الكفار عند الاحتضار وهم في سكرات الموت عندما يتمنون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، ثم ذكرت ذلّهم بعد الممات وعجزهم في جهنم.

ثم ختمت السورة بالحديث عن يوم القيامة حيث ينقسم الناس إلى سعداء وأشقياء.

---

[1] الناسخ والمنسوخ ٥٧٩/١

سبب تسميتها بسورة المؤمنون:

وقد سميت السورة بهذا الاسم لافتتاحها بذكر فلاح المؤمنين الصادقين.

وقد تقدم من متشابهها ثلاثة مواضع وهي حسب ترتيب وقوعها مع ما سبقها:

الأول: قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، وقد تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٥٩)، وآية سورة يونس (٧١)، وآية سورة هود (٢٥)، وآية سورة العنكبوت (١٤)، وآية سورة الشعراء (١٠٦).[١]

الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٠)، وآية سورة هود (٢٧)، وآية سورة الشعراء (١١١)، وآية سورة القمر (٩).[٢]

الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة هود (٣٦-٤١).[٣]

أما ما تشابه من السورة مع ما بعدها فهو كما يلي:

---

[١] ينظر ص٩٣

[٢] ينظر ص١١٦

[٣] ينظر ص١٧٤

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٦)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

(الشعراء ١١٧-١١٨)

قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾

(القمر ٠١٠)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(نوح ٠٢٦-٠٢٧)

وهذه الآيات تحوي دعوة نوح لربه بعد إصرار قومه على الشرك وتهديدهم له ولأتباعه، كما أنها تفسّر ما جاء في قصة نوح في قوله تعالى في آية سورة الأنبياء: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأنبياء ٧٦)، وفي آية سورة الصافات: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الصافات ٧٥)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

الموضع الأول:

اختلاف حكاية الدعوة في كل موضع من المواضع السابقة.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة أو أكثر بمثلها.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

حُكيت دعوة نوح عليه السلام لقومه في المواضع السابقة على اختلافٍ في الطول والقصر والزيادة والنقصان، وسواء تكررت دعوة نوح عليه السلام لربه أم لم تتكرر فإنها كانت بغير اللغة العربية، وكانت أكثر من المذكور في موضع بل وربما كانت

أكثر من الموضوع في كل موضع، فأخذ القرآن في حكاية المعنى في هذه المواضع المختلفة المقامات، مما اقتضى أن تكون في إيرادها على وجوه مختلفة لمناسبات وأسرار، فالوارد في سورة نوح أشدها وأعنفها، وكلها دعاء بالهلاك، وليس فيها ذكر للنجاة، وذلك مناسب لما تقدم في السورة كلها مما لم يُذكر في موضع آخر، كبيان اجتهاد نوحعليه السلام في دعوتهم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً، ثم بيان ما وعدهم به على الإيمان من الثواب العاجل والآجل، وما لوّح لهم به من آيات الله في خلقه، وبيان أنهم مكروا وتواصوا على العكوف على أصنامهم، فلما تقدم ذلك بأوفى بيان ناسب ذكر دعوته عليهم بهذه الصورة وتعليلها بقوله:﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح ٢٧)

أما سورة القمر فقد صرح نوحعليه السلام في الدعوة بأنه مغلوب وصرح بطلب نصرة الله، وذلك مناسب لما سبق التصريح به من أنه ازدجر.

وأما في سورة المؤمنون فلم يصرح بمغلوبيته ولا بطلب الهلاك ولكنه اقتصر على طلب النصرة، وذلك لأنه لم يسبق تصريح بإهانته وإيذائه، وحكاية ردهم عليه لم تُسق بطريقة مجابهته بالشبه وأعلى ما ذكر في وعيدهم له قولهم: ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (المؤمنون ٢٥) ، وهذه قد تكون في الترك والموادعة أكثر منها في التهديد والوعيد، فكل ذلك اقتضى الاقتصار على طلب النصرة من الله.

وسياق القصة في سورة المؤمنون لم يذكر فيها الإطناب في ذكر الهلاك والوبال، بل أبرزت القصة مواضع النعم، وطلب الحمد بعد الاستواء على الفلك والمنزل المبارك عند النزول منها، وأما قوله: ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ فتكذيبهم سبق في قولهم: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لأنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون ٢٤)

وأما سورة الشعراء فاشتكى نوحعليه السلام إلى الله تكذيب قومه، وطلب منه الفتح بينه وبينهم، والنجاة له ولمن معه من المؤمنين، وهذا مناسب لما سبق من تهديدهم له وللمؤمنين في قولهم: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ ، فإنّ كونه من المرجومين مُشعرٌ بأن الرجم سيكون له ولغيره؛ ولأنه سبق أيضاً الجدال

في شأن المؤمنين في قول الكفار: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ ، وقوله لهم: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فكان ذلك كله بياناً متصلاً عن هؤلاء المؤمنين.

وقوله: ﴿ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴾ راجعٌ للسابق من قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ، وهذه الدعوة التي حكيت عن نوح في هذه المواضع هي المشار إليها فـــــي آيـــــة ســـــورة الأنبيـــــاء:﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا ﴾ (الأنبيـــاء ٧٦) وآية سورة الصافات ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الصافات ٧٥)

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٣٠)

قال تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الفرقان ٠٣٧)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

(الشعراء ١٢١)

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

(العنكبوت ٠١٥)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾

(القمر ٠١٥)

قال تعالى: ﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

(الحاقة ٠١٢)

هذه الآيات شملت ما ذكره الله تعالى في أعقاب قصة نوح عليه السلام وهي كلمات إجمالية ترشد إلى العبرة والعظة، وهذه الكلمات جاءت متقاربةً في المعنى مختلفةً في طريق الأداء والحكاية، وما جاء فيها من افتراق فهو عين الوفاق لما جاءت فيه كل عبارة من الموقع والمقام .

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

مجيء لفظ ﴿ ءَايَةً ﴾ تارة مفردا وتارة جمعا، فالإفراد في قوله:﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ ﴾(الفرقان ٣٧)، وقوله:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ ﴾(الشعراء ١٢١)، وقوله:﴿ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾(العنكبوت ١٥)، وقوله:﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً ﴾(القمر ١٥)، وقوله: ﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾(الحاقة ١٢)، والجمع في قوله:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ﴾(المؤمنون ٣٠)

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الواقع في سورة الشعراء في هذه القصة هو الواقع في السورة نفسها في جميع القصص، وفيما قبل وبعد القصص وفي أول السورة، قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾(الشعراء ٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾(الشعراء ٨)، وعقب كل قصة من قصص موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام يذكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ ﴾، وفي نهاية السورة: ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾(الشعراء ١٩٧)

والواقع في سورة القمر كذلك من إفراد الآية مناسبٌ للمذكور في صدر السورة عن كفار مكة من قوله تعالى فيهم: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ ﴾(القمر ٢)

أما الواقع في سورتي العنكبوت والفرقان من إفراد لفظ الآية فلمناسبته مقتضى الإيجاز في كل من المذكور فيهما من القصة.

وكذلك في سورة الحاقة كانت مفردةً لمقام الإيجاز، وبلفظ التذكرة لمناسبتها للمذكور بعد في السورة نفسها من قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾(الحاقة ٤٨)، مع قرب الآية والتذكرة في المعنى.

أما الواقع في سورة المؤمنون من جمع الآيات فهو مناسب للموضع الذي هو فيه من حيث كونه أبسط من كل المذكور، وأكثر إطناباً، ومن حيث ما سبق القصة في السورة نفسها من العبر والآيات التي عطفت القصة عليها من قوله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾(المؤمنون ١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ ﴾(المؤمنون ١٧)، وفيها أيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(المؤمنون ٢١)، فلما فاض هذا الموضع بهذه الآيات ناسب فيه إبراز اللفظ مجموعاً، ولا يخفى بعد ذلك ما في كل آية، وما ختمت به من رعاية الفاصلة والجرس الصوتي في كل سورة.

سورة الفرقان

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية، وقد استثنى ابن عباس رضي الله عنهما منها فيما روي عنه ثلاث آيات قال أنها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الفرقان ٦٨-٧٠) فإنها مدنية فيما روي عن ابن عباس وقتادة.

والصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى له أنها مكية كما في صحيح البخاري في تفسير سورة الفرقان "عن القاسم بن أبي بزة[1] -رحمه الله- أنه سأل سعيد بن جبير رضي الله عنه [2]: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾. فقال سعيد: قرأتُها على ابن عباس كما قرأتَها عليّ، فقال: هذه مكية نسختْها آية مدنية التي في سورة النساء."[3] يريد قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء ٩٣).[4]

---

[1] هو: القاسم بن أبي بزة واسمه نافع، ويقال يسار ويقال نافع بن يسار المكي أبو عبد الله، ويقال أبو عاصم القاري المخزومي مولاهم، قيل أن أصله من همدان، توفي سنة ١٢٤هـ بمكة، وكان ثقة، قليل الحديث، وذكره بن حبان في الثقات. (ينظر التهذيب ٢٧٨/٨)

[2] هو: سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ (ينظر التقريب ٢٣٤/١)

[3] ينظر صحيح البخاري١٧٨٤/٤، باب قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الفرقان٦٨)، حديث رقم ٤٤٨٤

[4] ينظر التحرير والتنوير ٣١٣/١٨، وينظر الناسخ والمنسوخ للكرمي١٥٩/١

قال النحاس–رحمه الله– في كتابه:"حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وسورة الفرقان نزلت بمكة فهي مكية"[1]

موضوعات السورة:

جاء في هذه السورة بيان توحيد الربوبية، وما يلزم له من توحيد الألوهية، وموقف الكافرين منه، ثم جاء فيها بيان أن القرآن منزّلٌ من عند الله، وبيّنت ما فيه من الهدى، وامتنّت على الناس بما فيه من إرشاد، ثم جاء إثبات دعوة النبيﷺ وأن رسالته عامة لجميع الناس، ثم ذكر فيها جملة من المخلوقات كمد الظل، والليل والنوم، والنهار والرياح، والماء والأنعام والأناسي، ومرج البحرين، والإنسان والنسب والصهر، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام، والاستواء على العرش، وبروج السماء، والسراج والقمر، وغير ذلك من مخلوقات الله في هذا الكون.

ثم جاءت الإشارة إلى القرون المكذبة وكيفية إهلاكهم، وقد جاء تفصيل ذلك في سورة الشعراء وهي السورة التي تليها. ثم ختمت ببيان صفات عباد الرحمن وما أكرمهم الله به من الأخلاق الحميدة التي استحقوا بها الأجر العظيم في جنات النعيم.

سبب تسميتها بسورة الفرقان:

وقد سميت هذه السورة بسورة الفرقان في عهد النبيﷺ وعلى مسمع منه، ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:" سمعت هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنه [2] يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله فكدت أساوره في الصلاة فتصبّرت حتى سلم فلبّبته بردائه فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها..."الحديث.[3]

---

[1] الناسخ والمنسوخ ٦٠٣/١

[2] هو: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي صحابي بن صحابي، مات قبل أبيه، ووهم من زعم أنه استشهد بأجنادين. (ينظر التقريب ٥٧٢/١)

[3] ينظر صحيح البخاري ٨٥١/٢ باب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا، رقم (٤٧٥٤)

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا، أما وجه تسميتها سورة الفرقان فلوقوع لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات في أولها ووسطها وآخرها، ولأن الله ذكر فيها الكتاب الذي أنزله على نبيه وكان النعمة العظمى للناس كافة، فرّق الله به بين الحق والباطل ولهذا كانت جديرة بهذه التسمية.[١]

وفي هذه السورة موضع واحد تمت مشابهته مع ما سبق، وهو:

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الفرقان ٠٣٧)

وقد تشابهت هذه الآية في مواضع سورة الأعراف مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٧)، وآية سورة الشعراء (١٠٥)، وآية سورة القمر(٩).[٢]

وكذلك تشابهت في مواضع سورة المؤمنون مع آية سورة المؤمنون(٣٠)، وآية سورة الشعراء(١٢١) وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة القمر(١٥)، وآية سورة الحاقة(١٢).[٣]

---

[١] ينظر صفوة التفاسير ٣٥٤/٢

[٢] ينظر ص١٢٩

[٣] ينظر ص ١٩٤

أما ما تشابه منها مع ما بعدها فهو كما يلي:

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الفرقان ٠٣٧)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

(الشعراء ١٠٥)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾

(ص ٠١٢)

قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

(القمر ٠٠٩)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

قوله: ﴿ كَذَّبُوا ﴾ بالتذكير في سورة الفرقان، و﴿ كَذَّبَت ﴾ بالتأنيث في سور الشعراء وص والقمر.

نوعه: تشابه بالتذكير والتأنيث.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الجمع يذكّر ويؤنث إذا أردت الجماعة أو الأمة أو القبيلة فتقول:﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ إنما تريد كذّبت جماعة قوم نوح[1]. وكذلك كل اسم جمعٍ لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر لذا يصغّر على قُويمة.[2]

---

[1] الأصول في النحو ٤١٢/٢

[2] ينظر المصباح ٥٢٠/٢

وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين منهم الزمخشـري [١]، والشـوكاني [٢] ، والرازي [٣]، والبيضاوي [٤] ، وأبي السعود [٥]، والقرطبي [٦]، وغيرهم. [٧]

وعلى هذا فإن كلاً من التذكير والتأنيث للجمع جائز، إلا أن وجود أي منهما في موضع هو أنسب بذلك الموضع، ففي سورة الفرقان جاء الجمع بالتذكير.

أما إثبات التاء في سورة القمر اختيارا للتأنيث وإن كان تذكير القوم أشـهر فللتنبيه على أن فعلهم أخسّ الأفعال، أو إلى أنهم مع عتوّهم وكثرتهم كانوا أهـون شيء عليه سبحانه وأضعفهم بحيث جعلهم هباءً منثوراً وكذا من بعدهم. [٨]

كما أنّ التأنيث في سورتي الشعراء والقمر مناسبٌ لتأنيث الفعل **(كذّب)** في قصص هود وصالح ولوط عليهم السلام في كلتا السورتين، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٣)، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الشعراء ١٤١)، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (الشعراء ١٦٠)، وقال تعالى في سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾ (القمر ١٨)، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القمر ٢٣)، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القمر ٣٣)، إضافة إلى أن قوله: ﴿ كَذَّبَت ﴾ في سورة الشعراء مناسب لما سبقته من آيات تبيّن تكذيب قريش في قوله:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الشعراء ٤-٥)، وقوله: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء ٣) . [٩]

---

[١] ينظر الكشاف ٣٢٨/٣

[٢] ينظر فتح القدير ١٠٨/٤

[٣] ينظر التفسير الكبير ١٣٢/٢٤

[٤] ينظر تفسير البيضاوي ٢٤٦/٤

[٥] ينظر تفسير أبي السعود ٢٥٤/٦

[٦] ينظر تفسير القرطبي ١١٨/١٣

[٧] ينظر تفسير النسفي ١٩١/٣

[٨] نظم الدرر ٦١/١٤

[٩] ينظر نظم الدرر ٢٦٥/٩

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ ﴾

(الفرقان ٠٣٧)

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

(العنكبوت ٠١٥)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ ﴾

(القمر ٠١٥)

قال تعالى: ﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ ﴾

(الحاقة ٠١٢)

موضع التشابه:

مجيء الجعْل في سورة الفرقان في قوله:﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗ ﴾، وكذلك في سورة العنكبوت في قوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾، وفي سورة الحاقّة في قوله تعالى: ﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ ﴾، بينما جيء بالترك في سورة القمر في قوله: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال فعل بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الفخر الرازي–رحمه الله– في تفسيره الكبير في توجيه هذا الموضع : " هما وإن كانا في المعنى واحد (أي الجعل والترك)[١]، لكن لفظ الترْك يدل على الجعل والفراغ بالأيام فكأنها مذكورة بالتفصيل حيث بيّن الأمطار من السماء، وتفجير الأرض، وذكر السفينة بقوله: ﴿ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾، وذكر جريها فقال: ﴿

---

[١] ينظر لسان العرب ٤٠٦/١٠

﴿ تَرَكۡنَـٰهَآ ﴾ إشارة إلى تمام الفعل المقدور، وقال هناك: ﴿ وَجَعَلۡنَـٰهَآ ﴾ إشارة إلى بعض ذلك "[1]

هذا ولا يخفى أن الترك أمْعن من الجعل في إفادة الفعل وتمامه وبقاء أثره، وذلك أنسب بمقام سورة القمر التي بُني الأمر فيها على كثرة التذكير بقوله: ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.[2]

---

[1] التفسير الكبير ٣٧/٢٩

[2] ينظر لسان العرب ٤٠٥/١٠، ١١٠/١١

سورة الشعراء

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية إلا أربع آيات نزلت بالمدينة في حسان بن ثابت[١]، وكعب بن مالك[٢]، وعبد الله بن رواحة[٣]، شعراء رسول اللهﷺ -رضي الله عنهم- وهي قوله تعالى:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾إلى آخر السورة، وهذا قول ابن عباس- رضي الله عنه-[٤]، وهذا الاستثناء على فرض صحته وصوابه لا ينافي مكية السورة.

قال النحاس-رحمه الله- في كتابه:"حدّثنا أبو جعفر، حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس-رضي الله عنه- قال: وسورة الشعراء نزلت بمكة فهي مكية سوى خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة في ثلاثة نفر من الأنصار، وهم شعراء رسول اللهﷺ: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وهو قوله عز وجل: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (الشعراء ٢٢٤-٢٢٧) استثنى هؤلاء الثلاثة من جملة الشعراء."[٥]

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: "جميع آل حم مكيات، وكذلك آل طس".[٦]

---

[١] هو:حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد، شاعر رسول الله، مشهور، مات سنة ٥٤هـ، وله مائة وعشرون سنة. (ينظر تقريب التهذيب ١٥٧/١)

[٢] هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي المدني، صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خلّفوا، مات سنة ٥٠هـ (ينظر تقريب التهذيب ٤٦١/١)

[٣] هو:عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري، الشاعر، أحد السابقين، شهد بدر، واستشهد بمؤتة، وكان ثالث الأمراء بها. (ينظر تقريب التهذيب ٣٠٣/١)

[٤] ينظر البيان في عد آي القران ١٩٦/١،وينظر الناسخ والمنسوخ للمقري١٣٨/١

[٥] الناسخ والمنسوخ ٦٠٧/١

[٦] منهاج السنة النبوية ٩٩/٧، وينظر تفسير القرطبي٨٧/١٣

موضوعات السورة:

نزلت هذه السورة بعد سورة الواقعة في الوقت الذي كان فيه الرسولﷺ شديد الحرص على هداية قومه، يبذل كل ما يستطيع ويتخذ كل الوسائل لهدايتهم وضمّهم تحت لواء الدين، فنزلت هذه السورة لتسلية النبيﷺ وتهوين الأمر عليه، وقد عالجت السورة أصول الدين والتوحيد، فبدأت بموضوع القرآن الذي أنزله الله هداية للعالمين، وبيّنت موقف المشركين المعاندين، ثم فصّلت بعض قصص الأنبياء وهم الذين وردت أسماؤهم في السورة التي سبقتها سورة الفرقان، وبيّنت ما كان بينهم وبين أقوامهم من خصومة، وأسهبت في عرض ذلك ممّا يجعل هدف القصص في هذه السورة هو تصوير خصومة القوم لأنبيائهم للتخفيف عن النبيﷺ، لذلك كان مطلع كل سورة متناسب مع مطلع أختها، وختامها متناسب في الكل كذلك، وأسلوب العرض والتذكير واحد، كما رُتبت فيها قصصهم على حسب ترتيب ورودهم في سورة الفرقان فبدأت بقصة موسى‍عليه السلام، ولو كانت مرتبة على الواقع لتأخرت قصة موسى‍عليه السلام كما في سورة الأعراف[١]، ثم تناولت قصة الخليل وموقفه من قومه وأبيه في عبادتهم للأوثان، ثم بيّنت حال السعداء والأشقياء ومصير كل منهما يوم القيامة، وختمت السورة بالرد على افتراء المشركين في زعمهم أن القرآن من تنزيل الشياطين، وأيضاً جمعت أعظم ما للشعر من خصائص تهيج المشاعر مع سموّها وعلوّ شأنها على الشعر –ولله المثل الأعلى– وقد جاءت قصة نوح‍عليه السلام متناسبةً مع موضوع السورة فعُرضت بأسلوب أخّاذ، ثم ذكرت الآيات الشعراء الذين يَلغون واستثنت منهم من سلك سبيل المؤمنين، ليتناسق البدء مع الختام.

---

[١] ينظر أسرار ترتيب القرآن ١/١٢٠

سبب تسميتها بسورة الشعراء:

لتفرّدها بذكر أخبار الشعراء فيها سميت سورة الشعراء رداً على الزاعمين بأن محمداً كان شاعراً وأن ما جاء به من قبيل الشعر والهوى[١]، وتسمى بسورة الجامعة كما ذكره الإمام مالك.[٢]

وقد تشابهت مع ما سبقها في سبعة مواضع وهي بحسب ترتيبها كالتالي:

الأول: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف (٥٩)، وآية سورة هـود (٢٥)، وآية سورة المؤمنون (٢٣)، وآية سورة نوح (٢،٣).[٣]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

تشابهت هذه الآية مع آية سورة يونس (٧٢)، وآية سورة هود (٢٩).[٤]

الثالث: قال تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٠)، وآية سـورة هـود (٢٧)، وآية سورة المؤمنون (٢٤)، وآية سورة القمر (٩).[٥]

---

[١] ينظر الإعجاز البلاغي في القرآن لمحمد حسين سلامة ص٢١١

[٢] ينظر تفسير ابن كثير ٣٣٢/٣، وروح المعاني ٥٨/١٩، والإتقان ١٥٣/١

[٣] ينظر ص٩٣

[٤] ينظر ص١٦١

[٥] ينظر ص١١٦

الرابع: قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة الأعراف (٦١—٦٣)، وآيات سورة هود (٢٨—٣٤)[١]

الخامس: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

تشابهت مع آية سورة المؤمنون (٢٦)، وآية سورة القمر (١٠)، وآيتي سورة نوح (٢٦-٢٧).[٢]

السادس: قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآية سورة يونس (٧٣)، وآية سورة الأنبياء (٧٦-٧٧)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة العنكبوت (١٥)، وآية سورة الصافات (٧٦—٨٢) ، وآيات سورة القمر (٩—١٤)، وآية سورة الحاقة (١٢).[٣]

السابع: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾

تشابهت هذه الآية مع آية سورة المؤمنون (٣٠)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة العنكبوت (١٥)، وآية سورة القمر (١٥)، وآية سورة الحاقة (١٢).[٤]

---

[١] ينظر ص١٢٤

[٢] ينظر ص١٩١

[٣] ينظر ص١٢٩

[٤] ينظر ص١٩٤

سورة العنكبوت

مكيتها ومدنيتها:

أُنزل أولها بمكة وأنزل آخرها بالمدينة[١]، قال النحاس في كتابه: " حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنهن نزلن بمكة"[٢]

وعلى القول الثاني لابن عباس رضي الله عنه أنها سورة مدنية.

موضوعات السورة:

نزلت بعد سورة الروم، وموضوعها كباقي السور المكية: الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، ومحورها يدور حول الإيمان وشدة الابتلاء في هذه الحياة؛ لأن المسلمين في مكة كانوا في أقسى أنواع المحنة والابتلاء، لذلك فهي تعد سورة الدعاة لأنها جاءت تبين ركائز الدعوة ومعوّقاتها.

وبيّنت السورة أن الإيمان ليس كلمة تُقال باللسان، وإنما إيمان ثابتٌ بالقلب وصبر عند الشدائد: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (العنكبوت ١٠)

وتناولت السورة محنة الأنبياء، وما لاقوه من شدائد وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله، كما تناولت ذِكْر بعض الأمم من الطغاة والجبارين كعاد وثمود وقارون وهامان وغيرهم وتذكر ما حلّ بهم من الهلاك والدمار.

وفي قصص الأنبياء دروس من المحن والابتلاء تتمثل في ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم وضآلة الحصيلة، على سبيل المثال نوح عليه السلام حيث مكث في قومه ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله فلم يؤمن معه إلا قليل.

ثم بيّنت السورة صدق الرسول الكريم فهو رجلٌ أمّي لم يقرأ ولم يكتب ثم جاءهم بهذا الكتاب المعجز وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على أنه كلام رب

---

[١] الناسخ والمنسوخ للمقري ١٤١/١

[٢] ينظر الناسخ والمنسوخ ٦١١/١

العالمين: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

ثم خُتمت السورة ببيان جزاء الذين صبروا أمام المحن والشدائد، وجاهدوا بأنواع الجهاد النفسي والمالي، ووقفوا في وجه المحن والابتلاء.

سبب تسميتها بسورة العنكبوت:

سميت السورة بالعنكبوت لأن الله ضرب العنكبوت فيها مثلاً للأصنام المنحوتة والآلهة المزعومة[1]: قال تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (العنكبوت ٤١)

وقد تشابهت في موضعين مع ما تقدم وهي بحسب ترتيبها في المصحف كالتالي:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(العنكبوت ٠١٤)

تشابهت هذه الآية في مواضع سورة الأعراف مع آية سورة الأعراف (٥٩)، وآية سورة يونس (٧١)، وآية سورة هود (٢٥)، وآية سورة المؤمنون (٢٣)، وآيات سورة الشعراء(١٠٥—١٠٨)، وآيات سورة نوح (١—٣).[2]

وتشابهت مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآية سورة يونس (٧٣)، وآية سورة الأنبياء (٧٦)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة الشعراء (١١٩)، وآية سورة الصافات (٧٦)، وآية سورة القمر (١١)، وآية سورة الحاقة (١١).[3]

---

[1] ينظر صفوة التفاسير ٤٥٠/٢

[2] ينظر ص٩٣

[3] ينظر ص١٢٩

وتشابهت في مواضع سورة المؤمنون مع آية سورة المؤمنون (٣٠)، وآيــة سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة الشعراء (١٢١)، وآية سورة القمر (١٥)، وآيــة سورة الحاقة (١٢).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (العنكبوت ٠١٥)

تشابهت هذه الآية في مواضع سورة الأعراف مع آيــة ســورة الأعــراف (٦٤)،وآية سورة يونس (٧٣)، وآيتي سورة الأنبيــاء (٧٦-٧٧)، وآيــة ســورة الفرقان (٣٧)، وآيات سورة الشعراء (١٠٥-١٢٠)، وآيات سورة الصافات (٧٦-٨٢)، وآية سورة ص (١٢)، وآية سورة الذاريات (٤٦)، وآية سورة النجم (٥٢)، وآيات سورة القمر (٩-١٤)، وآية سورة الحاقة (١١).[٢]

وتشابهت في مواضع سورة المؤمنون مع آية سورة المؤمنون (٣٠)، وآيــة سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة الشعراء (١٢١)، وآية سورة القمر (١٥)، وآيــة سورة الحاقة (١٢).[٣]

وتشابهت في مواضع سورة الفرقان مع آية ســورة الفرقــان (٣٧)، وآيــة سورة القمر (١٥)، وآية سورة الحاقة (١٢).[٤]

---

[١] ينظر ص١٩٤

[٢] ينظر ص١٢٩

[٣] ينظر ص١٩٤

[٤] ينظر ص٢٠٢

سورة الصافات

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية نزلت بعد سورة الأنعام ، قال النحاس–رحمه الله– في كتابه الناسخ والمنسوخ: "حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة"[١]

موضوعات السورة:

عنيت السورة بأحوال العقيدة كباقي السور المكية، وبدأت بالحديث عن الملائكة الأبرار الصافّات قوائمها في الصّلاة أو أجنحتها في ارتقاب أوامر الله، ثم تحدثت عن الجنّ ورجْمهم بالشهب الثاقبة رداً على أساطير الجاهلين في ادعائهم بأن هناك قرابة بين الله سبحانه وتعالى وبين الجنّ، وتحدثت عن البعث والجزاء وإنكار المشركين له، واستبعادهم للحياة مرة ثانية بعد أن يصيروا عظاماً ورُفاتاً.

ثم ذكرت السورة قصة المؤمن والكافر، والحوار الذي دار بينهما في الدنيا، ثم ما آل إليه أمر كل منهما بخلود المؤمن في الجنة وخلود الكافر في النار.

ثم انتقلت السورة إلى قصص الأنبياء بدءاً بنوحٍ﵇ ، وعرضت قصته من جانب آخر فلم تحدثنا عن إرسال نوح﵇ لقومه وما قاله لهم وما قالوه له كما في سورة هود، وإنما كان الحديث يقتصر على إكرام الله لنوح﵇ ، وما منّ به عليه من نعم كثيرة، ثم عرضت قصة إبراهيم ثم إسماعيل ثم موسى وهارون ثم إلياس ولوط عليهم السلام، وذكرت بالتفصيل قصة الإيمان والابتلاء في حادثة الذبيح إسماعيل﵇، وما جرى من أمر الرؤيا للخليل إبراهيم﵇ حين أمر بذبح ولده، ثم جاء النداء تعليماً للمؤمنين كيف يكون أمر الانقياد والاستسلام لأمر أحكم الحاكمين.

وخُتمت السورة ببيان نصرة الله وأولياءه في الدنيا والآخرة وأن العاقبة للمتقين.

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ٦٣٧/١

سبب تسميتها بسورة الصّافات:

سمّيت السورة بالصّافّات لوقوع هذا اللفظ فيها والــذي يُــراد بــه وصــف الملائكة، وإن كان قد وقع في سورة الملك لكنه كان وصفاً للطير هناك[١]، وذلــك تذكيراً للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار الذين يسبّحون ربهم ليلاً ونهــاراً لا يفترون.

وقد تشابهت مع ما قبلها في موضعين في سورة الأعراف وهما:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾

(الصافات ٠٧٦)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية ســورة يــونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٦)، وآية سورة الشعراء(١١٩)، وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة القمر(١٣).[٢]

الثاني: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الصافات ٠٨٢)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٤٦)، وآية ســورة يــونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٧)، وآية سورة الفرقان(٣٧)، وآية سورة الشعراء(١٢٠).[٣]

وقد تم توجيههما في مواضعهما.

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ٥/٢٣ (الطبعة الجديدة)،وصفوة التفاسير ٢٧/٣،والإعجاز البلاغــي فــي القــرآن ص٢٦٨

[٢] ينظر ص١٢٩

[٣] ينظر ص١٢٩

سورة ص

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية وقيل مدنية وليس بصحيح لأن فيها ذكر للآلهة، نزلت بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف، وعدد آياتها خمس وثمانون آية[١].

موضوعات السورة:

وتسمى سورة (صاد) كما ينطق باسم حرف الصاد شأنها شأن باقي حروف التهجي، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية، يدور محورها حول تسلية النبيﷺ عن تكذيب قومه له فابتدأت بالقسم بالقرآن المعجَز المنزّل على النبي الأمي، المشتمل على المواعظ البليغة على أن القرآن حق وأن محمداًﷺ نبي مرسل، ثم تحدثت عن الوحدانية وإنكار المشركين لها ومبالغتهم في العجب من دعوة النبي لهم إلى توحيد الله، وانتقلت السورة إلى ضرب الأمثال لكفار مكة بمن سبقهم من الطغاة المتجبرين الذين أسرفوا بالتكذيب والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال بسبب إفسادهم وإجرامهم[٢]، وذلك لأنه إبّان نزول هذه السورة أبرز المشركون القوى المادية الغالبة، وأظهروا العداوة للرسول ودعوته والذين آمنوا به واتبعوه، وقد دل على ذلك قوله تعالى في صدر السورة: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ ﴾ (ص٢) مما اقتضى إنزال هذه السورة لبيان موقف المشركين وبيان مقالاتهم وإنذارهم بعذاب الله، ثم ذكرت أمر الله لنبيهﷺ بالصبر على أقوالهم وتثبيت فؤادهﷺ بذكر نماذج من قصص الأنبياء السابقين فأشارت السورة أولاً وألمحت إلى قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام مع أقوامهم، ثم ذكرت قصص داود وسليمان وأيوب عليهم السلام مع أقوامهم ، وقصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام مع الثناء عليهم أعظم الثناء ، وقصص إسماعيل واليسع وذا الكفل عليهم السلام في عرضٍ سريع، ثم بيّنت السورة لقطات من الثواب والعقاب الأخرويين، ثم بيّنت الغاية من خلْق الخَلق وهو ابتلاؤهم بالإيمان،

---

[١] البيان في عد آي القرآن ص٢١٤

[٢] ينظر صفوة التفاسير ٤٩/٣

ثم ذكرت قصة خلق آدمعليه السلام والأمر بالسجود له واستكبار إبليس عن الطاعة لأمر الله وطرده وجعله وأتباعه من أهل النار، ثم ختمت السورة بتعليم الله لرسوله ما يقوله لقومه لدفع اتهامهم له بأنه ذو غرض دنيوي يسعى إليه في قومه، وبيان أن ما جاء ليس ذكراً لهم وحدهم بل هو ذكر للعالمين.

وقد تقدم من متشابهها موضع واحد في سورة الأعراف وهو:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ (ص ١٢٠)

وقد تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٤)، وآية سورة يونس (٧٣)، وآية سورة الأنبياء (٧٧)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة الشعراء (١٠٥)، وآية سورة الذاريات (٤٦)، وآية سورة النجم (٥٢)، وآية سورة القمر (٩).[1]

[1] ينظر ص١٢٩

سورة ق

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة الباسقات [١]، وهي مكية إلا آية مدنية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾(ق ٣٨) [٢]

قال النحاس–رحمه الله– في كتابه:"حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة"[٣]، وعدد آياتها خمس وأربعون آية. وتسمى سورة (قاف).

موضوعات السورة:

هي كغيرها من السور المكية عالجت أصول العقيدة الإسلامية: التوحيد والرسالة والبعث، لكن محورها الذي تدور عليه هو البعث والنشور، فابتدأت بقضية الحياة بعد الموت وهو الأمر الذي أنكره كفار قريش وتعجبوا منه غاية العجب، فلفتت أنظارهم إلى قدرة الله العظيمة المتجلية في الكون، ثم تحدثت عن المكذبين من الأمم السالفة فوجهت الأنظار إلى إهلاك قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام بُغية الاعتبار بهم في معرِض تكذيب كفار مكة بالبعث ليوم الدين يوم الحساب وفصل القضاء وتنفيذ الجزاء؛ لأنه إبّان نزول هذه السورة انطلقت عبارات التكذيب الصريح العلني الجازم، والاتهام العلني للرسول بالافتراء على الله، إذ جاء في صدرها قول الله عز وجل: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾(ق ٥) ، وجاء في أواخرها قوله تعالى لرسوله : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾(ق ٣٩)

ثم انتقلت السورة إلى الحديث عن سكرات الموت وأهوال الحشر والحساب، وختمت بالحديث عن الصيحة التي يخرج الناس بها من القبور يساقون للحساب لا

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ للمقري ١٦٧/١

[٢] ينظر الناسخ والمنسوخ للكرمي ١٩٤/١

[٣] ينظر الناسخ والمنسوخ١/٦٨٠

يخفى على الله منهم أحد، كما ختمت بالحديث عن إحاطـــة الله بخفيـــات الأشـــياء وخواطر الأمور.

سبب تسميتها بسورة ق:

هذه السورة من السور التي سمّيت بأسماء الحروف الواقعة في ابتدائها؛ مثل سور طه، وص، وق، ويس، وكل ذلك بياناً لإعجاز القرآن الكريم وتحدّي العرب بهم فهو من جنس حروف لغتهم التي برعوا فيها ومع ذلك فهم عاجزون عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وقد تشابهت هذه السورة مع ما سبقها في سورة الأعراف في موضع واحد:

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ ﴾

(ق ١٢٠)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء (٧٧)، وآية سورة الفرقان (٣٧)، وآية سورة الشعراء (١٠٥)، وآية سورة الذاريات (٤٦)، وآية سورة النجم (٥٢)، وآية سورة القمر (٩).[١]

---

[١] ينظر ص١٢٩

سورة الذاريات

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية، نزلت بعد سورة الأحقاف، قال النحاس-رحمه الله- في كتابه:"حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة "[١] ، ، وعدد آياتها ستون آية.

موضوعات السورة:

تقوم هذه السورة على توجيه البصر إلى الله عز وجل وتوحيده، وبناء العقيدة الراسخة على أسس من التقوى والإيمان.

وقد ابتدأت السورة بالحديث عن الرياح التي تذروا الغبار، وتسيّر المراكب في البحار، وعن السحب التي تحمل مياه الأمطار، وعن السفن الجارية على سطح الماء بقدرة الواحد الأحد وعن الملائكة الأطهار، وبينت السورة أن الحشر كائن لا محالة.

ثم انتقلت إلى الحديث عن الكفار والمكذبين بالقرآن ويوم القيامة، فبيّنت حالهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة، ثم تحدثت عن المؤمنين الصالحين وما أعدّ الله لهم من النّعيم والكرامة في الآخرة ؛ لأنهم كانوا في الدنيا محسنين على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب والإعذار والإنذار.

ثم تحدثت عن دلائل قدرة الله عز وجل في هذا الكون العظيم في السماء والأرض والجبال وكلها دلائل عظيمة على قدرته سبحانه.

وتناولت كذلك قصص الأنبياء وموقف الأمم الطاغية المكذبة للرسل وما حلّ بهم من العذاب.

وخُتمت السورة ببيان الغاية من خلق الإنسان والجن وهي معرفة الله وعبادته وتوحيده سبحانه وإفراده بالإخلاص.

سبب تسميتها بسورة الذاريات:

وسميت السورة بالذاريات لأن الله أقسم فيها بالذاريات.

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ١/٦٨٠

وقد تشابهت في موضع واحد مع سورة الأعراف وهو:

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(الذاريات ٠٤٦)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٧)، وآية سورة النجم(٥٢).[1]

---

[1] ينظر ص١٢٩

سورة النجم

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية، نزلت بعد سورة الإخلاص، قال النحاس-رحمه الله- في كتابه:" حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة"[١].

سبب نزولها:

سبب نزولها هو أن المشركين قالوا: إن محمداً يتقوّل القرآن ويختلق أقواله فنزلت السورة في ذلك.

موضوعات السورة:

وقد تناولت السورة موضوعات البعث والنشور والإيمان والتوحيد، وابتدأت السورة بالحديث عن موضوع المعراج الذي كان إحدى معجزات الرسول حيث رأى من آيات ربه الكبرى، ثم تلاها الحديث عن الأوثان والأصنام التي عبدها المشركون من دون الله، وبيّنت بطلان عبادة غير الله سواء في ذلك عبادة الأصنام أو عبادة الملائكة.

ثم تحدثت السورة عن الجزاء العادل يوم الدين حيث ينال كل إنسان جزاءه ويتفرق الناس إلى فريقين فريق الأبرار وفريق الفجار، وقد ذكرت برهاناً على الجزاء العادل بأن كل إنسان ليس له إلا عمله الصالح وسعيه، ولا تحمل نفس وزر أخرى؛ لأن العقوبة لا تتعدى غير المجرم وهو شرع الله المستقيم.

ثم ذكرت آثار قدرة الله في الإحياء والإماتة والبعث بعد الفناء وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفةٍ إذا تمنى.

وختمت السورة بما حل بالأمم الطاغية كقوم عاد وثمود وقوم نوح عليه السلام ولوط عليه السلام من أنواع العذاب والدمار تذكيراً لكفار مكة بالعذاب الذي ينتظرهم بتكذيبهم لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ٦٨٠/١

سبب تسميتها بسورة النجم:

سميت السورة بالنجم لأن الله أقسم فيها بالنجم وقت سقوطه من علٍ في إثـــر الشياطين حين استراقها السمع.

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضع واحد في سورة الأعراف:

قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾

(النجم ٥٢)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية ســـورة يـــونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٧)، وآية سورة الذاريات(٤٦).[١]

---

[١] ينظر ص ١٢٩

سورة القمر

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية نزلت بعد سورة الطارق، قال النحـــاس–رحمـــه الله– فـــي كتابه:" حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة"[١].

موضوعات السورة:

وهي كباقي السور المكية تناولت أصول العقيدة الإسلامية وتحمـــل طـــابع التهديد والوعيد لكفار قريش المكذبين لرسالة محمدﷺ في فقرات قصيرة فاصـــلتها ذات رنين قوي يؤثر على الحس ويحرك الوجدان، فقد ابتـــدأت بـــذكر المعجـــزة العظيمة وهي معجزة انشقاق القمر التي هي إحدى معجزات الرسولﷺ حيث طلب المشركون آية جلية تدل على صدقه وطلبوا منه انشقاق القمر ليؤمنوا به فكانـــت المعجزة تأييداً لرسول اللهﷺ ومع ذلك لم يؤمنوا وعاندوا وكابروا وقالوا ساحر.

ثم تناولت السورة أهوال يوم القيامة تهديداً ووعيداً لهم، ثـــم تحـــدثت عـــن مصارع المكذبين وما نالهم في الدنيا من ألوان العذاب والدمار بدءاً بقوم نوحu.

ثم تحدثت عن الطغاة الجبارين من الأمم السابقة الذين كذبوا الرسل فأهلكهم الله ودمّرهم عن بكرة أبيهم، فتحدثت عن قوم عاد ونكبتهم، وقوم ثمود، وقوم نوح u والتي لم يذكر من قصتهم سوى دعوتهu بالانتقام منهم، واستجابة الله لـــه ونجاة نوحu ومن تبعه، وذلك لمناسبة ما ورد من هذه القصة لمقصود السورة، وقد جاءت السورة بشيء جديد عند عرضها لقصة نوحu لم يذكر في السورتين المتقدمتين النجم وص وهو أن قوم نوحu حينما كذبوا نبيّهم فكأنما كذبوا الرسل جميعا وتلك إشارة إلى أن الرسل أمة واحدة ، وتحدثت كذلك عن قـــوم لـــوطu وتماديهم في المعصية، وتحدثت عن فرعون وتعدّيه في الجهالة.

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ٦٨٠/١

ثم توجهت السورة لمخاطبة قريش وحذّرتهم مصرعاً كهذه المصارع أو أشد منها، قال تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ (القمر ٤٥-٤٦)

وختمت السورة ببيان حال السعداء المتقين وحال الأشقياء المجرمين على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب الترهيب.

سبب تسميتها بسورة القمر:

سميت السورة بالقمر لأن الله ذكر فيها المعجزة العظيمة التي أيد الله بها نبيه محمدﷺ في دعوته.

وقد تشابهت مع ما قبلها في أربعة مواضع وهي مرتبة حسب ترتيبها في المصحف:

الأول: قال تعالى: ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴾

(القمر ٠٠٩)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٦)، وآية سورة الفرقان(٣٧)، وآية سورة الشعراء(١٠٥).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴾

(القمر ٠١٠)

تشابهت مع آية سورة المؤمنون(٢٦)، وآية سورة الشعراء(١١٧)، وآية سورة نوح(٢٦).[٢]

---

[١] ينظر ص١٢٩

[٢] ينظر ص١٩١

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ ﴾
(القمر ٠١٣)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الأنبياء(٧٦)، وآية سورة الشعراء(١١٩)، وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة الصافات(٧٦)، وآية سورة الحاقة(١١).[١]

الرابع: قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾
(القمر ٠١٥)

تشابهت مع آية سورة المؤمنون(٣٠)، وآية سورة الفرقان(٣٧)، وآية سورة الشعراء(١٢١)، وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة الحاقة(١٢).[٢]

---

[١] ينظر ص١٢٩

[٢] ينظر ص١٩٤

سورة الحاقة

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية بالاتفاق نزلت بعد سورة تبارك وقبل سورة المعارج، قال النحاس–رحمه الله– في كتابه:"حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة فهي مكية"[١]، وعدد آياتها واحد وخمسون آية.

موضوعات السورة:

عمدت هذه السورة إلى تثبيت العقيدة والإيمان، واشتملت آياتها على تهويل يوم القيامة وتهديد المكذبين بوقوعه، وتذكيرهم بما حلّ بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة مثل قوم عاد وثمود وقوم لوطﷺ وفرعون وقوم نوحﷺ ، وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت.

ثم ذكّرت الآيات بنعم الله على المؤمنين حيث نجاهم من العذاب، ثم وصفت بعض أهوال الجزاء وتفاوت الناس فيه، ثم ذكرت البرهان على صدق القرآن وكان هذا هو محورها الذي تدور عليه وبيّنت أمانة النبي في تبليغ الوحي وبراءته مما اتهمه به أهل الضلال، ثم أنذرت المشركين بتحقيق الوعيد المذكور في القرآن.

سبب تسميتها بسورة الحاقة:

سميت السورة بالحاقة لوقوع هذه الكلمة في أوّلها ولم تقع في غيرها من سور القرآن، وهو اسم من أسماء يوم القيامة الذي سمّي بذلك لتحقّق وقوعه.[٢]

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ٧٤٩/١

[٢] ينظر التحرير والتنوير ١٠٢/٢٩(الطبعة الجديدة)، وصفوة التفاسير ٤٣٣/٣،والإعجاز البلاغي في القرآن ص٣٦٦

وقد تشابهت مع ما قبلها في موضعين:

الأول: قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾

(الحاقة ٠١١)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٦٤)، وآية سورة يونس(٧٣)، وآية سورة الشعراء(١١٩)، وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة القمر(١٣).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾

(الحاقة ٠١٢)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة المؤمنون (٣٠)، وآية سورة الفرقان(٣٧)، وآية سورة الشعراء(١٢١)، وآية سورة العنكبوت(١٥)، وآية سورة القمر(١٥).[٢]

---

[١] ينظر ص١٢٩

[٢] ينظر ص١٩٤

سورة نوح

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية نزلت بعد سورة النحل، قال النحاس-رحمه الله- في كتابه:" حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنها نزلت بمكة فهي مكية"[١].

موضوعات السورة:

اعتنت السورة بأصول العقيدة، وتناولت بالتفصيل قصة نوحعليه السلام من بدء دعوته حتى الطوفان حيث أغرق الله المكذبين من قومه لهذا سميت سورة نوحعليه السلام، وسبب هذا التفصيل في قصته أن الله لما أقسم في السورة التي سبقتها وهي سورة المعارج أقسم على أن يبدل خيراً من مشركي مكة الذين سخروا من المؤمنين وكذبوا بما أوعدوا به من العذاب ذكر قصة نوحعليه السلام وقومه الذين كانوا أشد تمرداً من المشركين فأخذهم الله أخذ استئصال حتى أنه لم يُبق لهم نسلاَ على وجه الأرض وقد كانوا عبّاد أصنام كمشركي مكة فحذّر تعالى قريشاً أن يصيبهم عذاب استئصال إن لم يؤمنوا.[٢]

وقد ابتدأت السورة بإرسال الله لنوحعليه السلام وتكليفه بتبليغ الدعوة وإنذار قومه من عذاب الله.

ثم ذكرت السورة جهاد نوحعليه السلام وصبره وتضحيته في سبيل تبليغ دعوته، والأساليب التي سلكها في دعوته فقد دعاهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، جماعاتٍ وأفراداً، ثم تابعت السورة تذكيرهم بأنعام الله وأفضاله على لسان نوحٍعليه السلام ليجدّوا في طاعة الله، ويروا آثار قدرته ورحمته في هذا الكون العظيم، ومع هذا التذكير بنعم الله والنصح والإرشاد لهم فقد تمادوا في الكفر والضلال والعناد ، واستخفوا بدعوة نبيهم نوحعليه السلام حتى أهلكهم الله بالطوفان.

وقد ختمت السورة بدعاء نوحعليه السلام على قومه بالهلاك والدمار بعد أن مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة يدعوهم إلى الله فما لانت أنفسهم وما اهتدت قلوبهم.

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ ٧٤٩/١

[٢] ينظر البحر المحيط ٣٣٢/٨

إذا فالسورة عرضت قصة نوحعليه السلام كاملة ولكن من زاوية طرق الإنذار التي سلكها في دعوة قومه إلى الله.

سبب تسميتها بسورة نوح:

سميت بسورة نوح لذكر قصتهعليه السلام فيها كاملة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضعين:

الأول: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾ (نوح ٠٠١-٠٠٣)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف(٥٩)، وآيتي سورة هود(٢٥-٢٦)، وآية سورة المؤمنون(٢٣)، وآيات سورة الشعراء(١٠٦-١٠٨)، وآية سورة العنكبوت(١٤).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ ﴾ (نوح ٠٢٦)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة المؤمنون(٢٦)، وآية سورة الشعراء(١١٧)، وآية سورة القمر(١٠).[٢]

---

[١] ينظر ص٩٣

[٢] ينظر ص١٩٢

وأما ما تشابه منها مع ما بعدها:

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ (نوح ٠٢١)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (نوح ٠٢٦)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

قال تعالى في الآية الأولى: ﴿ قَالَ نُوحٌ ﴾ بغير واو ، ثم قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ ﴾ بزيادة الواو.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف الواو من الآية الأولى وإثباتها في الآية الثانية.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن الأول ابتداء دعاء والثاني عطف عليه[1]، لذلك كان الاستئناف في الأولى والعطف في الثانية.

---

[1] ينظر بصائر ذوي التمييز ٤٨٢/١

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(نوح ٠٢٤)

قال تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

(نوح ٠٢٨)

موضع التشابه:

اختصاص دعاء نوحﷺ على قومه بالإضلال في الآية الأولى وبالإهلاك الذي هو التبار في الآية الثانية.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن الآية الأولى جاءت بعد إخبار الله عن نوحﷺ وعصيان قومه له وقولهم: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾فناسب ذلك الدعاء عليهم بأن يزيد الله من إضلالهم الذي هم فيه، ولمناسبتها كذلك لقوله تعالى في نفس الآية : ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ ﴾.

أما الآية الثانية فقد تقدمها دعاء نوحﷺ بهلاك قومه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ فأتبع ذلك بما يناسبها من الدعاء عليهم بالهلاك والتبار.[1]

---

[1] ينظر ملاك التأويل ١٠٩٧/٢،ودرة التنزيل ٨٠١/٢،كشف المعاني ص٣٦٦، أسرار التكرار ٢٠٩/١،بصائر ذوي التمييز ٤٨٣/١

القصة الثانية

قصة هود عليه السلام

قصة هود عليه السلام

هذه القصة وردت في كتاب الله في السور وفي الآيات التالية:

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٥-٠٧٢)

سورة هود: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ

إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(هود ٠٥٠-٠٦٠)

سورة المؤمنون: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾(المؤمنون ٠٣١-٠٤١)

سورة الشعراء: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾(الشعراء ١٢٣-١٤٠)

سورة فصلت: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(فصلت ٠١٥-٠١٦)

سورة الأحقاف: قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢١-٠٢٥)

سورة ق: قال تعالى: ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ﴾(ق ٠١٣)

سورة الذاريات: قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾(ق ٠٤١-٠٤٢)

سورة النجم: قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾(النجم ٠٥٠)

سورة القمر: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾(القمر ٠١٨-٠٢١)

سورة الحاقة: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾(الحاقة ٠٠٦-٠٠٨)

سورة الفجر: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾(الفجر ٠٠٦-٠٠٨)

فتكون بذلك آيات هذه القصة في مواضعها التي تكررت فيها زهاء خمسٍ وستين آية ، مختلفةً في الطول والقصر.

وفيما يلي حصر ما وقع من التشابه في آيات كل مرحلة من مراحل هذه القصة.

سورة الأعراف

هي أول سورةٍ حسب ترتيب المصحف وردت فيها قصة هودﷺ، وقد تمّ ذكر مقدمةٍ عنها عند الحديث عن قصة نوحﷺ ممّا يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت قصة هودﷺ هنا مع ما بعدها في عدة وحدات وهي مرتبة كما يلي:

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٥)

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(هود ٠٥٠-٠٥٢)

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(المؤمنون ٠٣١-٠٣٢)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾(الشعراء ١٢٣-١٣٥)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾(الأحقاف ٢١)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

قوله في سورتي الأعراف وهود: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾، وفي سورة الأحقاف: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إنّ هذا الاختلاف في الجمل ما هو إلا من التنوع في إبراز المعنى الواحد على طرق مختلفة متنوعة تبعاً للمقام التي هي فيه، ففي سورتي الأعراف وهود تقدم قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾(الأعراف ٥٩)، وسبقت قصته عطفاً عليها بعد الفراغ منها قصة هود عليه السلام فقيل فيها: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾، والتقدير: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، فكانت الطريقة هي الطريقة وتبع اللاحق السابق وحاذاه حذوه الشيء بالشيء ما عدا ما فيه من تقديم المرسل إليهم في اللاحق، وقد وافق البقاعي –رحمه الله– على هذا التوجيه فقال:" لمّا كان عاد بعد قوم نوح عليه السلام ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب اتبعهم بهم مقدماً المرسل إليه ليفيد تخصيص رسالته بهم وهم بعض أهل الأرض فقال:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ "[1].

---

[1] نظم الدرر ٧/٤٣٣

وفي سورة الشعراء كذلك تبع اللاحق من قصة هودعليه السلام السابق من قصة نوحعليه السلام في طريقة البدء والعرض، وسبق التنويه بأن قصص نوحعليه السلام ومن بعده في هذه السورة جاءت على وتيرةٍ واحدة في نسقها ونظمها، وكثير من الخصائص في التراكيب والعبارات والمعاني، فلما كان في الأولى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ كان في الثانية: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾، وإبدال قوم نوحعليه السلام في السابق بعاد في اللاحق حيث لم يقل قوم هودعليه السلام للمذكور آنفاً لوجود اسم علم للثانية دون الأولى.

أما الواقع في سورة المؤمنون من ابتداء هذه القصة من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾فإنه لم يُراع فيه بدء ما سبقها من قصة نوحعليه السلام ولكن روعي فيها ما لحقها من قصص موسىعليه السلام ومن قبله وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضًا وَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدًا لِّقَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلۡطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (المؤمنون ٤٢-٤٥)، وكانت هذه الطريقة بجملتها في سَوق قصص هذه السورة من أول قصة نوحعليه السلام إلى آخر قصة موسىعليه السلام على تمام الشبه في الطريقة المذكورة أول السورة في إبراز قدرة الله في خلق الإنسان، وتقليبه في أطوار مختلفة، وتربيته له التربية التكوينية وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَـٰهُ نُطۡفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَـٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَـٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(المؤمنون ١٢-١٦)، فلما سبقت التربية التكوينية البدنية بهذه الطريقة أُتبعت بالتربية الدينية الروحية بإرسال الرسل على الطريقة نفسها، والانتقال من قصة إلى قصة بقوله: ﴿ ثُمَّ ﴾، كما كان الانتقال من نعمة إلى نعمة بقوله: ﴿ ثُمَّ ﴾، وكان لا يصلح بدء قصة نوحعليه السلام بطريقة ﴿ ثُمَّ ﴾ لأنها كانت

أول قصة فكانت بطريقة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾، كما كانت أول تربية بدنية بطريقة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾.

أما سورة الأحقاف فإن القصة فيها بُدئت بحرف الواو داخلاً على الأمر بالذكر في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ ﴾ والواو إما للاستئناف أو للعطف على مقدر أو مذكور، أما المقدر فلا يصعب تقديره، وأما المذكور فقد سبق كثيراً قول الله تعالى في السورة لرسوله: ﴿ قُلۡ ﴾ فالأمر بالذكر يُعطف على الأمر بالقول، قال تعالى:﴿ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(الأحقاف ٨)، وقال: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾(الأحقاف ٩)، وقال: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأحقاف ١٠)، وقال: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (الأحقاف ٤)

فكانت القصة في السورة على وفاق واتساق مع السابق واللاحق، فالجميع جاء لإثبات الدلالة على صدق الوعيد في عذاب الدنيا والآخرة، وجاء لتهديد أهل مكة بسَوق قصة الذين كانوا أقوى منهم أجساماً وأشد قوةً وبنياناً، فما أغنى عنهم من بأس الله شيئاً لما جاءهم.

وبالإضافة إلى هذا التناسب فإن ذكر هود عليه السلام بوصفه دون اسمه العلم إنما كان لأنه أريد بالذكر هنا ذكر التمثيل والموعظة لقريش بأنهم أمثال عادٍ في الإعراض عن دعوة رسول هو من أمتهم، كما أنّ ذِكر الإنذار هنا دون الدعوة أو الإرسال كان لمناسبة تمثيل حال قوم هود عليه السلام بحال قوم محمد ﷺ فهو ناظر إلى قوله تعالى في أول السورة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾(الأحقاف ٣) [1]

[1] ينظر التحرير والتنوير ٤٥/٢٦

الموضع الثاني:

قوله في سورتي الأعراف وهود: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا ۗ ﴾، وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾، حيث عدّى فعل الإرسال المقدر بإلى في سورتي الأعراف وهود، بينما كانت التعدية بفي في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال الحرف (إلى) بالحرف (في).

أثر السياق في توجيه المتشابه:

تعدية فعل الإرسال بإلى في سورتي الأعراف وهود جاءت على الأصل، أمّا تعدية فعل الإرسال بفي في سورة المؤمنون مع أنه يتعدّى بإلى للدلالة على أن الرسول المرسَل إليهم نشأ فيهم وبين أظهرهم، يعرفون مكانه، ومولده ليكون اطمئنانهم إلى قوله أكثر من اطمئنانهم إلى مَن يأتيهم من غير مكانهم.

وقيل وجه التعدية بفي أنّه ضمن معنى القول، والأول أولى، لأن تضمين (أرسلنا) معنى (قلنا) لا يستلزم تعديته بفي.[1]

وقد وافق البيضاوي –رحمه الله– على التوجيه الأول بقوله:"جعل القول موضع الإرسال في سورة المؤمنون ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم، وإنما أوحي إليه وهو من بين أظهرهم."[2]

الموضع الثالث:

صرّح تعالى بفعل القول في سورتي الأعراف وهود بقوله:﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾ وفي سورة الشعراء بقوله:﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ ﴾، وطوى ذلك في سورتي المؤمنون والأحقاف.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

---

[1] فتح البيان ٢٨٢/٦

[2] تفسير البيضاوي ١٥٤/٤

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أنه لما وقع التصريح بالرسالة والنذارة في سورة المؤمنون بقوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولاً ﴾ ، وفي سورة الأحقاف بقوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ وكان ذلك في معنى القول اكتفى به عن القول ووقع اللاحق ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾متعلقاً بذلك السابق، بينما كان فعل الإرسال مقدّراً غير مصرح به في سور الأعراف وهود والشعراء لذلك حسُن التصريح بالقول والنداء معه؛ لأنه لو حُذف لاجتمع في الكلام القليل حذفان وتعلّق اللاحق بغير مذكور، ومثل ذلك ما كان في سورة النمل حين ذكر سبحانه الإرسال صريحاً وطوى القول والنداء معه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (النمل ٤٥) ، ولما طوى الإرسال ذكر القول والنداء في قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(العنكبوت ٣٦)، مع أن ذلك لا يمنع من وقوع الأصل من التصريح بكلٍ من الإرسال والقول كالوارد في قصة نوحعليه السلام في سورتي الأعراف والمؤمنون في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف٥٩)، ولا يخفى مع ذلك ما في الكل من التناسب مع الآيات السابقة واللاحقة لها في سور الأعراف وهود والشعراء حيث جاءت كل سورة بالعبارة التي تكررت في قصص السورة نفسها.

أما سبب التصريح بالإرسال والإنذار في سورتي المؤمنون والأحقاف والطيّ لهما في سورتي الأعراف وهود مما أدى إلى طيّ القول والنداء في الأوليين وذكرهما في الأخريين فهو عائد إلى مراعاة مقام كل موضع، وتناسب مطلع القصة فيه بسابقه، فالطريقة التي في سورتي الأعراف وهود هي المتّبعة في غالب قصص السورتين المذكورة عقب قصة نوحعليه السلام، وفيه نداء كل رسول لقومه بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾، والتصريح بالإرسال متّبع في كل قصص سورة المؤمنون مصدراً بكلمة:﴿ ثُمَّ ﴾، أما في سورة الشعراء فقد كان طيّ النداء مناسباً لسابقه

ولاحقه فيما جاء في السورة من قصص، مع ما فيه من إغناء التصريح بالأخوة والملاينة بقوله: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ عن الملاينة والتحبب بقوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ﴾[1].

أما في سورة الأحقاف فإن المقام يقتضي التصريح بالنذارة؛ لأن القصة سيقت مساق الموعظة للمشركين الذين كذبوا بالقرآن كما بينّا في توجيه الموضع الأول.[2]

الموضع الرابع:

الأمر بالعبادة بصيغة: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾في سور الأعراف وهود والمؤمنون، بينما كان بصيغة: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ في سورة الأحقاف، وكان الاقتصار على الأمر بالتقوى في سورة الشعراء.

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول من التشابه: اختلاف صيغ الأمر بالعبادة في سور الأعراف وهود والمؤمنون والأحقاف، فجاء التصريح بالأمر بالعبادة في سور الأعراف وهود والمؤمنون، بينما جاء الأمر بالنفي والاستثناء في سورة الأحقاف، والاقتصار على الأمر بالتقوى في سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان صريح الأمر بالعبادة في سور الأعراف وهود والمؤمنون بقوله تعالى: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾؛ لأنه الأصل في دعوة الرسل، والأصل في

---

[1] ينظر رسالة متشابه النظم في قصص القرآن د. عبد الغني الراجحي ص ١١٠

[2] ينظر التحرير والتنوير ٤٤/٢٦، وينظر ص٢٣٧

طريقة الحكاية، والأكثر وروداً، ولا يُعدل عنه إلا لمقتضى، وكثيرٌ منه في كثيـــرٍ من قصص هذه السور.

أما النفي والاستثناء في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فإنه أليق وأنسب بالمذكور معه من النّذارة فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾، فالإنذار تخويف وتهديد على ما لا يجوز من عبادة غير الله.

أما الاقتصار على الأمر بالتقوى في سورة الشعراء فلأن الأمـــر بـــالتقوى يشتمل على الأمر بالعبادة لزوماً؛ لأنها أول درجاتها وهذا مناسبٌ لما سبق ولحـــق من قصص موسى ونوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام فـــي قـــول الرســـل لأقـــــــــوامهم:﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

<u>النوع الثاني من التشابه:</u> اختصاص موضع سورة الأحقاف بالنّذارة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾ ، دون ذكر ذلك في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن سياق ذِكر قصة هودعليه السلام في هذه السورة كان لتهديد أهل مكـــة بـــذِكْر هلاك من كانوا أشد منهم قوة لمّا أعرضوا عن دعوة ربهم وإنـــذار نبـــيّهم لهـــم بالعذاب العاجل والآجل، كما أن السورة قد فاضت بذكر النّذارة قـــال تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأحقاف ٣) ، وقـــال: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾(الأحقاف ٩)، وقـــال: ﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأحقاف ١٢)، وقـــال: ﴿

﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٩)، من أجل ذلك وقعت الزيادة بالإنذار فيها دون غيرها.[١]

الموضع الخامس:

ما تُذيّل به الدعوة وتُختم، ففي سورتي الأعراف والمؤمنون خُتمت بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وفي سورة هود ختمت الدعوة بقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾، وفي سورتي الشعراء والأحقاف بقوله: ﴿ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أما قوله في سورتي الأعراف والمؤمنون: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ فلتناسبه مع السياق في السورتين، ففي سورة الأعراف تناسب ذلك مع قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأعراف ٣٥)، كما أنه مناسب لقضية ذِكْر الأخوّة المصرّح بها في الآية نفسها، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعراف ٦٥)، كما أن الحكاية كلها جاءت في سورة الأعراف أقلّ جدلاً وغِلظةً مما جاءت عليه في سورة هود فجاءت هنا: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وجاء بعدها قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأعراف ٦٩)، وقال لهم قبل ذلك: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف ٦٨)، ففيها حثٌ على التقوى، وإزالةٌ لما

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ٤٥/٢٦،

عندهم من العُجب، وترجّي الفلاح لهم، وأنه لهم ناصح أمين حتى أنهم لما رموه بالسفاهة لم يزد على أن قال لهم: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(الأعراف ٦٧) ، بخلاف الحكاية في سورة هود.

فالواقع في سورة هود من قوله: ﴿ إِن أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾مناسبٌ لما سبق ذكره في السورة نفسها من الافتراء الوارد في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٍ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَـٰتٍ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(هود ١٣) ، وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾(هود ١٨)، وقوله:﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجۡرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(هود ٣٥)، كما أن الحكاية جاءت في هذه السورة أشد غلظةً وجدلاً حيث قال لهم هود عليه السلام بعد قوله: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(هود ٥١)، ثم قال لهم: ﴿ وَلا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(هود ٥٢)، ففي الحكاية بيان افترائهم وعدم تعقلهم وتوليهم مجرمين.

وفي سورة المؤمنون تناسب ذلك مع السابق له في قصة نوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

بالإضافة إلى أن واقعة هود عليه السلام في سورتي هود والمؤمنون كانت مسبوقة بواقعة نوح عليه السلام وعهد الناس بها قريب، لذا اكتفى بقوله:﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ والمعنى: تعرفون أن قوم نوح عليه السلام لمّا لم يتقوا الله وعبدوا غيره حلّ بهم ذلك العذاب الذي اشتُهر خبره في الدنيا، فقوله:﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ إشارة إلى التخويف بتلك الواقعة المشهورة.[1]

وأما الواقع في سورة الشعراء من قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ فهو مناسبٌ لما سبق القصة من ذكر النار الوارد في قوله تعالى: ﴿

---

[1] ينظر البحر المحيط ٣٢٧/٤

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الشعراء ٩١)، كذلك مناسبٌ لذكر العذاب الوارد في قصة صالح عليه السلام مع قومه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٨)، وكذلك مناسب لما ورد في قصة شعيب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٩)

وأما قوله في سورة الأحقاف: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾ فهو مناسبٌ للتصريح بالنّذارة المقتضية للتخويف، ومناسب لما في قوله: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ من الإشعار بأنهم يعبدون غيره، ومناسبٌ كذلك لما فاضت به السورة الكريمة من التصريح بيوم القيامة ويوم الحشر وذِكر أوصاف ذلك اليوم العظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأحقاف ٥-٦) ، وقال سبحانه: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٠)

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٦)

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(هود ٠٥٣-٠٥٤)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(المؤمنون ٠٣٣-٠٣٨)

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(الشعراء ١٣٦-١٣٨)

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحقاف ٠٢٢)

الملاحظ أن هذه الآيات حكايةٌ لمحكيّ واحد ومع ذلك جاءت مختلفة بالنقص والزيادة والإبدال، وهذا من التنوّع الذي روعي فيه مقتضى المقام في كل سورة.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

وقع قول الملأ مستأنفاً في مواضع سور الأعراف وهود الشعراء والأحقاف، بينما وقع قولهم معطوفاً بالواو في سورة المؤمنون.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وقعت الردود في جميع المواضع مستأنفةً ما عدا الوارد في موضع سورة المؤمنون فإن الرد وقع معطوفاً، وسبب الاستئناف أن هذه الردود وقعت في محل جواب سؤال مقدّر وهو: ماذا قال قومه؟ فقيل له:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، وقيل له:﴿ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾، وقيل له كذلك:﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾، و قيل له: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

فيكون الكلام على ذلك قد جرى مجرى المحاورات وهي طريقة سائغة واردة في أغلب القصص من بعد قصة نوح عليه السلام، وقد تقدم في الحديث عن قصة نوح عليه السلام بيان ذلك[1]، وقيل أن سبب ذلك أن السامع تشّوف إلى جوابهم.[2]

وهذا ما يسميه علماء البلاغة بشبه كمال الاتصال، ذلك أن الوصل هو عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه، ولكل منهما حكمه ووضعه، والذي يعنينا هنا أنه إذا وقعت الجملة جوابا لسؤال اقتضته الجملة التي تسبقها تُنزل منزلة هذا السؤال المقدر وتُفصل عن الجملة السابقة لها كما يفصل الجواب عن السؤال.[3]

أما العطف الوارد في سورة المؤمنون فقد وجّهه البقاعي –رحمه الله– بقوله: " لمّا كان التقدير لم يؤمنوا ولم يفيقوا دأب قوم نوح عليه السلام عطف عليه قوله:

---

[1] ينظر حاشية الجمل ١٩٠/٣، وحاشية الشهاب٢٢٩/٦، وحاشية الصاوي١١٧/٣، وقصة نوح عليه السلام ص١١٦

[2] ينظر نظم الدرر ٤٣٤/٧، ١٦٥/١٨

[3] ينظر المطول ص ٤٥، ينظر البدر الطالع ٣٠٣/٢

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ﴾ فكان اقتران الواو به أعظم في التسلية مما خلا عنها على تقدير سؤال لدلالة هذا على ما وقع العطف عليه".[١]

أما صاحب رسالة متشابه النظم في قصص القرآن فقد وجّه ذلك بقوله أن المعطوف عليه هو قول رسولهم والمعنى: فقال لهم ذلك وقالوا لهم: ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ ﴾، واختيرت هنا طريقة العطف بالواو لأن كلامهم وإبرازه مما قصد قصداً أوليا كإبراز كلامه، غير منظورٍ فيه إلى معنى ترتيبه على كنهه أو نشأته عن سؤال، بل المقصود كشفه وإيضاحه لإبراز ما فيه من البَون الشاسع بينه وبين الإيمان الذي أمرهم به، ولهذا اختص هذا الموضع بزيادة وصف الملأ بأنهم كذّبوا بلقاء الآخرة وأترفهم الله في الحياة الدنيا، وإلى ما اشتملت عليه مقالتهم من صريح إنكار البعث، وقولهم بكذب هود، وتواصيهم بعدم الإيمان به، وذلك كله راجع إلى طريقة البدء في هذه القصة بذكر المرسَل إليهم مع بيان طرف من أحوالهم قبل مجيء ذكر رسولهم بياناً مشتبكاً بذكر من كان قبلهم، فبعد انتهاء قصة قوم نوح قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ فذلك الكلام جعل الذهن يعْبر من قوم إلى قوم، وينتقل من أحوال قوم وأقوالهم إلى أحوال قوم بعدهم وأقوالهم، ورشّحه لاستقبال ما يرِد من ذِكْر أقوالهم فصار إيراد قولهم مما يُقصد قصداً أولياً ذاتياً لا نظر فيه إلى تفرّع أو جوابية، فذكر قول الرسول بمقدار ما يصحّح إيراد جوابهم وكلامهم، ثم جيء بجوابهم وكلامهم معطوفاً على كلام نبيهم بحرف الواو، ولهذا ورد الكلام منطوياً على إغفال ذِكر اسم الرسول وعدم التصريح به، الأمر الذي لم يحدث في قصة أخرى، وما ذلك إلا لأن أعظم القصد موجه إلى القوم وأقوالهم، وذِكر الرسول وقوله إنما كان بقدر ما يتوقف عليه إيراد كلامهم، كما أنه شاع في قصص هذه السورة الإشارة إلى القرون والأمم والأقوام، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (المؤمنون ٣١) وقال: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا

---

[١] نظم الدرر ١٣٨/١٣

يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٤٢-٤٤)، كما أنه في هذه السورة جُعلت كل أمة شبيهة بسابقتها في الشبهة التي تبني عليها تكذيب رسولها، وكذلك في طريقة إلقاء هذه الشبهة حيث لا يجابهون بها أنبياءهم، فقوم نوحعليه السلام قالوا: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٤)، وقال قوم هودعليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (المؤمنون ٣٣)[١]

وقيل أن سبب العطف بالواو في موضع سورة المؤمنون هو للإشارة إلى تباين الأخبار أو تباين الكلامين حيث عطف كلامهم الباطل على كلامه الحق[٢]، وقيل لأن كلام قوم هودعليه السلام لم يتصل بكلام رسولهم.[٣]

الموضع الثاني:

جاء ذكر الملأ في سورتي الأعراف والمؤمنون، بينما أُسند القول إلى ضميرٍ عائد عليهم في سور هود والشعراء والأحقاف.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب ذكر الملأ في سورتي الأعراف والمؤمنون لمناسبته للمذكور قبله في قصة نوحعليه السلام من ذكر الملأ في السورتين، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأعراف ٦٠)، وقال في سورة المؤمنون: ﴿

---

[١] ينظر رسالة متشابه النظم في قصص القرآن د. عبد الغني الراجحي ص١١٣،١١٤

[٢] ينظر التفسير الكبير ٨٥/٢٣، وحاشية الجمل ١٩٠/٣، وحاشية الصاوي ١١٧/٣

[٣] ينظر حاشية الشهاب ٢٢٩/٦

فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٤)، ولمناسبته للمذكور بعده في قصة موسى‍ عليه السلام في سورة المؤمنون، وفي كثير من قصص الأنبياء في سورة الأعراف، ففي سورة الأعراف قال تعالى في قصة صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأعراف ٧٥)، وقال سبحانه في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأعراف ٨٨)، وقال في نفس القصة: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأعراف ٩٠) ، وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الأعراف ١٠٩)، وقال سبحانه في نفس القصة: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الأعراف ١٢٧)

أما في سورة المؤمنون فقد قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (المؤمنون ٤٦)، لذا جاء فيها لفظ الملأ.

أما السبب في عدم ذكر الملأ في سور هود والشعراء والأحقاف فهو متعلّق بمناسبته لمقتضى المقام في كل سورة، فلم يُذكر الملأ في سورة هود على الرغم من ذكره فيما سبق في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (هود ٢٧)، وكذلك ذِكره فيما لحق في قصة موسى عليه السلام: ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ ﴾ (هود ٩٧)؛ لأن هذا الرد من قوم هود عليه السلام لم يقع في هذه السورة إلا بعد طويل كلام من هود عليه السلام وجّهه إليهم بقوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (هود ٥٠-٥٢)، فكان من حُسن المقابلة أن يُذكر ردهم على لسان القوم الذي تردد ذكره.

وأما سبب عدم ذِكْرهم في سورة الشعراء فلأنها كانت الطريقة المتّبعة في سابق القصة ولاحقها، فلم يُذكر الملأ في قصة موسى وإبراهيم ونوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

وأما سورة الأحقاف فقد جاءت فيها القصة حكاية لما كان أخيراً في المحكي وقد جاء أخيراً في ترتيب السور، وكان الكل قد صار له بالتكذيب والاستهزاء في قولهم: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾لذا كان قوله لهم بعد ذلك: ﴿ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٣)، ثم قال بعده: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٥)

الموضع الثالث:

اختصاص موضع سورة هود دون غيره من المواضع بنداء قومه له بقولهم:﴿ يَٰهُودُ ﴾ .

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، إثبات نداء القوم لنبيهم في سورة هود، وحذف ذلك من باقي المواضع.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

افتتاح كلام قوم هود عليه السلام بندائهم له يشير إلى الاهتمام بما سيقولونه، وأنه جديرٌ بأن يستتبه له؛ لأنهم أنزلوه منزلة البعيد لغفلته فنادوه، فهو مستعمل في معناه الكنائي أيضا، لأن النداء بالأداة (يا) إما أن تكون لنداء البعيد أو لنداء مَن هو بمنزلة النائم أو الساهي وهذا ما أراده قوم هود بنبيهم عليه السلام حين أنزلوه منزلة

الغافل الساهي، وقد يكون مراداً منه مع ذلك توبيخه ولومه فيكون كناية ثانية، أو استعمال النداء في حقيقته ومجازه.[١]

وقيل لمناسبة ذلك لما سبق من تكرار ندائه لهم ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، وقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾، وقوله: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾، فالتصريح بندائه على أتم مناسبة بالمذكور قبله من التصريح بندائهم ، وهذا كافٍ لو لم يكن ذلك في سورة هود فكيف وقد وقع التصريح باسم هود عليه السلام منادى في سورة هود، كما أنه مناسبٌ لسابق القصة ولاحقها في نفس السورة حيث جاء التصريح بأسماء الأنبياء في قصصهم، قال تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ ﴾ (هود ٣٢)، وقال في قصة صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ﴾ (هود ٦٢)، وقال في قصة لوط عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ ﴾ (هود ٨١)، وقال في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ ﴾ (هود ٨٧) .

الموضع الرابع:

قدم تعالى الوصف بالكفر في سورة الأعراف بقوله: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ ﴾، وأخّر ذلك الوصف في سورة المؤمنون بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أن الواقع في سورة الأعراف من تقديم وصف الملأ بالكفر وتأخير الجار والمجرور هو الواقع في سائر قصص القرآن، أما الواقع في سورة المؤمنون من تقديم الجار والمجرور وتأخير وصف الملأ بالكفر فسببه أن الوصف بالكفر وكونه من القوم بيانان في الملأ والمبيَّن شديد الطلب لبيانه، فلما جاء وصف الكفر في

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ٩٧/١٢، والمفصل في صنعة الإعراب ٤١٣/١

موضع سورة المؤمنون متبوعاً بوصفين آخرين: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فلو وقع فيها تقديم الوصف بـــالكفر مع تابعيه لوقع بيان أنه من قومه أخيراً بعد هذه الأوصاف فيكون بعيداً عن المبيّن وهذا في غاية الركاكة، وكذلك لو وقع في أثناء هذه الثلاثة الأوصاف لكان تفكيكاً بين متصلات:(كفروا وكذبوا وأترفوا) فلم يكن بدّ من المســارعة بتقــديم الجـــار والمجرور قبل هذه الأوصاف، ولمّا لم يكن شيء من هذا في المواضع الأخــرى من قصص القرآن لم يكن هناك ما يُلجئ لتقديم الجار والمجرور فوقع مؤخراً بعد الوصف بالكفر.[١]

الموضع الخامس:

اختلاف مقول القوم في كل موضع عن الآخر.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جمل بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

اختلاف المقول في كل موضع كان بسبب اختلاف ما صدر عن القوم فيــه، فكل ما قيل عنهم قد قالوه ولكن وقوع كل حديثٍ إنما كان لمناسبة اقتضت كونــه حيث كان، فالوارد في سورة الأعراف من قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، شبيهٌ بما حُكي قبله عمن قبلهم من قول قوم نوحعليه السلام لــه: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾.

أما الوارد في سورة هود من قولهم: ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ففوق ارتباطه والتقائه كجواب لما قاله لهم: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، فهـــو مناســـبٌ للسابق في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

[١] ينظر ملاك التأويل ٨٧٦/٢،

مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (هود ١٧)

أما الواقع في سورة المؤمنون من ذكرهم شبهة البشرية وإنكار البعث فهو مناسبٌ للمذكور من هذه الشبهة فيما سبقها ولحقها من قصة نوحعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٤)، ومن قصة موسىعليه السلام في قوله تعالى:﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (المؤمنون ٤٧)، وكذلك مناسبٌ للمذكور من بيان البعث واليوم الآخر في أول السورة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (المؤمنون ١٦)، والمذكور في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ إلى آخر آيات السورة.

وقولهم على نبيهم هودعليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المؤمنون ٣٨)، شبيهٌ بقول سابقيهم من قوم نوحعليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٥)

ثم إن ما حكي من أقوالهم ها هنا مناسبٌ للأوصاف التي وصفوا بها والتي لم يرِد مثلها في قصة أخرى أو في موضع آخر من هذه القصة وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فجاءت هذه الأوصاف للملأ في هذا الموضع مناسبةٌ لما حكي من كثير كفرهم وطويل شبهاتهم في هذا الموضع.

أما الواقع في سورة الشعراء من قولهم: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ ﴾(الشعراء ١٣٦)، فهو مناسبٌ لما سبق في هذا الموضع، خاصةً من إطالة هودعليه السلام مقالته في الدعوة لهم، والتحبّب إليهم وملاطفتهم وملاينتهم بتكرار ذِكر الطاعة والتقوى، ونفي سؤال الأجر، وبيان أنه ناصح أمين، وبيان ما أفاضه الله عليهم من النعم السابغة من جناتٍ وعيون وأنعامٍ وبنين، ونهيهم برفق ولطف عما كانوا يفعلون من بنائهم بكل ريعٍ آيةً يعبثون، واتخاذهم مصانع ليخلدوا ويركنوا إلى الدنيا وبطشهم وجبروتهم، وختم ذلك كله بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٣٥ ﴾(الشعراء ١٣٥)، فذلك بطريقة الوعظ أشبه وبذكر قولهم:﴿ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴾أنسب.

أما قولهم: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ ﴾(الشعراء ١٣٧-١٣٨) فهو رد على قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٣٥ ﴾(الشعراء ١٣٥)

أما الواقع في سورة الأحقاف من قولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ ﴾(الأحقاف ٢٢)، فهو كجوابٍ لقوله: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٢١ ﴾(الأحقاف ٢١) على أتم مناسبة وأقوى التقاء لما في قوله:﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ من النهي عن عبادتهم لآلهتهم.

وأما قولهم:﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ فهو جواب عن تخويفهم بالعذاب في قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾، وهو بعد ذلك مناسبُ للسابق ذِكره في السورة ممّا يشبهه من دعوة النبي محمدﷺ قومه إلى عبادة الله وبيان بطلان آلهتهم: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ ﴾(الأحقاف ٤-٥)

الوحدة الثالثة

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۟ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓا۟ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٍ وَزَادَكُمۡ فِى ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةًۖ فَٱذۡكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسۡمَآءٍ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَـٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٧-٠٧١)

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡا۟ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّى قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾(هود ٠٥٤-٠٥٧)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾(المؤمنون ٠٣٩)

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٣)

هذه الآيات تحكي ما جاء من رد هود عليه السلام ثانياً على مفتريات قومه وموقفه منهم بعد تكذيبهم له.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاء فعل القول مستأنفا في جميع المواضع بدون نداء القوم إلا في موضع سورة الأعراف فقد وقع النداء من هود عليه السلام إلى قومه في قوله:﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

استأنف سبحانه الإخبار عن هودﷺ بقوله:﴿ قَالَ ﴾؛ لأن قول قومه السابق كان محركاً للسامع إلى الاستعلام عن جوابه لهم، فلتشوّف السامع إلى معرفة جوابه فُصلت جملة (قال) على طريقة المحاورات في القرآن.[1]

أمّا سبب وقوع النداء في موضع سورة الأعراف دون باقي المواضع فكان لاسترعاء أسماع القوم نظراً إلى أهمية ما سيلقى إليهم[2]، ولاستعطافهم واستمالة قلوبهم[3]، وذلك لكثرة جدالهم لهﷺ في هذه السورة.

الموضع الثاني:

قول هودﷺ في سورة الأعراف:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴾ بجمع الرسالة، وقوله في سورة هود:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ﴾، وقوله في سورة الأحقاف: ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ بتحديد الرسالة التي أوحى الله بها إليه.

نوعه: تشابه بالتعميم والتخصيص، فجاء بذِكر الرسالات عامة في موضع سورة الأعراف وعيّن الرسالة في سورة الأحقاف.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن ما في سورتي هود والأحقاف أنصّ على أنه أُرسل بالرسالة، وأمكن في إفادة هذا المعنى وفي تفخيم الرسالة ممّا في سورة الأعراف، وكذلك كان السابق عليهما في حكاية كفرهم وتعنّتهم وجدالهم الذي كان أطول وأشد في سورتي هود والأحقاف من المذكور السابق على ما في سورة الأعراف، ففي سورة هود قالوا: ﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ١٨/٨، ٥٨/٢٠٣،ونظم الدرر ٣١٠/٩

[2] ينظر التحرير والتنوير ٩٤/١٢

[3] ينظر تفسير أبي السعود ٢٣٨/٣، وروح المعاني ١٥٥/٨

إن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ، وفي سورة الأحقاف قـالوا: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحقاف ٢٢)، وكلّ ذلك أشدّ من المذكور في سورة الأعراف من قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأعراف ٦٦)

وقد حَسُن الاستدراك الواقع في قوله:﴿ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ "لأنه لمّا كان معنى الإخبار بالإبلاغ أنه ليس عليّ إلا ذلك، وكان معنى قصْر العلم المطلق على الله تصديقهم في نفي علمه بذلك حسُن هذا الاستدراك"[1]

الموضع الثالث:

اختلاف كلام هود عليه السلام في كل موضع.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كلّ كلام في موضعه هو متعلّق بسابقه ولمّا كان ذلك السابق مختلفاً جاء اللاحق كذلك مختلفاً، وما من شيء في موضعه إلا وله مناسبة بسابقه إما في القصة نفسها أو في القصة التي قبلها أو فيما قبل القصص من آيات السورة التي هو فيها، فما كان في سورة الأعراف فوق كونه جواباً عن شبهة كفار قومه فإن قوله:﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ متناسبٌ مع نظيره السابق في السورة نفسها في قصة نوح عليه السلام من قوله لقومه: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأعراف ٦١-٦٢)، وقوله:﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ تنبيهٌ على أنّهم عرفوه بالأمرين

---

[1] نظم الدرر ١٦٧/١٨

النصح والأمانة[١]، وأتبع ناصح بأمين وهو الموصوف بالأمانة للرد على قولهم له: ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾؛ لأن الأمين هو الموصوف بالأمانة، والأمانة حالةٌ في الإنسان تبعثه على حفظ ما يجب عليه من حقٍ لغيره، وتمنعه من إضاعته أو جعْله لنفع نفسه وضدها الخيانة، وفي تقديم قوله:﴿ لَكُمْ ﴾ على عامله بيانٌ للإيذان باهتمامه بما ينفعهم.[٢]

أما قول هودعليه السلام لقومه:﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فهو متناسبٌ مع قول نوحعليه السلام لقومه: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(الأعراف ٦٣)، وأما رده على قومه ثانياً بقوله:﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ لمّا قالوا له:﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ فهو متناسبٌ مع السابق في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(الأعراف ٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(الأعراف ٢٨)

أما الواقع في سورة هودعليه السلام مع التقائه بسابقه كجواب عنه فإن قوله:﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ متناسبٌ مع السابق في السورة نفسها من قوله: ﴿ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(هود ٣٥)، وأما قوله:﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ فهو متناسبٌ مع قوله تعالى في نفس السورة: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾(هود

---

[١] تفسير البيضاوي ٣٢/٣

[٢] ينظر التحرير والتنوير ٢٠٣/٨،٢٠٤

١٢)، والوكيل هو الذي تُوكل إليه الأمور ويُتوكّل عليه فيها ، "وقد جيء قول هودعليه السلام: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ ﴾ بلفظ الماضي لكونه أدل على الإنشاء المناسب للمقام"[١]، وكذلك متناسبٌ مع قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾(هود ٦)، أما سبب قوله:﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ "أنه تعالى لمّا قال:﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ أشعر ذلك بقدرة عالية وقهر عظيم فأتبعه بقوله:﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي إنه وإن كان قادراً عليهم لكنه لا يظلمهم ولا يفعل بهم إلا ما هو الحق والعدل والصواب."[٢]

وأما الواقع في سورة المؤمنون فهو كسابقه في قصة نوحعليه السلام تماماً: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾(المؤمنون ٢٦)، وتكذيبهم هو ما حُكي عنهم في قولهم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(المؤمنون ٣٨)

وأما الواقع في سورة الأحقاف فقد وقع جواباً لقولهم: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(الأحقاف ٢٢)، حيث استعجلوا العذاب الذي توعدهم به: ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ ﴾(الأحقاف ٢٤)، فقال لهم: لا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمةً وصواباً، إنما العلم عند الله في إتيان ذلك ووقته فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت تقترحونه أنتم، ولا يخفى ما في استعجالهم العذاب من السخرية والاستهزاء بنبيهم،[٣]، كما أن قول هودعليه السلام مناسبٌ للمذكور فيما سبقه من قول النبي محمدصلى الله عليه وسلم لكفار مكة: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾(الأحقاف ٩)

---

[١] تفسير أبي السعود ٢١٨/٤

[٢] التفسير الكبير ١٢/١٨

[٣] ينظر الكشاف ٣١٠/٤، وفتح الرحمن ص٥٢٢،

الوحدة الرابعة

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾(الأعراف ٠٧٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(هود ٠٥٨-٠٦٠)

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾(المؤمنون ٠٤١)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾(الشعراء ١٣٩)

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(فصلت ٠١٦)

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٤-٠٢٥)

قال تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾(الذاريات ٠٤١-٠٤٢)

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾(النجم ٠٥٠)

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(القمر ٠١٩-٠٢٠)

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾ (الحاقة ٠٠٦-٠٠٨)

هذه الآيات تحكي عن عاقبة أمر هود عليه السلام وقومه، حيث نجّاه الله ومَن معه من المؤمنين وأهلك الكافرين.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

أن ذكر نجاة الناجين من المؤمنين ذُكرت في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢ ﴾، وفي سورة هود ذُكرت بقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٨ ﴾.

في هذا الموضع ستة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: أن نجاة الناجين وردت في موضع سورة الأعراف بصيغة: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ ﴾ وفي موضع سورة هود بصيغة: ﴿ نَجَّيْنَا ﴾.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، فجاء بالفعل المتعدي بالهمز في سورة الأعراف وجاء بالفعل المتعدي بالتضعيف في سورة هود.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كما ذكرنا في قصة نوح عليه السلام فإن النّجاة التي حصلت هي شيء واحد لقصة تكررت حكايتها لذا جاء القرآن بتنويع الألفاظ حتى لا يحصل التكرار، فمرةً جاءت التعدية بالهمز ومرةً بالتضعيف، ومع ذلك فإن وجود كل لفظةٍ في موضعها لا تخلو من مناسبة، فقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ ﴾ في سورة الأعراف كان بسبب اطّراد لفظ (أنجينا) في هذه القصة وغيرها من قصص نوح ولوط وموسى عليهم السلام في

نفس السورة، وذلك لما سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام من أن لفظ (أنجينا) كالأصل للفظ (نجّينا) وسورة الأعراف كالأصل لما بعدها من السور في هــذه القصــص، بينما في سورة هود جاء اللفظ (نجّينا) تكثيراً ومبالغة، ولأن لفظ (نجّينا) كـــالفرع للفظ (أنجينا) وسورة هود كالفرع لسورة الأعراف، ولاطّراد مجيئها كــذلك فــي سورة هود في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام، وقد تم تفصيل ذلك في قصة نوح عليه السلام .[1]

<u>النوع الثاني من التشابه:</u> جاء لفظ التنجية بالفاء في سورة الأعراف، وبدونها في سورة هود.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن الفاء في سورة الأعراف دالة على عدم الإمهال بل تدل علـــى تعجيــل العقوبة لهم، فالفاء تدل على الترتيب والتعقيب لكن بدون مهلة بل توجـــب وجـــود الثاني بعد الأول مباشرة[2]، وكنت قد بيّنت في قصة نوح عليه السلام أن القرآن كثيراً مـــا يستعمل لفظ (أنجى) للإسراع في التنجية ولفظ (نجّى) للتلبّث والتمهل فيها[3]، لــذلك لمّا كان مقام قصة هود عليه السلام في سورة الأعراف يقتضي الإسراع عبّر عنه بلفــظ (أنجى) وقرنه بالفاء الدالة على الإسراع، بخلاف ما في سورة هود التي عبّر فيها باللفظ (نجّى) بدون اقترانه بالفاء لأن مقام سرد القصة فيها كـــان مقـــام التمهــل والتريّث.

---

١ ينظر ص ١٣٥ في قصة نوح عليه السلام

[2] ينظر التعبير القرآني ص٨٣، والمفصل ٤٠٤/١

[3] ينظر ص١٣٩ في قصة نوح عليه السلام

النوع الثالث من التشابه: قوله في سورة الأعراف:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ ﴾، وقوله في سورة هود:﴿ نَجَّيۡنَا هُودًا ﴾، بإضافة فعل التنجية إلى الضمير في سورة الأعراف وإضافته إلى اسم العلم في سورة هود.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان ذلك لمناسبة كل موضع من السورتين للقصص الواردة في نفس كل سورة منهما، فالوارد في سورة الأعراف كان هو المتبع في قصص السورة نفسها وهي قصص نوح ولوط وموسى عليهم السلام، قال تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأعراف ٦٤)، وقال في قصة لوط عليه السلام: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأعراف ٨٣) ، وقال في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف ١٦٥)

وكذلك الوارد في سورة هود كان هو المتبع في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام الواردتين في نفس السورة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (هود ٦٦)، وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود ٩٤)

كما أن إضمار الاسم في سورة الأعراف مناسبٌ للإسراع في ذكر التنجية التي وردت مقترنة بالفاء الدالة على الإسراع وعدم التمهل، بخلاف سورة هود التي ورد فيها ذكر التنجية بدون الفاء مما دلّ على التلبّث والتمهل فناسبه الإطالة بإظهار اسم هود عليه السلام.

النوع الرابع من التشابه: الزيادة في سورة هود بقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان، حيث أضاف في سورة هود مجيء أمر العذاب، دون ذكره في سورة الأعراف.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة مناسبة للطول والبسط في سورة هود عامة، ومناسبة كذلك لما سبق من شبه الوعيد بمجيء العذاب في قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧ ﴾(هود ٥٧)

كما أن هذه الزيادة جاءت مناسبة للوارد في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام في سورة هود حيث وردت هذه الزيادة في كل منهما، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ ﴾(هود ٦٦)، وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ ﴾(هود ٩٤)

واستعمال الماضي في قوله: ﴿ جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ بمعنى اقترب المجيء لأن الإنجاء كان قبل حلول العذاب.[١]

النوع الخامس من التشابه: الزيادة في سورة هود بقوله: ﴿ ءَامَنُوا ﴾.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة في سورة هود هي أيضا مناسبةٌ للطول عموماً في السورة نفسها، كما أن فيها رداً على قول عاد لهود عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا

---

[١] ينظر التحرير والتنوير ١٠٣/١٢

نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(هود ٥٣)، فجاءت هذه الزيادة مبيّنة أن النجاة كانت لمن آمن بما جاء به هودعليه السلام، وهي مع ذلك كلّه مناسبةٌ للوارد في قصص نوح وصالح وشعيب عليهم السلام في نفس السورة، قال تعالى في قصة نوحعليه السلام: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(هود ٤٠)، وقال في قصة صالحعليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾(هود ٦٦)، وفي قصة شعيبعليه السلام قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(هود ٩٤)

النوع السادس من التشابه: الزيادة بتكرار التنجية في سورة هود بقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة والمعنى: نجّيناهم من عذاب الدنيا برحمة منّا وهي الريح السّموم، ونجّيناهم من عذاب غليظ في الآخرة، وهذان الإنجاءان يقابلان جمع العذابين لعاد في قوله تعالى: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾(هود ٦٠)[1]

وقيل أن المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الله لعاد بالريح المدمّرة، فهي تأكيد للعذاب السابق الذي حلّ بقوم هودعليه السلام.[2]

---

[1] ينظر الكشاف ٣٨٣/٢، وتفسير أبي السعود ٢١٩/٤ ،والتحرير والتنوير ١٠٤/١٢، وفتح الرحمن ص٢٦٧

[2] ينظر الكشاف ٣٨٣/٢، وحاشية الشيخ زاده ٥٠/٣، وفتح الرحمن ص٢٦٨

أما السبب في تكرار التنجية فهو للتأكيد عليها وذلك لما سبق من مزيد التفويض والتوكل في قوله تعالى: ﴿ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ (هود ٥٥-٥٦)، وقيل أن تكرار التنجية للدلالة على أن عذاب عاد كان في غاية الفظاعة[١]، وهذا متلائم مع عنادهم وكثرة جدالهم لنبيهم في هذه السورة، ومتلائم كذلك مع بيان قوتهم وشدتهم وأن هذا لم ينجِهِم من عذاب الله، بل وقع عليهم أشد العذاب.

الموضع الثاني:

ذِكر نجاة الناجين في موضعي سورتي الأعراف وهود، بينما وقع الاقتصار على ذِكر هلاك الهالكين في باقي المواضع في سور المؤمنون والشعراء وفصّلت والأحقاف والذّاريات والقمر والحاقة والنجم.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل، حيث فصّل وذكر أمر الناجين في سورتي الأعراف وهود، بينما أجمل الحديث في باقي المواضع بحذف أمر الناجين والاقتصار على ذكر الهالكين ومآلهم.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

ذِكْر نجاة الناجين في سورتي الأعراف وهود كان مناسباً للسابق في كلٍ من السورتين، ففي سورة الأعراف ناسب ذلك ما سبق القصص من ذكر الخبيث والطيب وبيان حالهما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الأعراف ٥٨) فهذا قريبٌ من ذكر حال الناجين وحال الهالكين.

أما في سورة هود فقد ناسب ذلك الطول الذي كان في بناء قصصها والذي كان لتسلية الرسولﷺ، كما ناسب ما فيها من التفويض والتوكل في قول هود؈:

---

[١] ينظر نظم الدرر ٣١٤/٩

﴿ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦ ﴾(هود ٥٥-٥٦) فكان ذلك أدعى للإفاضة في بيان نجاة هذا المتوكّل والذين آمنوا معه.

أما الاقتصار على ذكر هلاك الكافرين في باقي المواضع فذلك راجع في جملته إلى إرادة التهديد لكفار مكة، والتهديد يناسبه ذكر العذاب خاصة في مثل هذه الآيات القصيرة التراكيب القوية الفواصل.

فإن قيل: لِمَ قدم النجاة على الهلاك في موضعي سورتي الأعراف وهود؟

فالجواب ما قاله البقاعي –رحمه الله– من أن تقديم الإنجاء كان للاهتمام به[1]، وقال أبو السعود–رحمه الله– في تفسيره أن ذلك "فيه تنبيه على أن مناط النجاة هو الإيمان بالله وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب".[2]

الموضع الثالث:

ختمت الآية في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢ ﴾، وفي سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ ﴾.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار، حيث نسب عدم الإيمان إلى الضمير في سورة الأعراف، ونسبه إلى أكثر القوم في سورة الشعراء.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

خُتمت الآية في سورة الأعراف بقوله:﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٧٢ ﴾ لمناسبتها لما كان من قولهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ ﴾(الأعراف ٦٦)، فهم لمّا افتتحوا كلامهم بأن نسبوا إليه الكذب كما قال تعالى في الآية نفسها:﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ناسب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا بمثل ذلك

---

[1] ينظر نظم الدرر ٤٤٢/٧

[2] تفسير أبي السعود ٢٤٠/٣

صدقاً بكلام يبيّن أن اتصافهم به هو الموجب لما فُعل بهم، ولذا فإن قوله:﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ تعليلٌ لأخذهم، كما ختم قصة نوحعليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(الأعراف ٦٤) تعليلاً لإغراقهم.[1]

وقيل إن قوله:﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ تعريضٌ بمن آمن منهم، وتنبيهٌ على أن الفارق بين مَن نجا وبين مَن هلك هو الإيمان.[2]

أما قوله تعالى في سورة الشعراء:﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ فلأنه المتبع في جميع قصص السورة، فقد جاءت هذه الجملة في قصص موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

---

[1] ينظر نظم الدرر ٤٤٢/٧،

[2] ينظر تفسير البيضاوي ٣٤/٣

سورة هود

تم التقديم لهذه السورة عند الحديث عن قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع مواضع سورة الأعراف في ستة مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(هود ٥٠)

تشابهت هذه الآية مع أية سورة الأعراف (٦٥)، وآيتي سورة المؤمنون (٣١،٣٢)، وآيتي سورة الشعراء (١٢٣،١٢٤)، وآية سورة الأحقاف (٢١).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(هود ٥٠)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٥)، وآية سورة المؤمنون (٣٢)، وآية سورة الشعراء (١٣٥)، وآية سورة الأحقاف (٢١).[٢]

الثالث: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(هود ٥٣)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٦)، وآية سورة المؤمنون (٣٣)، وآية سورة الشعراء (١٣٦)، وآية سورة الأحقاف (٢٢).[٣]

الرابع: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(هود ٥٣-٥٤)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٦٦)، وآيات سورة المؤمنون (٣٣-٣٨)، وآيات سورة الشعراء(١٣٦-١٣٨)، وآية سورة الأحقاف (٢٢).[٤]

---

[١] ينظر ص٢٣٤

[٢] ينظر ص٢٣٤

[٣] ينظر ص٢٤٥

[٤] ينظر ص٢٤٥

الخـــامس: قال تعالى: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ۝٥٧ ﴾(هود ٥٤-٥٧)

تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة الأعـراف (٦٧-٧١)، وآيـة سـورة المؤمنون (٣٩)، وآية سورة الأحقاف (٢٣).[١]

الســــادس: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٨ ﴾(هود ٥٨)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيـة سـورة المؤمنـون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سـورة فصـلت (١٦)، وآيـة سـورة الأحقاف (٢٥)، وآية سورة الذاريات (٤١)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآية سـورة القمر (١٩)، وآية سورة الحاقة (٦).[٢]

---

[١] ينظر ص٢٥٥

[٢] ينظر ص٢٦٠

أما ما تشابه منها مع ما بعدها فهي:

وحدة واحدة:

قال تعالى:﴿ يَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(هود ٥١-٥٢)

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾(الشعراء ١٢٧-١٣٥)

وتتعلق هذه الوحدة بالزيادات في مقولة هودﷺ لقومه في أول الدعوة.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

التصريح بنفي سؤال المال، والدعوة إلى الاستغفار، وذكر الإجرام في سورة هود، أما في سورة الشعراء فكان التصريح بنفي سؤال الأجر، والتذكير بنعم الله، وذكر المساوئ.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن التصريح بنفي سؤال المال في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ يَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ مناسبٌ للمذكور قبله في قصة نوح‍عليه السلام في نفس السورة، قال تعالى: ﴿ وَيَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَـٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾(هود ٢٩)

أما دعوة هود عليه السلام لقومه بالاستغفار في قوله: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾ فهو مناسبٌ للمذكور في صدر السورة من قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾(هود ٣)، وكذلك ذكر إجرامهم في قوله: ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ مناسبٌ للإجرام السابق ذكره في قصة نوح عليه السلام في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥ ﴾(هود ٣٥)

أما التصريح بنفي سؤال الأجر في سورة الشعراء في قوله: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ ﴾ فهو مناسبٌ للمذكور في السورة كلها في قصص نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وأما التذكير بما أفاض الله على قوم هود عليه السلام من أنعام وبنين وجنات وعيون في قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ ﴾فهو مناسبٌ للمذكور في السورة نفسها في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ ﴾(الشعراء ٥٧-٥٨) ،وأما ذكر مساوئهم في قوله: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ ﴾ فهو مناسبٌ للمذكور في نهاية القصة نفسها بما فيه من تهديد وتخويف في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥ ﴾.

الموضع الثاني:

قوله في سورة هود: ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ ﴾، بينما كان قوله في سورة الشعراء: ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة:﴿ ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ﴾ بجملة:﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن قوله الواقع في سورة هود المقصود به: فطرني وفطركم لأنهم في ذلك أمثال، وإذا كان هو الفاطر لهم فمن الافتراء عليه عبادة غيره؛ لأنه في معنى نفي كونه فاطراً فتناسب مع سابق قوله: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(هود ٥٠) ؛ ولأن الأسلوب شديد الجدال في هذه السورة "عبّر بالموصول دون اسم العلَم لزيادة تحقيق أنه لا يسألهم على الإرشاد أجراً؛ لأنه يعلم أن الذي خلقه يسوق إليه رزقه لأن إظهار المتكلّم عِلمه بالأسباب يُكسب كلامه على المسبّبات قوةً وتحقيقاً".[1]

أما قوله الواقع في سورة الشعراء فهو موافق للمذكور في السورة كلها من ذكره تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فما من قصة وردت في السورة إلا وقد ذُكر فيها ذلك ، ففي قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾(الشعراء ١٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(الشعراء ٢٣)، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(الشعراء ٤٧)، وفي قصة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(الشعراء ٧٧)، وفي قصة نوح عليه السلام قال: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(الشعراء ١٠٩)، وفي قصة هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾(الشعراء ١٢٧)، وفي قصة صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾(الشعراء ١٤٥)، وفي قصة لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(الشعراء ١٦٤)، وفي قصة شعيب عليه السلام قال

---

[1] التحرير والتنوير ٩٥/١٢

تعالى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾(الشعراء ١٨٠)، وقد سبق في قصة نوح عليه السلام بيان الفرق بين التعبيرين المال والأجر والسر في ذلك.[١]

[١] ينظر ص١٦٥ في قصة نوح عليه السلام

سورة المؤمنون

تم التقديم لهذه السورة في قصة نوح عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في سورة الأعراف في خمسة مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾(المؤمنون ٠٣١-٠٣٢)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف (٦٥)، وآية سورة هود (٥٠)، وآيتي سورة الشعراء (١٢٣،١٢٤)، وآية سورة الأحقاف (٢١).[1]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾(المؤمنون ٠٣٢)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٥)، وآية سورة هود (٥٠)، وآية سورة الشعراء(١٣٥)، وآية سورة الأحقاف (٢١).[2]

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾(المؤمنون ٠٣٣-٠٣٨)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف (٦٦)، وآيتي سورة هود (٥٣،٥٤)، وآيات سورة الشعراء (١٣٦-١٣٨)، وآية سورة الأحقاف (٢٢).[3]

---

[1] ينظر ص٢٣٤

[2] ينظر ص٢٣٤

[3] ينظر ص٢٤٥

الرابع: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾(المؤمنون ٠٣٩)

تشابهت هذه الآية مع آيات سورة الأعراف (٦٧-٧١)، وآيات سورة هود (٥٤-٥٧)، وآية سورة الأحقاف (٢٣).[1]

الخامس: قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(المؤمنون ٠٤١)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصلت (١٦)، وآية سورة الأحقاف (٢٥)، وآية سورة الذاريات (٤١)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآية سورة القمر (١٩)، وآية سورة الحاقة (٦).[2]

---

[1] ينظر ص٢٥٥

[2] ينظر ص٢٦٠

أما ما تشابه منها مع ما بعدها فهي:

وحدة واحدة:

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾(المؤمنون ٠٤١)

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(فصلت ٠١٦)

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٤-٠٢٥)

قال تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾(الذاريات ٠٤١-٠٤٢)

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(القمر ٠١٩-٠٢٠)

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾(الحاقة ٠٠٦)

وهذه الآيات تبين الشيء الذي هلك به قوم هود عليه السلام.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

أن الشيء الذي هلك به قوم هود عليه السلام هو الصيحة كما جاء ذلك في سورة المؤمنون، وأنه الريح كما جاء في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا إشكال في هذا الاختلاف فقوم هودعليه السلام أُهلكوا بالصيحة والريح، على معنى أن الصيحة صيحة جبريل عليهم بالعذاب في أثناء هبوب الريح، أو هي صيحة ملك الريح حين يسوقها عليهم[١]، كما جاء عن أبي العباس محمد بن يعقوب[٢]:(ثنا بحر بن نصر [٣] ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عباسرضي الله عنه حدثني عبد الله بن سليمان [٤] عن درّاج [٥] عن أبي الهيثم [٦] عن عيسى بن هلال الصدفي [٧] عن عبد الله بن عمرورضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: "إن الأرضين بين كل أرض إلى التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، فالعُليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاهما في سماء، والحوت على ظهره على صخرة، والصخرة بيد ملك، والثانية مسخّر الريح، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً، قال: يا رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور؟ فقال له الجبار تبارك وتعالى: "إذاً تكفي الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم" وهي التي قال

---

[١] ينظر التفسير الكبير ٨٦/٢٣

[٢] هو: الأصم الإمام المفيد الثقة محدث المشرق أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي مولاهم المعقلي النيسابوري، وكان يكره أن يقال له الأصم، وهو محدث عصره بلا مدافعة، توفي سنة ٣٤٦هـ (ينظر تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٦٠)

[٣] هو: بحر بن نصر بن سابق الخولاني أبو عبد الله المصري مولى بني سعد من خولان، كان ثقةً، صدوقاً، توفي سنة ٢٦٧هـ (ينظر تهذيب الكمال ١٦/٤)

[٤] هو: عبد الله بن سليمان بن زرعة الحميري أبو حمزة المصري الطويل، ذكره بن حبان في الثقات، توفي سنة ١٣٦هـ (ينظر التهذيب ٢١٦/٥)

[٥] هو: درّاج بن سمعان أبو السمح المصري السهمي القاص مولى عبد الله بن عمرو، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: اسمه عبد الرحمن، و درّاج لقب، صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، مات سنة ١٢٦هـ (ينظر التهذيب ٣٦٣/١، والتقريب ٢٠١/١، والكاشف٣٨٣/١)

[٦] هو: سليمان بن عمرو بن عبدة ويقال عبيد الليثي العتواري أبو الهيثم المصري، ذكره بن حبان في الثقات، وقال العجلي تابعي ثقة. (ينظر التهذيب ١٨٦/٤)

[٧] هو: عيسى بن هلال الصدفي المصري، ذكره بن حبان في كتاب الثقات، روى له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي والنسائي (ينظر تهذيب الكمال ٥٣/٢٣)

الله عز وجل في كتابه العزيز:﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الذاريات ٤٠) إلى آخر ما قال عليه الصلاة والسلام".[١]

ويؤيد ذلك أن معنى الصيحة في اللغة هي صوت الريح الشديدة عند هبوبها، أو هي نفس العذاب.[٢]

الموضع الثاني:

وقع الاقتصار على الصيحة والاختصار في ذكر العذاب في سورة المؤمنون دون باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل، حيث أُجمل ذِكر العذاب في سورة المؤمنون دون باقي المواضع.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن هذا الاختصار مناسب لما سبق في نفس السورة من بيان أن القصد الأكبر إلى بيان أنْعم الله في خلقه وهدايته فهذا يناسبه ذكر القليل من العذاب، كما كان الأمر في قصة نوحعليه السلام، ولا يخفى ما في ذكر الغُثاء من المناسبة بالسابق من قصة نوحعليه السلام في السورة نفسها التي كان عماد الأمر فيها الفلك والبحر والماء، والغُثاء هو ما فوق الماء[٣]، والمناسبة باقيةٌ سواء أُريد بالغُثاء الحقيقة على أنهم بعد بعد هلاكهم قذفت بهم الريح إلى البحار كما روي[٤]، أو أُريد به المجاز على معنى أنهم صاروا كالغُثاء لا ذِكر لهم، ولذلك لا تخفى مناسبة قوله تعالى: ﴿ فَبُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ بالسابق في قصة نوحعليه السلام في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿ فَقُلِ

---

[١] ينظر المستدرك على الصحيحين ٦٣٦/٤،يقول الحاكم: هذا حديث تفرد به أبو السمح عن عيسى بن هلال وهو عدل بنص الإمام يحي بن معين رضي الله عنه، والحديث منكر ضعفه الألباني:ينظر ضعيف الترغيب والترهيب ٢٣٤/٢

[٢] ينظر مختار الصحاح ١٥٧/١، والعين ٢٧٠/٣، ولسان العرب ٥٢١/٢

[٣] ينظر لسان العرب ١١٦/١٥

[٤] ينظر التفسير الكبير ٩٣/٣٠

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٧)

الموضع الثالث:

المواضع التي ذُكر فيها أن هلاك قوم هود عليه السلام كان بالريح اختلفت فيها هذه الريح ففي سورتي فصلت والقمر: ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾، وفي سورة الأحقاف: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾، وفي سورة الذاريات: ﴿ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾، وفي سورة الحاقة: ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال وصف بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذا الاختلاف في وصف الريح هو من التنوع الجاري على أحسن المناسبات، وهو اختلاف على سبيل تعدّد أوصاف الشيء الواحد الذي جاءت بعض أوصافه في موضع والبعض الآخر في الموضع الآخر، كما أنّه اختلاف يتناسب مع آيات كل موضع، فقد جاء ذكر الريح الصرصر في سورة فصلت لمناسبتها لما سبقها من قول كفار مكة: ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (فصلت ٥)، ولمناسبتها للصاعقة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ (فصلت ١٣)

والصّاعقة والصّيحة والصرصر والوقر جميعها بمعنىً واحد، فالصاعقة تعني صيحة العذاب[١]، وقد يراد بها الصوت الشديد[٢]، أما الصّيحة فتعني العذاب[٣]،

---

[١] ينظر لسان العرب ١٠/١٩٨

[٢] ينظر معجم مقاييس اللغة ٣/٢٨٥

[٣] ينظر مختار الصحاح ١/١٥٧، والعين ٣/٢٧٠

وقيل هي صوت كل شيء إذا اشتد[1]، والصرصر هي الريح الباردة الشديدة الصوت[2]، أو هي الصوت المدوّي[3]، وأخيراً الوقر وهو ثقل وحمل في الأذن يُذهب يُذهب بالسمع[4]، وكذلك ورد وصف الريح بالصرصر لمناسبتها لما ورد في أواخر السورة نفسها: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾(فصلت ٤٤) ، وما أحسن المناسبة بين ما وردت حكايته في هذه السورة من قولهم: ﴿ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾(فصلت ١٥)، وقوله تعالى: ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(فصلت ١٦)، فالثانية في مقابلة الأولى.

أما ذكر الريح الصرصر في سورة القمر فهو مناسب لذكر الصيحة في نفس السورة في قصة ثمود في قوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾(القمر ٣١) لتعلّق الجميع بالآذان.

وفي سورة الأحقاف جاء ذكر الريح التي فيها العذاب الأليم وذلك مناسب للمذكور في السورة نفسها من العذاب في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(الأحقاف ٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾(الأحقاف ٣٤)، وبيان أن الريح تدمر كل شيء بأمر ربها مناسب للمذكور في السورة من هلاك القرى وتدميرها في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(الأحقاف ٢٧)

أما وصف الريح بالعقيم في سورة الذاريات فهو مناسب لذكر هذا الوصف في السورة نفسها في وصف زوجة إبراهيم عليه السلام العجوز بالعقيم، في قوله تعالى: ﴿

---

[1] ينظر لسان العرب ٥٢١/٢

[2] ينظر مختار الصحاح ١٥١/١، ولسان العرب ٤٥٠/٤

[3] ينظر تاج العروس ٣٠٣/١٢

[4] ينظر مختار الصحاح ٣٠٤/١، ولسان العرب٢٨٩/٥، وتاج العروس ٣٧٤/١٤، والعين ٢٠٦/٥

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الذاريات ٢٩)، والعقيم من النساء هي التي لا تلد، فالعقيم هو الذي لا ينفع ولا يورد خيراً[1]، وقيل: وُصفت الريح بالعُقم هنا لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، أو لأنها لم تتضمن خيراً من إنشاء مطر أو إلقاح شجر[2]، وقيل: هي النّكباء وهي كل ريحٍ هبت بين ريحين لتنكبها وتحرفها عن مسارها المعروف، وقيل: هي الجنوب وهي التي تهب من جهة الجنوب، وقيل: هي الدبور وهي التي تهب من جهة المغرب [3]، وهذا أصح لحديث: "نُصرت بالصّبا وأُهلكت عادٌ بالدبور."[4]

وأخيراً جاء وصف الريح بالصرصر في سورة الحاقة لمناسبتها للقارعة المذكورة في نفس السورة من حيث تعلّق الجميع بالآذان، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾(الحاقة ٤)

الموضع الرابع:

تعريف الريح في سورة الذاريات في قوله: ﴿ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾ ،وتنكيرها في باقي المواضع: ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾و ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

نوعه: تشابه بالتعريف والتنكير.

---

[1] ينظر لسان العرب ٤١٣،٤١٢/١٢

[2] ينظر تفسير أبي السعود ١٤٢/٨، وحاشية الجمل ٢٠٦/٤، ولسان العرب ٤١٣/١٢، والعين ١٨٥/١

[3] ينظر تفسير أبي السعود ١٤٢/٨، وحاشية الجمل ٢٠٧/٤، وحاشية الشيخ زاده ٣٩٦/٤

[4] ينظر صحيح البخاري ٣٥٠/١ كتاب الاستسقاء، باب قول النبي نصرت بالصبا، حديث رقم (٩٨٨) ،وكتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ حديث رقم (٣٠٣٣)، ١١٧٢/٣، وكتاب الأنبياء باب قول الله:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ حديث رقم (٣١٦٥) ١٢١٩/٣، وباب غزوة الخندق حديث رقم (٣٨٧٩) ١٥٠٧/٤
وينظر صحيح مسلم كتاب صلاة الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور حديث رقم (٩٠٠) ٦١٧/٢

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن عُقم الريح أمرٌ كثير المشاهدة للناس ومعروف لديهم لا يكاد يكون خارقاً للعادة؛ لأن العقيم هي التي لا تسوق المطر، والتعريف بـــالمعروف أولـــى، لهـــذا أُتبعت بما هو المناط في العبرة فيهـــا فقيـــل:﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾.

وأما الريح الصرصر وهي الشديدة العاتية التي يكون لجريها صوت شـــديد وصرصرة فلا عهد للناس بها فناسب التنكير لغرابتها ونوعيتها، ومثلها في ذلك: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾.[١]

إضافة إلى مراعاة الفواصل في الجميع مع وفرة الحسن في المعنى واللفظ.

---

[١] ينظر التفسير الكبير ١٩٠/٢٨، ٤٠/٢٩

سورة الشعراء

تم التقديم لها في الحديث عن قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في ثلاثة مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾(الشعراء ١٢٣-١٣٥)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف (٦٥)، وآيات سورة هود (٥٠-٥٢)، وآيتي سورة المؤمنون (٣١،٣٢)، وآية سورة الأحقاف (٢١).[١]

الثـــاني: قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(الشعراء ١٣٦-١٣٨)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعـــراف (٦٦)، وآيتـــي ســـورة هـــود (٥٣،٥٤)، وآيات سورة المؤمنون (٣٣-٣٨)، وآية سورة الأحقاف (٢٢).[٢]

الثالث: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾(الشـعراء ١٣٩)، تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة فصلت (١٦)، وآيتي ســـورة

---

[١] ينظر ص٢٣٤

[٢] ينظر ص٢٤٥

الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآية سورة الـــنجم (٥٠)، وآيتي سورة القمر (١٩،٢٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[١]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

---

[١] ينظر ص٢٦٠

سورة فصلت

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية عظيمة آياتها أربع وخمسون[١]، قال النحاس-رحمه الله- في كتابه الناسخ والمنسوخ:"حدثنا أبو جعفر قال حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أنهن نزلن بمكة"[٢]، نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الزخرف[٣].

وقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن جابر رضي الله عنه:" أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك".[٤]

موضوعات السورة:

هي كسائر السور المكية تناولت جوانب العقيدة الإسلامية من وحدانيةٍ ورسالةٍ وبعثٍ وجزاء.

وابتدأت السورة بالحديث عن القرآن الكريم المنزّل على الرسول ﷺ بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة، فهو المعجزة الخالدة للرسول ﷺ، وأشارت إلى عجز الكفار عن معارضته، وتحدثت عن الوحي والرسالة فقررت حقيقة الرسول ﷺ، وأنه بشر خصّه الله بالوحي، وأكرمه بالنبوة، واختاره من بين سائر الخلق داعياً إلى الله.

ثم انتقلت السورة للحديث عن مشهد الخلق الأول للحياة، خلق السماوات والأرض بذلك الشكل الدقيق المُحكَم الذي يلفت أنظار المعرضين عن آيات الله للنظر والتفكر والتدبر، ولكن ظلمات الكفر هي التي تحول بينهم وبين الإيمان فالكون كله ناطق بعظمة الله شاهد بوحدانيته جل وعلا، وتناولت السورة إبراز عظمة الله في خلقه للآيات الكونية المعروضة للأنظار في هذا الكون الفسيح.

---

[١] ينظر البيان في عد آي القرآن ٢٢٠/١، والناسخ والمنسوخ للمقري ١٥٣/١

[٢] الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦٤٩/١

[٣] ينظر التحرير والتنوير ٢٢٨/٢٤

[٤] شعب الإيمان ٤٧٨/٢، وينظر المستدرك على الصحيحين ٤٤٦/٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعرضت السورة للتذكير والإنذار بمصارع المكذبين، وضربت على ذلك الأمثلة بأقوى الأمم وأعتاها، قوم عاد الذين بلغ من جبروتهم أن يقولوا: ﴿ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ﴾(فصلت ١٥) ، وذكرت ما حلّ بهم من الدمار الشامل حين تمادوا في الطغيان وكذبوا رسل الله، وبعد ذلك تحدثت السورة عن المؤمنين المتقين الذين استقاموا على شريعة الله ودينه فأكرمهم الله بالأمن والأمان في دار الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء.

وختمت السورة بوعد الله للبشر بأن يطلعهم على بعض أسرار هذا الكون في آخر الزمان.

سبب تسميتها بسورة فصلت:

سميت السورة بهذا الاسم لأن الله فصل فيها الآيات، وأوضح فيها الدلائل على قدرته وعظمته، ولأنها أقامت البراهين الساطعة على وجوده سبحانه وتعالى.[1]

كما تسمى سورة المصابيح لقوله تعالى فيها:﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ (فصلت ١٢)[2]، وتسمى سورة الأقوات لقوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا ﴾(فصلت ١٠)[3]، وتسمى أيضاً "حم السجدة" وبذلك تُرجمت في صحيح البخاري وجامع الترمذي[4]؛ لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف (حم) بأن فيها سجدة من سجدات القرآن.[5]

---

[1] ينظر الإعجاز البلاغي في القرآن لمحمد سلامة ص٢٨٦

[2] ينظر الناسخ والمنسوخ للكرمي ١٧٩/١، وينظر التحرير والتنوير ٢٢٧/٢٤

[3] ينظر التحرير والتنوير ٢٢٧/٢٤

[4] ينظر صحيح البخاري باب تفسير حم السجدة ٤ /١٨١٥، وجامع الترمذي باب ومن سورة حم السجدة ٣٧٥/٥

[5] ينظر التحرير والتنوير ٢٢٧/٢٤

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦ ﴾(فصلت ١٦)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآيتي سورة الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآيتي سورة القمر (١٩،٢٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[١]

---

[١] ينظر ص٢٦٠

أما ما تشابه منها مع ما بعدها فهي:

وحدة واحدة:

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(فصلت ٠١٦)

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾(القمر ٠١٩)

قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾(الحاقة ٠٠٧)

موضع التشابه:

اختلف عدد الأيام التي هلك فيها قوم هود عليه السلام ووصفها في المواضع الثلاثة السابقة، ففي سورة فصلت:﴿ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾، وفي سورة القمر:﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾، وفي سورة الحاقة:﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ .

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول من التشابه: الإجمال في سورتي فصلت والقمر في بيان عدد أيام الهلاك، بينما ورد التفصيل في بيان عددها في سورة الحاقة.

النوع الثاني من التشابه: إبدال الوصف في كل موضع من المواضع السابقة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا تناقض في هذا الاختلاف وهذا التفصيل والإجمال، بل المعنى واحد في الجميع لكن الحكاية وقعت متعددة في سور متعددة وتراكيب متنوعة لئلا يكون تكراراً بلا فائدة، فالواقع في سورة فصلت:﴿ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ إجمالٌ ورد تفصيله في سورة الحاقة، وهو موافق لما فاضت به السورة في أولها من ذكر الأيام واليومين في تخليق الله السماوات والأرض: قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ

ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾(فصلت ٩-١٢)

فالكل دالٌ على حكمة البارئ سبحانه واختياره في فعله، وجعْله لكل شيءٍ حداً ووقتاً وميعاداً، قال الثعلبي-رحمه الله- [١]: نحسات أي باردات، وقيل متتابعات.[٢]

أما الواقع في سورة القمر:﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ فهذا اليوم يُراد به ما هو أكثر من اليوم الواحد؛ لأن اليوم قد يعبّر به عن الأيام كقول العرب: يوم بعاث أو يوم الحرة، وقد يراد بهذا اليومِ اليومُ الأول من مجيء العذاب كقولهم: كانت آخر أربعاً في الشهر، وسواءٌ أُريد باليوم هذا المعنى أو ذاك فإنه لا يتنافى مع الأيام المذكورة في موضعي سورتي فصلت والحاقة، ويؤكد على ذلك وصْف اليوم بأنه يوم نحسٍ مستمر فهذا الوصف يعطي معنى الاستمرار والتطاول.[٣]

كما أن قوله:﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ مناسبٌ للمذكور في أول السورة من قول الكافرين في يوم القيامة: ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾(القمر ٨)

والواقع في سورة الحاقة:﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ تفصيلٌ لما ورد في سورة فصلت، ومناسبٌ لذكر السبع والثمانية في السورة نفسها، أما السبع ففي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾(الحاقة ٣٠)، وأما الثمانية

[١] هو: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الثعلبي النيسابوري، صاحب التفسير المشهور، كان أوحد زمانه في علم القرآن، عالماً بارعاً في العربية، حافظاً موثقاً، أخذ عنه الواحدي، مات سنة ٤٢٧هـ، وله كتاب ربيع المذكرين.(ينظر طبقات المفسرين ٢٩/١).

[٢] ينظر تفسير الثعلبي ٢٨٩/٨

[٣] ينظر كشف المعاني ص٣٢٧،

ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحاقة ١٧)

وقيل: أن السورة لمّا كانت لتحقيق الأمور وكشف المشكل وإيضاح الخفي حُقّق فيها زمن عذابهم تحقيقاً لم يتقدم مثله، فذكر الأيام والليالي، وقدم الليالي لأن المصائب فيها تكون أفظع وأشنع لقلة المغيث، والجهل بالمأخذ، والخفاء في المقاصد؛ ولأن عددها مذكّر في اللفظ، وتذكير اللفظ أدلّ على قوة المعنى، ولذلك جعل المميز جمع كثرة؛ ولأنها سبع والسبع مبالغٌ فيه وهو أجمع العدد.[1]

أما ما ورد في سورتي فصلت والقمر من وصف اليوم والأيام بالنحس؛ فلأنها أيامٌ لم يحدث فيها إلا السوء لهم من إصابتهم بالآلام المفضية إلى الموت، ومشاهدة الأموات من ذويهم، وموت أنعامهم، واقتلاع نخيلهم[2]، وقد وقع نظيره في سورة الحاقة في لفظ الحسوم الذي كان مناسباً لذكر الليالي السبع في نفس السورة؛ لأن المصائب في الليالي تكون أفظع كما بينّا.[3]

ولا يخفى مع ذلك كله ما في كل موضع من رعاية الفواصل فإنّ حُسن الكلام كما يكون من جهة المعنى يكون كذلك من جهة اللفظ للتراكيب والعبارات.

---

[1] ينظر نظم الدرر ٣٤٤/٢٠

[2] ينظر التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٤

[3] ينظر التفسير الكبير ٤٢/٢٩، ٩٢/٣٠،

سورة الأحقاف

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة عظيمة آياتها خمس وثلاثون[١]، نزلت بعد سورة الجاثيــة، وهــي سورة مكية.

موضوعات السورة:

تناولت نفس أهداف وموضوعات السور المكية، فمحورهــا يــدور حــول الرسالة والرسول لإثبات صحة رسالته ﷺ وصدق القرآن الكريم، وقد تحــدثت أولاً عن القرآن، ثم تناولت الأوثان التي عبدها المشركون وزعموا أنها آلهــة مــع الله تشفع لهم عنده فبيّنت ضلالهم وخطأهم.

ثم تناولت نموذجين من نماذج البشرية في هدايتها وضلالها، فذكرت نموذج الولد الصالح المستقيم بفطرته البار بوالديه، ونموذج الولد الشقي المنحــرف عــن الفطرة العاقّ لوالديه.

ثم تحدثت عن قصة هود عليه السلام مع قومه الطاغين الذين اغترّوا بما كانوا عليه من القوة والجبروت، وما كان من نتيجتهم حيث أهلكهم الله بالريح العظــيم، وقــد سيقت هذه القصة مساق الموعظة للمشركين المكذبين بالقرآن كما أخبر الله عــنهم من أول هذه السورة في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾(الأحقاف ٣) مع ما أعقبت به من الحجج والبراهين المتقدمة من قولــه تعــالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (الأحقاف ٤) الذي يقابله قول هود عليه السلام:﴿ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ (الأحقاف ٢١) ذلك كله بالموعظة بحال هود عليه السلام مع قومه.

وسيقت القصة أيضاً مساق الحجة على رسالة محمد ﷺ وعلى عنــاد قومــه بذكْر مثالٍ لحالهم مع رسولهم بحال عادٍ مع رسولهم، وسيقت أيضاً مساق التسلية للرسول ﷺ على ما تلقّاه به قومه من العناد والبهتان، لتكون موعظةً وتســليةً معــاً يأخذ كل منها ما يليق به.

---

[١] ينظر البيان في عد آي القرآن ٢٢٧/١، والناسخ والمنسوخ للمقري ١٦٠/١

وقد اقتصرت السورة على ذكر قصة هود عليه السلام مع قومه؛ لأنهم أول الأمم العربية الذين جاءهم رسول بعد رسالة نوح عليه السلام العامة، ثم جاءت إشارة إجمالية بعد الانتهاء من ذِكرهم إلى أمم أخرى من العرب كذبوا الرسل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(الأحقاف ٢٧) [1]

وقيل أن سبب ذكر قصة عادٍ دون غيرهم لأنها أقعد ما يهدَّد به المشركون وأنسبها لمقصود السورة لكون عاد أقوى الناس أبداناً، وأعتاهم رقاباً، وأشدهم قلوباً، وأوسعهم ملكاً، وأعظمهم استكباراً، بحيث كانوا يقولون:﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾(فصلت ١٥) ولكون بلادهم في بلاد العرب قريباً من قريش ومعرفتهم بأخبارهم ورؤيتهم لديارهم.[2]

وختمت السورة بقصة النفر من الجن الذين استمعوا إلى القرآن وآمنوا به ثم رجعوا منذرِين إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان، تذكيراً للمعاندين من الإنس بسبق الجن لهم إلى الإسلام.

سبب تسميتها بسورة الأحقاف:

سميت بسورة الأحقاف لأنها مساكن عاد الذين أهلكهم الله بسبب طغيانهم وجبروتهم وكانت مساكنهم بالأحقاف من أرض اليمن.[3]

وقيل: سميت السورة بذلك لورود لفظ الأحقاف فيها وعدم وروده في غيرها.[4]

وقد تشابهت هذه السورة مع ما سبقها في أربعة مواضع، مرتبة حسب ورودها في الدراسة التطبيقية كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾(الأحقاف ٢١)

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ٤٤/٢٦

[2] ينظر نظم الدرر ١٦١/١٨

[3] ينظر الإعجاز البلاغي في القرآن لمحمد سلامة ص٤٦

[4] ينظر التحرير والتنوير ٢٦/ (الطبعة الجديدة)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف (٦٥)، وآيات سورة هــود (٥٠-٥٢)، وآيتي سورة المؤمنون (٣١،٣٢)، وآيات سورة الشعراء (١٢٣-١٣٥).[١]

الثـــــاني: قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٢)

تشابهت هذه الآية مع آية ســورة الأعــراف (٦٦)، وآيتـــي ســورة هــود (٥٣،٥٤)، وآيات سورة المؤمنون (٣٣-٣٨)، وآيات ســورة الشــعراء (١٣٦-١٣٨).[٢]

الثالـــث: قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٣)

تشابهت هذه الآية مع آيات سورة الأعراف (٦٧-٧١)، وآيات سورة هــود (٥٤-٥٧)، وآية سورة المؤمنون (٣٩).[٣]

الرابـــع: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضًا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الأحقاف ٠٢٤-٠٢٥)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآيـــة سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصـــلت (١٦)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآيتي ســورة القمـــر (١٩،٢٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[٤]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

---

[١] ينظر ص٢٣٤

[٢] ينظر ص٢٤٥

[٣] ينظر ص٢٥٥

[٤] ينظر ص٢٦٠

سورة الذاريات

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾(الذاريات ٤١-٤٢)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصلت (١٦) ، وآيتي سورة الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآيتي سورة القمر (١٩،٢٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[1]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

---

[1] ينظر ص٢٦٠

سورة النجم

تم التقديم لها في قصة نوح عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وتشابهت مع ما سبقها في موضع واحد وهو:

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝ ﴾(النجم ٥٠)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصلت (١٦)، وآيتي سورة الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآيتي سورة القمر (١٩،٢٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[١]

وقد سبق بحث هذه الآية المتشابهة في موضعها.

فائدة:

وُصفت عاد بالأولى على اعتبار أن عادا اسماً للقبيلة كما هو ظاهر، ومعنى كونها أولى لأنها أول العرب ذكراً، وهم أول العرب البائدة، وهم أول أمةٍ أُهلكت بعد قوم نوحٍ عليه السلام، أما القول بأن عاداً هذه لما هلكت خلفتها أمة أخرى تعرف بعاد إرم أو عادٍ الثانية كانت في زمن العماليق فليس بصحيح.

ويجوز أن يكون الأولى وصفاً كاشفاً أي عاداً السابقة، وقيل: الأولى صفة عظمة أي الأولى في مراتب الأمم قوةً وسِعة.

وإنما قدم ذكر عاد وثمود على ذكر قوم نوح عليه السلام مع أن هؤلاء أسبق؛ لأن عاداً وثمود أشهر في العرب، وأكثرُ ذكراً بينهم ، كما أن ديارهم تقع في بلاد العرب.[٢]

---

[١] ينظر ص٢٦٠

[٢] التحرير والتنوير ١٥١/٢٧(الطبعة الجديدة).

سورة القمر

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضع واحد هو:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ ﴾(القمر ١٩-٢٠)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصلت (١٦)، وآيتي سورة الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآيات سورة الحاقة (٦-٨).[1]

---

[1] ينظر ص٢٦٠

أما ما تشابه منها مع ما بعدها فهي:

وحدة واحدة:

قال تعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(القمر ٠٢٠)

قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾(الحاقة ٠٠٧)

موضع التشابه:

اختلاف وصف عاد عند هلاكهم فتارة في سورة القمر: ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾، وتارة في سورة الحاقة: ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ .

نوعه: تشابه بالتذكير والتأنيث، حيث ذكّر كلمة النخل حين وصفها بقوله: ﴿ مُّنقَعِرٍ ﴾، وأنّثها حين وصفها بقوله: ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال أبو عبيدة –رحمه الله–: "النخل يذكر ويؤنث"[١]؛ لأنه اسم جنس، وقد ذكر علماء العربية أن كل اسم جنس تدخل التاء في واحده فرقاً بينه وبين الجمع نحو نخل ونخلة فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث[٢]، فيذكّر مراعاة للفظه ويؤنث مراعاة لمعناه.[٣]

---

[١] ينظر مجاز القرآن ٢/٨٨

[٢] ينظر الأصول في النحو ٢/٤١٣، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ١/٨٥

[٣] ينظر الكشاف ٣/١٨٤،والبحر المحيط ٨/١٧٩،وروح المعاني ٢/٨٧،وتفسير أبي السعود ٨/١٧١، وفتح الرحمن ص٥٤٣

قال القرطبي –رحمه الله–:"قال أبو بكر بن الأنباري [١] سُئل المبرد [٢] بحضرة إسماعيل القاضي [٣] عن ألف مسألة من جملتها قيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾(الأنبياء ٨١)، وقوله: ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾(يونس ٢٢)) ، وبين قوله: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(القمر ٢٠)، وقوله: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾(الحاقة ٧) ؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً أو إلى المعنى تأنيثاً."[٤]

وقد جاء القرآن هنا باللغتين بالتذكير في قوله:﴿ مُّنقَعِرٍ ﴾، وبالتأنيث في قوله:﴿ خَاوِيَةٍ ﴾، قال ابن عاشور–رحمه الله–:" وصف النخل بأنها خاوية باعتبار إطلاق اسم النخل على مكانه بتأويل الجنة أو الحديقة ففيه استخدام، والمعنى: خالية من الناس، وهذا الوصف لتشويه المشبّه به بتشويه مكانه ولا أثر له في المشابهة، وأحسنه ما كان فيه مناسبةٌ للغرض من التشبيه كما في هاتين الآيتين: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾و﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ فإن لهذا الوصف

---

[١] هو: أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي، صاحب التصانيف في النحو والأدب، كان علامة وقته في الأدب، وكان صدوقاً، ديناً، ثقةً، حبراً من أهل السنة، صنّف كثيراً في علوم القرآن، وغريب الحديث، ومشكل الحديث، وغيرها، وله إعراب القرآن المسمى بالبيان، ولد سنة ٢٧١هـ وتوفي سنة ٣٢٨هـ (ينظر طبقات المفسرين للداودي ٦٦/١)

[٢] هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن ثمالة الأزدي البصري أبو العباس، المعروف بالمبرد، الأديب النحوي اللغوي الفقيه، ولد سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٢٨٥هـ، صنف كثيراً من الكتب منها:أدب الجليس، واحتجاج القراء، وإعراب القرآن، والرد على سيبويه، والبلاغة، والتصريف، والتعازي، والمذكر والمؤنث، والحروف في معاني القرآن.(ينظر هدية العارفين أسماء المؤلفين ٢١/٦).

[٣] هو: أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق القاضي شيخ الإسلام بن محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي البصري البغدادي، شيخ المالكية بالعراق، صنف المسند، وحديث مالك، وحديث أيوب، وكتاب في الرد على محمد بن الحسن، وله شرح على موطأ مالك،وله أحكام القرآن، ومعاني القرآن وغير ذلك، توفي سنة ٢٨٢هـ(ينظر طبقات الحفاظ ٢٧٩/١)

[٤] ينظر تفسير القرطبي ١٣٧/١٧،

وقعاً في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها."[١]

ولا خلاف بين المعنيين فالانقعار معناه الانقلاع[٢]، والخواء معناه الخلاء[٣]، فقد خلت أجوافهم وخوت كجذوع النخل القديم، لِما روي أن الريح كانت تخترق أجسامهم فتلقي كل ما فيها، وهذا كله بالنظر إليهم بعد قلْعهم وصرْعهم على الأرض، وحالة الانقعار قبل حالة الخواء، فالحالة الأولى مع تذكير اللفظ جاءت في الآية من السورة الأولى وهي سورة القمر التي كان اسمها مذكّراً، والحالة الثانية مع تأنيث اللفظ جاءت في الآية من السورة الثانية وهي سورة الحاقة التي كان اسمها مؤنثاً، فوقع التذكير في المذكّر والتأنيث في المؤنث، وكله يصور النزع قبل الصرع، والمراد بالأعجاز الجذوع والأصول[٤]؛ لأنهم كانوا طوال الأجسام، وقوله تعالى:﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاس ﴾ أي: تصرعهم حتى يصير التشبيه لهم بعد صرعهم في كلتا الصورتين.

والعرب قد تؤنث للكثرة وتذكّر للقلة[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يوسف ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾(الحجرات ١٤)، فذكّر (قال) لأن النسوة قِلّة، وأنّث (قالت) لأن الأعراب كثرة.

وقد تؤنث العرب للمبالغة نحو: راوية وداهية[٦]، والنخل في آية سورة الحاقة الحاقة أكثر منه في آية سورة القمر يدل على ذلك السياق، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ

---

[١] التحرير والتنوير ١٨٦/٢٧، ١١٩/٢٩

[٢] ينظر لسان العرب ١٠٩/٥

[٣] ينظر تاج العروس ٢٣/٣٨

[٤] ينظر مختار الصحاح ١٧٤/١

[٥] ينظر الجمل في النحو ٢٨٥/١، وهمع الهوامع ٧٥/٣

[٦] ينظر همع الهوامع ٣٣٠/٣

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(القمر ١٨-٢٠) ، وقال: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾(الحاقة ٦-٨)

ويتضح من السياق ما يلي:

١-أنه قال في سورة القمر:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾، وفي سورة الحاقة:﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾، فزاد في وصف الريح في سورة الحاقة فقال:﴿ عَاتِيَةٍ ﴾، فهي أشدّ مما في سورة القمر، وإن كانت كذلك كان تدميرها أكبر وأبلغ واقتلاعها أكثر.

٢-قال في سورة القمر:﴿ فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ وفي سورة الحاقة:﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ فذكر في سورة القمر أنه أرسلها عليهم في يوم، وذكر في سورة الحاقة أنه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فزاد في وقت التدمير والعذاب، ولا شك أن طول المدة يقتضي تدميراً أكثر وأبلغ، فالريح تقتلع وتدمر في سبع ليال وثمانية أيام أكثر مما تفعله في يوم واحد، فزاد في النخل المقتلع في سورة الحاقة.

٣-ولمّا زادت الريح عتواً وأمداً في سورة الحاقة ذكر أنها استأصلتهم كلهم فلم تبق منهم أحداً، فقال: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ ولم يقل مثل ذلك في سورة القمر.

٤-أن النخل المنقعر معناه المنخلع عن مفارسه الساقط على الأرض، ومعنى خاوية: خرِبة، وقيل: خلت أعجازها بلىً وفساداً، وقيل: الخاوية معناها معنى المنقلع، وقيل لها إذا انقلعت خاوية لأنها خوت من منبتها التي كانت تنبت فيه وخوى منبتها منه[١]، فالنخل الخاوية تشمل النخل المنقعر وزيادة، فكل نخل منقعر هو خاوٍ وليس كل خاوٍ منقعراً، فأنّث الخاوية لأنه أكثر من

[١] ينظر لسان العرب ١٠٩/٥، وتاج العروس ٢٣/٣٨

المنقعر، ولأن دماره أبلغ، وجعلها في سياق الدمار الشـــامل، ومـــن هـــذا يتبين:

أ) أن الخاوي أكثر من المنقعر.

ب) أنّث الخاوي فقال: خاوية، فزاد كثرةً ومبالغةً؛ لأن التأنيث قد يأتي للكثرة والمبالغة.

ت) وضع النخل الكثير المدمر مع الريح المتصفة بزيادة التدمير وهي صـــفة العتو: ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾.

ث) ووضعه أيضا مع زيادة وقت التدمير وهو سبع ليال وثمانية أيام بخـــلاف ما دُمّر في يوم واحد.

ج) ووضعه مع استئصال القوم فلم ينج منهم أحد.[١]

وقيل: أن وجه الوصف بمنقعر هو الإشارة إلى أن الريح صرعتهم صـــرعاً تفلّقت منه بطونهم، وتطايرت أمعاؤهم وأفئدتهم، فصاروا جثثاً فارغة، وهذا تفظيعاً لحالهم ومُثلةً لهم لتخويف من يراهم.[٢]

وقيل: أن التذكير والتأنيث كان إضافةً لما سبق فهو لرعاية الفواصل في كل موضع.[٣]

---

[١] ينظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص٩٤-٩٦

[٢] ينظر التحرير والتنوير ١٨٦/٢٧(الطبعة الجديدة)

[٣] ينظر الكشاف ١٨٤/٣،والبحر المحيط ١٧٩/٨،وروح المعاني ٨٧/٢،وفتح الرحمن ص٥٤٣، والـــروض الريان ٤٥٥/٢

سورة الحاقة

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في موضع واحد هو:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾(الحاقة ٠٠٦-٠٠٨)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف (٧٢)، وآيات سورة هود (٥٨-٦٠)، وآية سورة المؤمنون (٤١)، وآية سورة الشعراء (١٣٩)، وآية سورة فصلت (١٦)، وآيتي سورة الأحقاف (٢٤،٢٥)، وآيتي سورة الذاريات (٤١،٤٢)، وآية سورة النجم (٥٠)، وآيتي سورة القمر (١٩،٢٠).[١]

وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهة في موضعها.

---

[١] ينظر ص٢٦٠

القصة الثالثة

قصة صالح عليه السلام

قصة صالح عليه السلام

هذه القصة وردت في كتاب الله تعالى في السور التالية:

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٧٣) وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٧٩) ﴾

(الأعراف ٠٧٣-٠٧٩)

سورة هود: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ (٦١) قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ (٦٢) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ (٦٣) وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ

خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾

(هود ٠٦١-٠٦٨)

سـورة الحجـر: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٠-٠٨٤)

سـورة الإسـراء: قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء ٠٥٩)

سورة الشعراء: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

(الشعراء ١٤١-١٥٨)

سورة النمل: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا

يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٠٤٥-٠٥٣)

ســـورة فصـــلت: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧-٠١٨)

سورة الـــذاريات: قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾

(الذاريات ٠٤٣-٠٤٥)

سورة النجم: قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾

(النجم ٠٥١)

سورة القمـــر: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ ﴾

(القمر ٠٢٣-٠٣٢)

سورة الحاقة: قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾

(الحاقة ٠٠٥)

سورة الشمس: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

(الشمس ٠١١-٠١٥)

وبذلك تكون آيات هذه القصة في سورها المتعددة زهاء ثمانين آية فيها الطويل والقصير، وبوجه إجمالي كلما كانت الآيات في الربع الأخير من القرآن أو قريبةً منه كانت أكثر ميلاً إلى القِصر في حجمها، والقوة في فواصلها، والحديث عن أواخر الدعوة، وهلاك المعاندين، وكلما كانت في الربع الثاني من القرآن أو قريبةً منه كانت أكثر ميلاً إلى الطول في حجمها، والتحدث عن أوائل الدعوة، وشرح الرسالة، وذلك في غاية الجودة لما فيه من وضع الأول في الأول والثاني في الثاني، وتناسب الآيات مع ما هي فيه من السورة طولاً وقصراً، وتناسب الفواصل القوية بالحديث عن الهلاك ونزوله، فيكون لها في نفس السامع تأثيرٌ وتخويفٌ بجرسها الصوتي، بجوار تأثيرها وتخويفها بما فيها من المعاني.

وفيما يلي نبدأ بحصر الآيات المتشابهات في وحدات من كل سورة مرتبة حسب ورودها في المصحف.

سورة الأعراف

هي أول سورة وردت فيها قصة صالح عليه السلام حسب ترتيب المصحف، وقد تم التقديم لها عند الحديث عن قصة نوح عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت قصة صالح عليه السلام في هذه السورة مع ما بعدها من السور في عدة وحدات وهي مرتبة كما يلي:

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٣-٠٧٤)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

(هود ٠٦١)

قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٢)

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء ٠٥٩)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا

عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

(الشعراء ١٤١-١٥٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(النمل ٠٤٥-٠٤٦)

قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

(الذاريات ٠٤٣)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾

(القمر ٠٢٣)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾

(الشمس ٠١١-٠١٣)

وهذه الوحدة تتعلق بحكاية أقوال صالح عليه السلام لقومه ودعوته لهم إلى الله.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

اختلاف الأساليب والعبارات في بداية القصة في مواضع سور الأعراف وهود والشعراء والنمل والذاريات، وكذلك في طريقة الأمر بالعبادة والتقوى.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملٍ بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا شك بأن كل حكاية في موضعها جاءت على أحكم وضع وأدق مناسبة، ففي كلٍ من سور الأعراف وهود والشعراء جاء بدء القصة بالطريقة السابقة في

القصة السابقة عليها، كذلك طريقة الأمر بالعبادة، وذِكْر أنهم ما لهم من إله غير الله، والأمر بالتقوى والطاعة، وبيان الأمانة في الرسالة، ونفي سؤال الأجر، وهذا من مقاصد القرآن حيث يضع المتناسبات متجاورة، ويعطي سمات وخصائص بتجاورها جرياً على المألوف من عادة من نزل القرآن بلغتهم من رعايتهم حق الجوار.

أما سورة النمل فقد بُدئت القصة فيها بنحو ما بُدئت به القصة السابقة عليها وهي قصة هود عليه السلام، فقيل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (النمل ٤٥) هكذا بطيّ قوله تعالى:﴿ يَٰقَوْمِ ﴾ .

وقوله:﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ الواردين في سورتي الأعراف وهود فإنه إضافة إلى ما سبق له من نوع بيانٍ في المرحلة الأولى من قصة هود عليه السلام[1]، كان لما هو مذكور بعده من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (النمل ٤٥)، فهذه مفاجأة تقتضي الإسراع والتقريب بين الأول والثاني بطرح ما طُرح من رعاية العلم به من موضع آخر.

أما ذِكر الخصومة بين الفريقين مع ما استتبع من النهي عن الاستعجال بالسيئة قبل الحسنة، وأمْرهم بالاستغفار لعلهم يُرحمون مناسبٌ لسابقه في السورة نفسها في قصة سليمان عليه السلام، فقد كانت الخصومة بينه وبين بلقيس بدأت تظهر أول الأمر، وكانت بلقيس قد استعجلت السيئة قبل الحسنة فبادرت بإساءة الظن وقالت لجنودها:﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل ٣٤)، ثم كانت في نهاية أمرها مستغفرة لربها قائلة: ﴿ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النمل ٤٤)

وكذلك ما كان في سورة الذاريات من قوله:﴿ وَفِى ثَمُودَ ﴾ فهو مشابهٌ لقصتي موسى وهود عليهما السلام حيث جاء فيهما قوله تعالى: ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ

---

[1] ينظر قصة هود عليه السلام ص240

فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَـٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ ﴾(الذاريات ٣٨)، وقولـه: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾(الذاريات ٤١)

وكذلك ما كان في سورة القمر من قولـه:﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾ فهـو مشابهٌ للقصص الواردة قبل هذه القصة وبعدها، وهي قصص نوح وهـود ولـوط عليهم السلام ، قال تعالى في قصـة نـوحعليه السلام: ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾(القمر ٩) وقال في قصة هـودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾(القمر ١٨)، وقال في قصة لوطعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾(القمر ٣٣)

أما مطلع القصة في سورة الشمس فقد وقع استئنافاً وارداً لتقرير مضـمون قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾(الشمس ١٠) [١]

ويؤيد ذلك ابن عطية –رحمه الله– بقوله: "لمّا ذكر تعالى خيبة مـن دسّـى نفسه ذكر فِرقةً فعلت ذلك يُعتبر بهم ويُنهى عن مثل فعلهم."[٢]، يريـد بـذلك قـوم صالحعليه السلام، كما أن في افتتاح القصة بهذه الآية [٣] مناسبة للفاصلة في السورة حيث أشبهت رؤوس الآيات في نفس السورة.[٤]

الموضع الثاني:

الاختلاف الحاصل في مواضع سور الأعراف وهود والإسـراء والشـعراء والقمر والشمس فيما كان بعد الأمر بالعبادة من التذكير بنعم الله عليهم، والتنويـه بأمر الناقة، ففي سورة الأعراف كان ذِكرها أول كلام صالحعليه السلام لقومه في قولـه: ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ

---

[١] ينظر روح المعاني ١٤٤/٣٠

[٢] ينظر المحرر الوجيز ٤٨٨/٥

[٣] أي قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾

[٤] ينظر التفسير الكبير ١٧٦/٣١

ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾ (الأعراف ٧٣)، وفي سورة هود كان ذكرها بعد أخذٍ وردّ بين صــالح عليه السلام وقومه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾ (هود ٦٤)، وفي سورة الإســراء: ﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴾ (الإسراء ٥٩)، وفي سورة الشعراء كان ذِكرها أخيراً فــي الحكايــة، ومقروناً ببيان أنهم طلبوا آية في قــولهم: ﴿ فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٤-١٥٥) ، وفي سورة القمــر ورد التنويه بها ابتداءً من الله –عز وجل– حيث يقول لصــالح عليه السلام : ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ ﴾ (القمر ٢٧)، وقوله في سورة الذاريات: ﴿ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الذاريات ٤٣)، وفي سورة الشمس تحذير صالح عليه السلام لهم من الاعتداء عليها: ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ (الشمس ١٣)

وهذا الموضع يشتمل على نوعين من التشابه:

النوع الأول من المتشابه: ورد ذكر كون الناقة بينة وآيــة فــي موضــعي سورتي الأعراف وهود دون ذكر ذلك في باقي المواضع، كما ثبت ذكر الناقة بعد الأمر بالعبادة في موضع سورة الأعراف دون ذكر الأمــر بالعبــادة فــي بــاقي المواضع.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

النوع الثاني من المتشابه: ذُكرت الناقة ابتداءً في موضع سورة القمر بينمــا ذُكرت متأخرةً في موضع سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

التنويه بالناقة في سورة الأعراف والتحذير من الاعتداء عليها؛ لأن المعجزة هي برهان على الرسالة وحجة لها، وما من نبي إلا وقد أوتي ما على مثله يــؤمن البشر، فلما كانت القصة في سورة الأعراف كالأساس والأصل لما وراءهــا مــن

المذكور منها في السور الأخرى كان ذلك من ذكر الأصل في الأصل، فقد كـان ذكرها مقدماً تالياً للأمر بالعبادة مباشرةً مقروناً بكونها بينةً وآية، ولم يُذكر كونهـا بينةً في غير هذا الموضع.

أما ما كان من تذكيرٍ لهم بخلافتهم لعادٍ، والتلويح بما أفاض الله عليهم مـن نِعمٍ، وأمْرهم بذِكر آلاء الله، ونهيهم عن الفساد، فهو مناسبٌ للمذكور في السـابق عليه في قصة هود عليه السلام حيث ذكّر هوداً عليه السلام قومَه بخلافتهم قوم نوح عليه السلام، وأمـرهم بذكر الله، وكلّ ذلك مناسبٌ لما فاض به مطلع السورة الكريمة من الذِكر والإنذار، والتذكير والذكرى:﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ (الأعراف ٢-٣)

كذلك ما كان بعد الأمر بالعبادة في سورة هود من أمْرهم بالاستغفار والتوبة إلى الله على ما أنشأهم من الأرض واستعمرهم فيها فإنه مناسبٌ للسابق عليه فـي قصة هود عليه السلام من أمْره لقومه بالاستغفار والتوبة، ومردّ ذلك كلّه إلى المذكور في مطلع السورة من قول رسولنا ﷺ لكفـار مكـة: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ ﴾ (هود ٣)

كما أن ذِكر تعلّقهم بالأرض ناسب كونهم أهل غرسٍ وزرع، ولأنهم كـانوا ينحتون من جبال الأرض بيوتاً ويبنون في الأرض قصوراً فكانت لهم منافع مـن الأرض تناسب نعمة إنشائهم من الأرض، فلأجل منافعهم في الأرض قُيّدت نعمـة الخلق بأنها من الأرض التي أُنشئوا منها، ولذلك عطف عليه قولـه:﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ .[١]

أما الاقتصار في موضع الإسراء على بيان أن صالحاً أُوتي الناقة مبصـرةً دون ذِكر شيء آخر من القصة فلمناسبته لأول الآية: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ ﴾؛ لأن ثموداً إحدى الأمم التي كذبت فأُهلكت، وكانـت

[١] ينظر التحرير والتنوير ١٠٨/١٢

آثار هلاكهم قريبةً حدودها يبصرها كفار قريش، فإن سبب نزول هــذه الآيــة أن قريشاً اقترحت على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبــاً، وأن ينحّــي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له:(إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت تــؤْتهم الــذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم)، قال ﷺ:(بل أستأني بهم) فــأنزل الله هذه الآية"[1]، لذلك جاء ذكر ناقة صالح عليه السلام دون ذكر شيء من القصة سواها؛ لأن قومه عليه السلام اقترحوها وكانت سبب هلاكهم.[2]

كذلك ما كان في سورة الشعراء بعد الأمر بالتقوى وتمحيض النصيحة مــن الإفاضة في ذكر ما جعل الله من جناتٍ وعيون ونخلٍ طلعهــا هضــيم، ونحــتهم الجبال بيوتاً فارهين مناسبٌ للسابق له في قصة هود عليه السلام من الإفاضة في مثل هذه المذكورات.

أما الواقع في سورة الذاريات من قوله:﴿ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾فكان بعــد عقْر الناقة، وترقّب العقاب النّازل، وهو المراد في قولــه تعــالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾(هود ٦٥)، فقد قال لهم ثلاثــة أيامٍ، تصْفرّون في الأول وتحْمرّون في الثاني وتسْودّون في الثالث ثم ينــزل بكــم العقاب.[3]

وأما الواقع في سورة الشمس: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ فقد كان قبل الاعتداء عليها تحذيراً من ذلك، وحثّاً على إكرامها، فهو في معنى قوله تعالى فــي ســورة هــود: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ (هود ٦٤)، وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾(الشعراء ١٥٥)، غير أنّ مقام الإيجاز في سورة الشمس ونظام الفواصل هــو الــذي قضى فيها بما نراه من إيجاز.

---

[1] ينظر المستدرك على الصحيحين ٣٩٤/٢،حديث رقم ٣٣٧٩، وينظر لباب النقول للسيوطي ١٣٧/١

[2] ينظر الكشاف٦٣٠/٢، وتفسير النسفي ٢٩١/٢، والمحرر الوجيز٤٦٦/٣، وتفسير أبي السعود١٨٠/٥

[3] ينظر فتح البيان ١٣٠/٩،

الموضع الثالث:

قوله في سورة الأعراف:﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾، وفي سورة الحجر: ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾، وفي سورة الشعراء: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

حيث جاء حرف الجر (من) في موضعي سورتي الحجر والشعراء ولم يأت ذلك في موضع سورة الأعراف.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف الجر وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لم يُذكر حرف الجر في موضع سورة الأعراف لأنه سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾فأغنى ذلك عن إعادته في الجملة الثانية: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ حتى لا يكون مكرراً في قليل الكلام[١]، كما أنّ بين ذِكْره أولاً وطيّه ثانياً مقابلة، وبين السهول في الأولى والجبال في الثانية كذلك مقابلة، ولمّا لم يكن شيء من ذلك في سورتي الشعراء والحجر ورد الكلام فيهما على الأصل من ذكر البحار قبل الجبال.

---

[١] ينظر البرهان ص١٩٢، وبصائر ذوي التمييز ٢١٤/١

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٥-٠٧٦)

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾

(هود ٠٦٢)

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

(الشعراء ١٥٣-١٥٤)

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(النمل ٠٤٧)

قال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

(القمر ٠٢٤-٠٢٥)

وهذه الوحدة تتعلق بالآيات التي حكت ردّ قوم صالح عليه السلام عليه وما ذكروه من الشّبهات، وفيها ثلاثة مواضع من التشابه.

الموضع الأول:

جاء فعل القول مستأنفاً في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾ وفي سور هود والشعراء والنمل: ﴿ قَالُواْ ﴾، بينما جاء الفعل معطوفاً بالفاء في سورة القمر بقوله: ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

مع جواز الطريقتين فإن الاستئناف كان في مواضع سور الأعراف وهود والشعراء؛ لأنه هكذا كانت ردود الأقوام في كل قصص سورتي هود والشعراء، وقصص مَن بعد نوح عليه السلام في سورة الأعراف، وكذلك الاستئناف في موضع سورة النمل كان على الأصل في قصص مَن بعد نوح عليه السلام من الرسل.

وقيل أن الاستئناف كان في هذه المواضع لأنها عبارات وقعت جواباً عن سؤال.[١]

أما طريقة العطف فقد كانت في موضع سورة القمر خاصة؛ لأنه روعي فيها ما سبقها من العطف في قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ ﴾(القمر ٩)

الموضع الثاني:

جاء رد قوم صالح عليه السلام منسوباً إلى الملأ في موضع سورة الأعراف، بينما كان منسوباً إلى ضمير جماعتهم في مواضع سور هود والشعراء والنمل والقمر.

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا تناقض بين الطريقتين بل إن كل طريقةٍ كانت في موضعها لمناسبةٍ ترجّح وجودها على الأخرى، فإسناد القول إلى الملأ في موضع سورة الأعراف لكونه فيها في القصص الأخرى، والملأ ومقالتهم أصلٌ في الكفر وعناد الرسول، والسورة أصلٌ لما يتلوها فكان من وضع الأصل في الأصل.

أما الضمير في مواضع سور هود والشعراء والقمر؛ فلأنه هكذا كانت ضمائر الجماعات في سائر قصص سورتي الشعراء والقمر، وغالب قصص

---

[١] ينظر فتح البيان ٣٦٠/٣

سورة هود مع ما كان في سورتي الشعراء والقمر من بدء القصة بالتكذيب مسنداً إلى القوم.

وكذلك الواقع في موضع سورة النمل بضمير القوم دون الملأ لِما سبق من قوله: ﴿ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(النمل ٤٦)، ولم يذكر الملأ في هذه السورة قط حتى في قصة موسى عليه السلام التي كثيراً ما يُذْكر فيها لفظ الملأ فقد ذُكر فيها القوم في هذه السورة: ﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ ﴾(النمل ١٢)

الموضع الثالث:

اختلاف حكاية ردود قوم صالح عليه السلام عليه في المواضع السابقة.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جمل بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

ما من قول وُضع في موضعه إلا كان شديد المناسبة وقوي الارتباط بسابقه ولاحقه، فالوارد في موضع سورة الأعراف من المجادلة بين المستكبرين والمستضعفين في شأن ما جاء به صالح عليه السلام مناسبٌ أشدّ مناسبةٍ لما جاء به سابقه من تسمية الناقة بالبيّنة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾(الأعراف ٧٣) فالبيّنة على الدعوى هي التي يُبنى عليها التصديق ويحصل فيها الجدال كما حُكي تماماً. ومناسبٌ كذلك للمذكور بين يدي القصص كلها من الانقسام إلى الخبيث والطيب في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾(الأعراف ٥٨)

وكذلك الواقع في موضع سورة هود جاء على أشدّ مناسبةٍ للمذكور في سابقه في قصة هود عليه السلام في نفس السورة من قول قومه له: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(هود ٥٣) فكلّه تمسك بآلهتهم وآلهة آبائهم.

وكذلك الوارد في موضع سورة الشعراء كان على أتمّ مناسبةٍ للمذكور بعده في قصة شعيب عليه السلام في نفس السورة من قول قومه لـــه: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝١٨٦ ﴾ (الشعراء ١٨٥-١٨٦)

وكذلك الوارد في موضع سورة القمر فإنه في معناه قريبٌ مما في موضـــع سورة الشعراء، وما زال العهد بهاتين السورتين والشبه بينهما قوي في كثير مـــن القصص ومساقها، لكن الفواصل طالبت بحقها في كل سورة، مع ما فـــي ســـورة القمر من المبالغة في بيان العتوّ والضلال، وبتُهم القول بأنه كذّابٌ أشِر، واستنكار أن يُلقى عليه الذِكْر دونهم، قال تعالى: ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥ ﴾ (القمر ٢٥)، فالسورتان وإن كانتا متشابهتين إلا أنّ الثانية أعلى تهديداً وأكثر مبالغةً في تصوير الجريمـــة والعقـــاب: ﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ۝٢٦ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ۝٢٧ ﴾ (القمر ٢٦-٢٧)

أما الوارد في موضع سورة النمل فكم من المناسبة بينه وبين ما فاضت بـــه السورة في قصة سليمان عليه السلام من ذكر الطير، هذا مع اتصاله بســـابقه علـــى أنـــه جواب له.

الوحدة الثالثة

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٣)

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

(هود ٠٦٣-٠٦٤)

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

(الحجر ٠٨١)

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾

(الشعراء ١٥٥-١٥٦)

قال تعالى: ﴿ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(النمل ٠٤٧)

قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(القمر ٠٢٧-٠٢٨)

وتتعلق هذه الوحدة بحكاية رد صالح عليه السلام على قومه فيما أجابوه به.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

اختلاف الحكاية فيما تكررت حكايته من المعنى الواحد المتعلق بالناقة حيث قال صالح عليه السلام لقومه في موضع سورة الأعراف: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ

هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾، ومثـــلُ ذلك في موضع سورة هود مع عدم مجيء قوله:﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾، ومثلُه أيضاً في موضع سورة الشعراء مع عـــدم مجـــيء قولـــه:﴿ لَكُم ءَايَةٞ ﴾، والإشارة إلى الناقة بالآيات في موضع سورة الحجر، وبيان أن الناقة فتنـــةً فـــي موضع سورة القمر.

يشتمل هذا الموضع على ثلاثة أنواع من التشابه:

النوع الأول من المتشابه: وصْف الناقة بأنها آية في مواضع سور الأعراف وهود والشعراء دون باقي المواضع، كما وقعت الزيـــادة فـــي موضـــع ســـورة الأعراف على باقي المواضع ببيان أن الناقة بيّنة.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

النوع الثاني من المتشابه: وقع التبادل في المواضع السابقة بين ألفاظ الآيـــة والبينة والفتنة.

نوعه: تشابه بالإبدال.

النوع الثالث من المتشابه: وقَع لفظ الآية في موضعي ســـورتي الأعـــراف وهود، ولفظ الآيات في موضع سورة الحجر.

نوعه: تشابه بالإفراد والجمع.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا تناقض في ذلك لأن كل رسولٍ كانت له حيال قومـــه دعـــوات متكـــررة يلوّنها ويتنوّع فيها، فوقعت الحكاية على أنواعٍ من الوجوه والاختلافات الراجعـــة إلى الموافقة لمقتضى حال الحكاية، فالوارد في موضع ســـورة الأعـــراف سِـــيق بجوار الأمر بعبادة الله فذكر عليه السلام الناقة على أنها معجزة لإثبـــات صـــدقه فحسُـــن التصريح بقوله:﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ ، ولكنها في موضع سورة هـــود واردةٌ بعد حكاية الأمر بعبادة الله فأتى ذِكرها في أثناء مجادلة صالح عليه السلام لقومه فلمْ

يقع تصريحٌ بذِكر كونها بيّنة واكتفى بما هو في معناه وإن كان أقلّ منه وهو قولُه:﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾، وحيث جاءت في موضع سورة الشعراء عقب قوله: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾(الشعراء ١٥٤) استُغني فيها عن ذِكر الآية وقيل فيها:﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

أما في موضع سورة الحجر فقد تم التعبير عن الناقة بالآيات لاشتمالها على آيات جمّة: خروجها عشراء من الصخرة الصمّاء، وسرعة ولادتها بعد خروجها، وعِظمها حتى لم تشبهها ناقةٌ أخرى، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعاً، وغير ذلك[1]، وذِكْر هذه الآيات العظيمة في الناقة مناسبٌ للآيات الواردة في أول السورة والدالة على عظمة الخالق وقدرته، من سماءٍ وأرضٍ ورياحٍ وحياةٍ وموتٍ وحشرٍ ونشر.

أما في موضع سورة القمر فقد ذُكرت الناقة بأنها فتنة؛ لأنها مذكورةٌ بعد حكاية شديد كفرهم وتكذيبهم، ومن سياقات السورة التهديد وقرع العصا لأهل مكة وذلك يناسبه لفظ الفتنة.[2]

الموضع الثاني:

اختلاف وصْف اليوم في كلام صالحعليه السلام فقال في موضع سورة الأعراف: ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾، وقال في موضع سورة هود:﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾، وقال في موضع سورة الشعراء: ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ ﴾، فجاء وصف العذاب بالأليم في سورة الأعراف، بينما وُصف بالقريب في سورة هود، وجاء الوصف مسنداً إلى اليوم وليس إلى العذاب في سورة الشعراء فوُصف باليوم العظيم.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال الصفة بغيرها، وإبدال الموصوف بآخر.

---

[1] ينظر روح المعاني ٧٦/١٤، وتفسير القرطبي ٥٣/١٠، وأضواء البيان ٣١١/٢

[2] ينظر فتح البيان ٣٦٠/٣

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كل وصفٍ جاء موافقاً للموضع الذي ورد فيه، فالوصف بالألم في موضع سورة الأعراف؛ لأن وصف العذاب بالألم هو الأصل، كما أنه أشد وقعاً فوقع في سورة الأعراف التي هي كالأصل، وقد ذكر الكرماني -رحمه الله- أن سبب وصْف العذاب بالأليم في موضع سورة الأعراف كان لطول وعظ صالحعليه السلام لقومه ومبالغته في ذلك فناسبه المبالغة في الوعيد[1]، وقد انتقد صاحب رسالة متشابه النظم في قصص القرآن هذا التوجيه بقوله: "وهذا قول غير مسلّم به لأن وعظ صالحعليه السلام كان في سورة هود أطول وأكثر منه في سورة الأعراف"[2]، وخالفه صاحب كتاب التعبير القرآني في ذلك حين أيّد توجيه الكرماني -رحمه الله- بقوله: "وذلك أنه في سورة الأعراف ذكر قوم صالحعليه السلام وكثرة تحدّيهم واستهزائهم وعتوّهم ولم يُذكر مثل ذلك في السور الأخرى، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(الأعراف ٧٦-٧٧)، فقد ذُكر عنهم أنهم أعلنوا كفرهم، وعتوا عن أمر ربهم، وتحدّوا نبيّهم بقولهم له:﴿ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾، وليس الأمر كذلك في سورتي هود والشعراء حيث قال تعالى في سورة هود: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ (هود ٦٢)، وليس فيه مثل ذلك التحدي، ولم يُذكر أنهم عتوا عن أمر ربهم، حتى أنهم لم يصرّحوا بكفرهم بل ذكروا أنهم في شك، وكذلك ما جاء في سورة الشعراء فإنه لم يَذكر تحدّيهم ولا عتوّهم واستكبارهم فاستحقوا أن يذكر لهم العذاب الأليم في سورة

---

[1] ينظر البرهان ص١٩٠، وملاك التأويل ٥٣٢/١، وبصائر ذوي التمييز ٢١٣/١

[2] ينظر رسالة متشابه النظم في قصص القرآن د. عبد الغني الراجحي ص١٣٠

الأعـــــراف."[١] قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٥٤ ﴾ (الشعراء ١٥٣-١٥٤)، وبذلك يترجح توجيه الكرماني.

أما الوصف بالقريب في موضع سورة هود فلمناسبة المذكور في القصة من بيان قرب نزول العذاب بهم، كما أن هذه الكلمة مــذكورةٌ بعينهــا فــي نهايــة المحاورات معهم ووقع بعدها قوله تعــالى:﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ۝٦٥ ﴾ (هود ٦٥)، فوقع وصف العذاب بالقرب بقرب حكايــة قرب وقوعه، ولا ينافي ذلك الإيلام بل القريب أشد ألماً إذ لم يكــن بعــد مهــل، وكذلك لمناسبته لما سبقه في القصة نفسها من قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ۝٦١ ﴾ (هود ٦١)، لأن وصف الله بالقرب على معنى قرب أفعاله التي منها تعذيبه لهم وانتقامــه منهم.

أما قوله في سورة الشعراء: ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦ ﴾ فزيــد فيــه ذكر اليوم الذي يقع فيه العذاب وليس له ذِكر في الموضــعين الســابقين، ولعلّــه لمناسبة ما اختُص به سابقه من ذِكر اليوم فــي قولــه:﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥ ﴾ والمعنى: فإن مسستموها بسوءٍ من أجل يومها الذي تشرب فيه الماء أخذكم العذاب في يومٍ عظيم، وما دام قد وقع ذِكْر اليوم فقد أصبح ذِكْــر العظيم بجواره على معنى عِظم ما فيه ممّا سيُظهره الله من ضــروب الأفاعيــل والأهوال والحوادث الجسام التي تدور عندها الدائرة على الكــافرين، كمــا أنــه مناسبٌ لما سبقه في قصة هود في السورة نفســها مــن قولــه: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣٥ ﴾ (الشعراء ١٣٥)[٢]، يقول الرازي –رحمه الله– : " وصْف اليوم بــه أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظُم بسببه كان موقعه من العِظــم أشــدّ"[٣]، ويقول السيوطي –رحمه الله– : "العذاب إذا اجتمع فيه هذه الأوصاف الثلاثة كــان

---

[١] التعبير القرآني للسامرائي ص٢٣٥

[٢] ينظر البرهان ص١٩٠، وملاك التأويل ٥٣٢/١، وبصائر ذوي التمييز ٢١٣/١، ودرة التنزيل ص٣٧٦

[٣] ينظر التفسير الكبير ١٣٨/٢٤، والكشاف ٣٣٣/٣، وروح المعاني ١١٤/١٩، ونظم الــدرر ٧٨/١٤، وفــتح البيان ٤٢/٧

أشدّ، ففرّق الأوصاف الثلاثة في الآيات الثلاثة دلالةً على أشديّته من غير احتياجٍ إلى ذِكرها في آيةٍ واحدة."

ثم قال في توجيه موضع سورة الشعراء: " وإنما لم يقل: عذابٌ عظيم؛ لأن العذاب إذا كان عذاب يومٍ عظيم كان عظيماً في نفسه فجُعل مدمجاً في تعظيم اليوم وأفاد عظم اليوم والعذاب معاً."

ثم قال: "والفرق بين العظيم والأليم ما قارنه وجع، سواءً كان له غاية أو لا، والعظيم ما له غاية سواءٌ كان معه ألمٌ أمْ لا، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه، أو يقال: كل عظيمٍ أليم ولا عكس، ويقال: إنهما سواء، والتكرير للتأكيد."[١]

الموضع الثالث:

اختلاف حكاية رد صالحعليه السلام لقومه في المواضع السابقة، فأجمل الرد في مواضع سور الشعراء والنمل والقمر وفصّله في موضعي سورتي الأعراف وهود.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كل قول في موضعه كان على أتم مناسبةٍ لما هو فيه، فما في سورة الأعراف وسورة هود فوق أنه رد على ما سبق من قولهم: ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ (هود ٦٢) فإنه مناسب لما في نفس السورة من مثل هذه الآية، فكثيرٌ من ألفاظها وتراكيبها مشابه لما في قصتي نوح وشعيب عليهما السلام، قال تعالى في قصة نوحعليه السلام: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (هود ٢٨)، وقال في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ

---

[١] ينظر قطف الأزهار للسيوطي ١٠٢١/٢

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود ٨٨)، واستتبع ذلك من صالح‹عليه السلام› ذكر الناقة تصديقاً لقوله، وتأليفاً لهم على دعوته فقال لهم مناديا مرةً ثالثة: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (هود ٦٤)؛ ولأنها هي البيّنة المذكورة في الآية التي تسبقها وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ (هود ٦٣)

وما في سورة الشعراء كان جواباً لسابق قولهم: ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٤)، فوقع الاقتصار على ذكر الناقة مع زيادة بيان قسمة الماء بينها وبينهم، ومثله في المعنى الوارد في موضع سورة القمر لكن في النسيج والفاصلة اختلاف حسب اختلاف السورتين في ذلك.

أما الوارد في سورة النمل فهو جوابٌ على كلامهم في تمام الإطباق.

يقول الإسكافي –رحمه الله– في توجيه اختلاف الخبر الواحد في مواضع سور الأعراف وهود والشعراء: "إن هؤلاء سألوا أن يُخرج لهم من هضبة ملساء[١] ناقة فسأل الله تعالى صالحٌ ‹عليه السلام›، وفي خبرٍ آخر: أنه بدأهم بهذه الآية لا عن مسألة كانت منهم[٢]، فانفرجت عن ناقة بعدما تمخضت تمخض المرأة[٣] ناقةً عشراء[٤]

---

[١] ملساء أي لا شيء بها وقيل هي المسطحة. (ينظر لسان العرب ٦/٢٢٣)

[٢] لم أجد هذا الخبر، وذهب الجمهور إلى أن قوم صالح هم الذين سألوه أن يأتيهم بآية، قال ابن عطية الأندلسي:"قال بعض الناس إن صالحاً جاء بالناقة من تلقاء نفسه، وقالت فرقة وهي الجمهور: بل كانت مقترحة"(ينظر المحرر الوجيز ٣/١٨٥)، وقال الطبري:"إنما استشهد صالحُ على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله"(ينظر تفسير الطبري ١٢/٦٤)

[٣] المخاض هو وجع الولادة، وتمخض الناقة هو أن يضرب الولد في بطنها حتى تنتج. (ينظر لسان العرب ٧/٢٢٨)

[٤] يعني أن الناقة خرجت عشراء، وناقة عشراء يعني إذا بلغت في حملها عشرة أشهر وقرُبت ولادتها.(ينظر لسان العرب ٤/٥٧٢)

فنتجت بعد ذلك فصيلاً [١]، فكانت ترِد ماءً لهم بين جبلين يوماً فتشربه كله وتسقيهم اللبن بدله، وللقوم شِرب يوم يخصهم[٢]، فثقُل عليهم أمر شُربها وانقطاعُ الماءِ يوماً عن مواشيهم بسببها، وحذرهم صالحٌ التعرّض لها إلى أن عقرها أحمر ثمود، فصار سبب هلاكهم."[٣]

فالآية الأولى من سورة الأعراف[٤] عامة في جُمَل ما كان من وعظه لهم، لأنه قال:﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: آية تشهد بصحتها نفوسكم أنها من قدرة الله تعالى المختصة بفعله لا بفعل غيره، ثم قال في سورة هود:﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ أي: هذه ناقةٌ ليست ملك أحد منكم وإنما هي لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة، أمارة لصدق نبيكم لتؤمنوا بها فاتركوها ترعَ في الصحاري التي هي أرض الله من الكلأ الذي هو من نعمة الله تعالى، ولا تتعرضوا لها بسوء فيأخذَكم عذابٌ أليمٌ ينال منكم ويؤلمكم.

وهذه المعاني المُجمَلة في الآية الأولى من سورة الأعراف زِيدت بياناً في آيتي سورة هود[٥]، وآيتي سورة الشعراء[١]، فالآية الأولى تحذيرٌ للقوم على طريق العموم.[٢]

---

[١] الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه والجمع فصلان وفصال.(ينظر مختار الصحاح ٢١١/١)

[٢] أي نصيب من الشراب، والشرب معناه الحظ من الماء.(ينظر لسان العرب ٤٨٨/١)

[٣] ينظر قصة صالح مع قومه في تفسير الطبري ٢٢٤/٨ ، والمحرر الوجيز٤٢١/٢ ، وتفسير البغوي ١٧٥/٢، وتفسير ابن كثير٢٢٨/٢

[٤] قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف ٧٣)

[٥] قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ (هود ٦٣-٦٤)

الوحدة الرابعة

قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٧)

قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾

(هود ٠٦٥)

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء ٠٥٩)

قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٥٧)

قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(الذاريات ٠٤٣-٠٤٤)

قال تعالى: ﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(القمر ٠٢٩)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾

(الشمس ٠١٤)

هذه الآيات تتحدث عن اعتداء قوم صالحٍ عليه السلام على الناقة، وقد عبّر بالعقر دون النحر لشموله على كل سبب لقتلها، ولأن العقر لمّا كان سبباً للنحر أطلقه على النحر إطلاقاً لاسم السبب على المسبب[3]، وإسناده إلى الكل مع أن المباشر البعض مجاز لملابسة الكل لذلك الفعل لكونه بين أظهرهم وبرضاهم.

---

[1] قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٥-١٥٦)

[2] ينظر درة التنزيل ص ٣٧٤-٣٧٦

[3] ينظر التفسير الكبير ١٣٤/١٤ ، وينظر تهذيب اللغة للأزهري ١٤٥/١

قال البغوي –رحمه الله– [١]: قال الأزهري [٢]:"العقْر: هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره."[٣]

وكأن هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر في كلامه النحر، ولا ريب في أن أصل العقر في اللغة هو القطع ومادته تدور على ذلك، تقول العرب: عقَر النخلة إذا قطع رأسها فيبست، والفرس إذا ضرب قوائمها بالسيف، وأكثر ما يُستعمل العقْر في الفساد وأما النحْر فيُستعمل غالباً في الانتفاع بالمنحور لحماً وجلداً وغيرهما، فلعلّ التعبير به دون النحر إشارةً إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها عتوّاً على الله، وعناداً وفعلاً للسوء مخالفة لنهي صالحعليه السلام.[٤]

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاءت نسبة العقْر إلى قوم صالحعليه السلام في مواضع سور الأعراف وهود والإسراء والشعراء والذاريات والشمس بينما جاءت نسبته إلى صاحبهم في سورة القمر.

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد، حيث ورد ذِكر الجماعة وهو القوم في كل المواضع ما عدا موضع سورة القمر ورد فيها ذكر صاحب القوم بمفرده.

---

[١] هو:الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفرّاء، ويلقب محيي السنة وركن الدين، كان إماما في التفسير والحديث والفقه،وله من التصانيف معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة، والمصابيح، والجمع بين الصحيحين، والتهذيب في الفقه، توفي سنة ٥١٦ هـ وقد جاوز الثمانين. (ينظر طبقات المفسرين ٤٩/١)

[٢] هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، إمام في اللغة، توفي سنة ٣٧٠هـ وقيل ٣٧١هـ (ينظر طبقات الشافعية ١٤٤/١)

[٣] ينظر تفسير البغوي ١٧٤/٢، والتهذيب للأزهري ١٤٥/١

[٤] ينظر لسان العرب ٥٩٢،٥٩١/٤، ونظم الدرر ٤٤٧/٧

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لا تناقض في ذلك ما دام أن عمل صاحب القوم كـان بعلمهـم وإرادتهـم ورضاهم، بل بندائهم وتحريضهم كما يُفصح عنه قوله تعالى في سـورة القمـر: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، أي قتلَها موافقةً لهم، وبهـذا نوفّـق بـين الآيات فالمحصّلة أن الفعل كان منه ونُسب إلى الكل لأمرهم به.[2]

الموضع الثاني:

وردت الحكاية مجملة في كل من مواضع سور الإسراء والشعراء والذاريات والشمس، بينما جاءت أكثر تفصيلاً في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أما الإجمال الوارد في سور الإسراء والشعراء والشمس فإنه مناسـبٌ لمـا ورد فيها من الفواصل والنسيج الخاص لكل سورة فكان الثاني الأخير في ترتيـب السور كالبيان والتفصيل للأول السابق في ترتيب السور والإجمـال مقـدم علـى التفصيل.

وأما الوارد في سورة الذاريات وهو قوله:﴿ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ فإجمالٌ جاء تفصيله في سورة هود :﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾، ووقع الإجمال في سورة الذاريات لأنها موضع اختصارٍ وإيجـازٍ، بينما وقع التفصيل في سورة هود لأنها موضع بسـطٍ وإطنـاب، ويكـون العتـوّ المذكور في سورة الذاريات هو المذكور في سورة الأعراف، وهو ما كـان بعـد

---

[1] ينظر أضواء البيان للشنقيطي ٣٥/٢، والمحرر الوجيز ٤٢٣/٢، وروح المعاني ١١٤/١٩، والتسهيل لعلوم التنزيل ٣٧/٢، والتحرير والتنوير ٢٢٥/٨

[2] ينظر حاشية الجمل ٢٤٨/٤

العقْر من عزمهم على قتله، وهو قولهم في سورة النمل: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (النمل ٤٩)

وأما قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ مع قوله في سورة الأعراف: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فإنه أيضا لا تناقض بينهما لأن ندمهم لا يتنافى مع قولهم المذكور؛ لأنه كان من قبيل المجادلة والمكابرة والعتوّ مع استشعار الخوف والندم استشعاراً لم يبلغ أن يجتثّ أصول عنادهم، أو أن المعنى: فعقروها فأصبحوا نادمين بعد أن عتوا عقب عقرها وقولهم معاندين ومكابرين: ﴿ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾، وحرف الفاء الداخل على الندم لا يمنع من مثل ذلك التقدير؛ لأن التعقيب في كل شيء بحسبه، وهذه حوادثٌ جسام مضت عليها أزمانٌ متطاولة فإذا أتاهم الندم بعد عقْرها بثلاثة أيامٍ لم يكن ذلك مُخلاًّ بقضية التعقيب، وفي هذه الأيام التي مضت قبل أن يأتيهم الندم كان فيها العتوّ والتحدي لصالحعليه السلام، والعزم على قتله قبل أن يحلّ بهم ما حلّت بوادره.[1]

[1] ينظر رسالة متشابه النظم في قصص القرآن د. عبد الغني الراجحي ص١٣٢

الوحدة الخامسة

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٨-٠٧٩)

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(هود ٠٦٦-٠٦٧)

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٣)

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

(الشعراء ١٥٨)

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٠٥١-٠٥٣)

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧-٠١٨)

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(الذاريات ٠٤٤-٠٤٥)

قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾

(النجم ٠٥١)

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾

(القمر ٠٣١)

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾

(الحاقة ٠٠٥)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾

(الشمس ٠١٤-٠١٥)

وهذه الآيات هي التي تحدثت عن وصف ما نزل بقوم صالح عليه السلام بعد عقر الناقة ووصف نجاته عليه السلام ومن معه من المؤمنين من الهلاك.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

اختلاف التعبير عن الأمر الذي أُهلك به قوم صالح عليه السلام، فتارةً بالأخذ في مواضع سور الأعراف وهود والحجر والشعراء وفصلت والذاريات، وتارةً بالإرسال في موضع سورة القمر، وتارةً في بعض المواضع ممّا لم يقع فيه أخذ أو إرسال كالوارد في مواضع سور النمل والنجم والحاقة والشمس.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أما في سور النمل والنجم والحاقة والشمس فقد ورد ذِكر العذاب فيها بعبارات غير الأخذ أو الإرسال، عباراتٌ تؤول في معناها إلى الهلاك والإهلاك، فقد استُعمل التدمير في سورة النمل، واستُعمل الهلاك والإهلاك بدون ذِكر إرسالٍ أو إنزالٍ أو أخذٍ أو إرسالٍ في سورة الحاقة، واستُعملت الدمدمة في سورة الشمس، وقد تُستعمل ألفاظٌ أخرى كما في سورة النجم: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾.

وأما مادة الأخْذ فقد وردت في هذه القصة في سور الأعراف وهود والحجر والشعراء وفصلت والذاريات وغيرها من قصص القرآن ومن غير القصص مما يُذكر فيه إنزال عذاب، وكان في الغالب استعمالها لِما فيها من قوة الدلالة على نزول العقاب النازل، وضَعف المعذّب، وأنه مأخوذ بما نزل به، كالأسير الأخيذ الذي لا يدري لنفسه مناصاً، ولا يبدي حراكاً، ولا يرجو فكاكاً، ولتوجيه ذلك بشيء من التفصيل أقول:

أن الواقع في سورتي الأعراف وهود من ذِكر الأخذ فلمناسبته للوارد في قصة شعيبعليه السلام في السورتين التي وقع فيها الأخذ، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(الأعراف ٩١)، وقال في سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(هود ٩٤)

وكذلك الأخذ في سورة الحجر مناسبٌ لسابقه في قصة لوطعليه السلام في السورة نفسها من ذكر الأخذ، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾(الحجر ٧٣)

وكذلك في سورة الشعراء جاء لفظ الأخذ في قصة صالحعليه السلام مناسباً للوارد بعده في قصة شعيبعليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾(الشعراء ١٨٩)

وكذلك الأمر في سورة فصلت فقد ورد الأخذ لأنه الأقوى في الدلالة على قوة العذاب، وهو الأنسب لمقام الإنذار المصرح به في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾(فصلت ١٣)

وأما ورود الأخذ في سورة الذاريات فكان لمجاورتها للصاعقة وهي بها أنسب، ولمناسبتها لما سبقت حكايته في القصة نفسها من عتوّهم في قوله تعالى: ﴿ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الذاريات ٤٤)

وفي سورة الحاقة ذكر الإهلاك لأنه بجوار الإهلاك المذكور في قوم هودعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾(الحاقة ٦)

وأما التعبير بالإرسال في موضع سورة القمر والوارد في لفظةٍ واحدة في هذه القصة وفي قصة هودعليه السلام في أكثر آياتها ومواضعها، ففيه دلالة على قوة العذاب وتسلّط المرسَل المسخّر، كما أنه مناسب للواقع في القصة نفسها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾(القمر ٢٧)

الموضع الثاني:

اختلاف حكاية الهلاك في المواضع السابقة، ففي سورة الأعراف عُبِّر عنه بالرجفة، وفي سور هود والحجر والقمر بالصيحة، وفي سورة الشعراء بالعذاب، وفي سورة النمل بالدمار والتدمير، وفي سورتي فصلت والذاريات بالصاعقة، وفي سورة الحاقة بالطاغية، وفي سورة الشمس بالدمدمة.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كل ذلك اختلاف لا تناقض فيه بل جميع الألفاظ متقاربة في المعنى، فالرجفة إنما عُني بها: "الصيحة التي زعزعتهم وحرّكتهم للعذاب"[1]، وكانت هذه الصيحة بالغةً في القوة مبلغاً عظيماً، فكانت الصاعقة المذكورة في سورة الذاريات وفصلت؛ لأن الصاعقة هي خروج النار من السحاب بصحبة صوتٍ شديد حتى لا يكاد يُفهم من ذِكرها إلا هو[2]، وكانت هذه المصيبة التي نزلت بهم قويةً فكانت هي الطاغية المذكورة في سورة الحاقة وسورة الشمس على أحد القولين [3]، وكان الله قد أطبق عليهم بهذا العذاب فصيّرهم أثراً بعد عين، وسوّى بهم الأرض فكان

---

[1] ينظر تفسير الطبري ٢٣٣/٨،ولسان العرب ١١٣/٩

[2] ينظر المفردات للراغب ٤٨٥/١ كتاب الصاد، وفي لسان العرب:"الصاعقة هي النار التي يرسلها الله مع الرعد الشديد، وقيل هي الصوت الشديد من الرعدة يسقط معها قطع نار"١٩٨/١٠

[3] هو القول بأن عذاب ثمود في سورة الشمس كان بالطاغية، حيث قيل إن معنى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ أي عذابها الذي وُعدت به وكان اسمه (طغوى) لأنه طغى عليهم، وعبر عنها بالطغوى وليس الطغيان مع أن كليهما مصدر لأنه أشبه برؤوس الآيات، ومن أصحاب هذا القول ابن عباس وأبو عبيدة وابن زيد وقالوا أن الدليل على ذلك هو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (ينظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز أبادي ٤٨٢/١،والتفسير الكبير ١٧٦/٣١، وروح المعاني ٤٠/٢٩،والمحرر الوجيز ٤٨٨/٥، وفتح القدير ٤٤٩/٥،وحاشية الجمل٥٤٣/٤، والتهذيب ١٥٣/٨،وتاج العروس ٤٩٥/٣٨).

التدمير الوارد في سورة النمل، وكذلك الدمدمة الواردة في سورة الشمس على القول الثاني.[١]

وقيل الطاغية كما قال أبو مسلم –رحمه الله– [٢]: اسم لكل ما تجاوز حده سواءً كان حيواناً أو غير حيوان، وأما الرجفة فهي الزلزلة في الأرض، وهي حركةٌ خارجةٌ عن المعتاد فلم يبعد إطلاق اسم الطاغية عليها، وأما الصيحة فالغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة العظيمة الهائلة، وأما الصاعقة فالغالب كذلك أنها الزلزلة، وكذلك الزجرة.[٣]

وإنما جاءت كل حكايةٍ في موضعها لمناسبتها لهذا الموضع، فالرجفة في سورة الأعراف والصيحة في سورة هود للواقع في السورة نفسها من الرجفة والصيحة في قصة شعيب عليه السلام من كل سورة، ففي سورة الأعراف قال تعالى في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (الأعراف ٩١)، وفي سورة هود قال تعالى في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (هود ٩٤)

ووردت الصيحة في سورة الحجر لمناسبتها لما ورد قبلها في قصة لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ (الحجر ٧٣)

وقيل: أن الرجفة مترتبة على الصيحة؛ لأنه لمّا صِيح بهم رجفت قلوبهم، وتزلزلت الأرض من تحتهم فماتوا، فجاز أن يُسند الإهلاك إلى كل واحدٍ منهما،

---

[١] ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧٠٥/٨ ، ورسالة المتشابه اللفظي في القرآن للدكتورة فائقة الحسني ص٣٥٧

[٢] هو: معاذ بن مسلم الهراء، كان شيعياً، كاتباً، متكلماً بليغاً، وكان مؤدب عبد الملك بن مروان، مات سنة ١٨٧هـ ببغداد، له كتاب جامع التأويل لمحكم التنزيل في تفسير القرآن على مذهب المعتزلة.(ينظر بغية الوعاة ٢٩٠/٢، والفهرست ١٩٦/١)

[٣] ينظر التفسير الكبير ١٣٥/١٤

حيث أسنده إلى السبب القريب تارة وهو الصيحة، وإلى السبب البعيد تارةً أخرى وهو الرجفة.[١]

وقيل: أنه أخذتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة من تحتهم، والصيحة من فوقهم حتى هلكوا، فكان عذابهم بالرجفة والصيحة، لكنه اكتفى بذكر كل واحدةٍ منهما في كل موضع[٢]، ويؤيد ذلك القول بأن الرجفة: اضطراب الأرض وارتجاجها، فتكون من حوادث سماوية كالرياح العاصفة والصواعق، وتكون من أسبابٍ أرضية كالزلازل، وبسبب تسميتها صيحة في سورة هود عُلم أن الذي أصاب ثمود هو صاعقةٌ أو صواعق متتالية رجفت أرضهم وأهلكتهم، ويحتمل أن تُقارنها زلازل أرضية.[٣]

وقيل: أن الرجفة أعظم من الصيحة فناسب كونها في سورة الأعراف؛ لأن مقصودها إنذار المعارضين، بينما الصيحة وتعني الانتشار ناسب كونها في سورة هود للتفصيل الوارد فيها[٤]، وتصح كل هذه التوجيهات مجتمعة.

والعذاب الوارد في سورة الشعراء لمناسبته لما سبقه في السورة نفسها من قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾(الشعراء ١٣٥)

والواقع في سورة النمل من الدمار والتدمير فإنه بمعنى الإهلاك أو إدخال الهلاك على الشيء[٥]، فلما سبقت حكاية قول قوم صالح عليه السلام: ﴿ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(النمل ٤٩) كان من الحُسن والجودة أن يتلوه قوله تعالى: ﴿ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(النمل ٥١)، فكان هذا

---

[١] ينظر التفسير الكبير ٥٨/٢٥، وتفسير أبي السعود ٢٥٢/٣، وحاشية الشيخ زاده ٢٥٣/٢، وحاشية الشهاب ١٨٥/٤

[٢] ينظر فتح البيان ٣٦٢/٣

[٣] ينظر التحرير والتنوير ٢٢٧/٨

[٤] ينظر التفسير الكبير ٥٨/٢٥، ونظم الدرر ٤٥٠/٧، ٣٢٦/٩

[٥] ينظر المفردات في غريب القرآن ١٧٢/١ ، ومختار الصحاح ٨٨/١،ولسان العرب ٢٩١/٤،وتاج العروس ٣٠٩/١١

عاقبة أمرهم كما صرح تعالى في قوله:﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ ﴾ ، فكان الجزاء من جنس ما بيّتوه.

والصاعقة في سورة فصلت وردت لمناسبتها للوارد في صدر القصص في قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ ﴾ (فصلت ١٣)، وفي إضافة الصاعقة إلى العذاب دلالةٌ على أنها صاعقة تُعرف بطريق الإضافة، إذ لا يُعرف بها إلا ما تُضاف إليه، أي: صاعقةٌ خارقةٌ لمعتاد الصواعق، فهي صاعقةٌ مسخرةٌ من الله لعذاب ثمود[1]، كما أن في إضافة الصاعقة للعذاب ووصْفه بالهون هنا دليلٌ على إرادة المبالغة في معنى هذه الصاعقة.[2]

وأما الصاعقة في سورة الذاريات فلشيوع ذِكر العلويّات في السورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ ﴾ (الذاريات ١-٢)، وقوله: ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ (الذاريات ٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ ﴾ (الذاريات ٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ ﴾ (الذاريات ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ ﴾ (الذاريات ٢٤) الهابطين من العلويّات، وإرسال الحجارة على قوم لوط عليه السلام من أعلى، فجاءت كذلك الصاعقة في قصة ثمود عليه السلام وهي مما يرِد من أعلى، مع ما في السورة من ذكرٍ لقصة إبراهيم عليه السلام وفيها قوله تعالى: ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ ﴾ (الذاريات ٢٩)، والصَرّة هي الصيحة العالية، وهي قريبة من الصاعقة.

والصيحة في سورة القمر وردت لمناسبتها للسابق لها في قصة هود عليه السلام في نفس السورة من وصف الريح بالصرصر، وهو صوت كالصيحة وقد يكون أشدّ منها، وقد ذكرت ذلك سابقاً في قصة هود عليه السلام[3]، ووُصفت بواحدةٍ للدلالة على أنها خارقة للعادة، إذ أتت على قبيلةٍ كاملة وهم أصحاب الحجر[4]، وأما إتْباع هذا

---

[1] ينظر التحرير والتنوير ٢٦٣/٢٤

[2] ينظر روح المعاني ١١٤/٢٤،والكشاف ٢٠٠/٤، وتفسير أبي السعود ٩/٨، وتفسير البيضاوي ١١١/٥

[3] ينظر قصة هود عليه السلام ص ٢٧٧

[4] ينظر التحرير والتنوير ١٩٣/٢٧(الطبعة الجديدة)

الوصف بقوله تعالى: ﴿ فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١ ﴾فلمناسبته لِما في مقام السورة من بيان العتوّ في الكفر وقوة البأس في العقاب.

والطاغية في سورة الحاقة وردت لمناسبتها لما بعدها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ ﴾ (الحاقة ١١)، وقوله: ﴿ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ فيه إضمار، أي بالفعلة الطاغية وهو شركهم بالله [١]، وقال قتادة-رحمه الله-: أي بالصيحة الطاغية، أي المجاوزة للحد، أي لحد الصيحات من الهول [٢]، وقال الكلبي -رحمه الله-: بالطاغية أي بطغيانهم وكفرهم [٣]، وقيل: الطاغية هو قاتل الناقة.[٤]

والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية، والتاء للمبالغة كما في علامة، والمعنى: فأهلكوا بسبب طغيانهم.[٥]

وأما الواقع في سورة الشمس من قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ ﴾(الشمس ١٤)، فالمعنى أنه أتاهم بالعذاب الذي صاحبته الصيحة من السماء والرجفة من الأرض، وتحرُّكها حركةً شديدة كانت بعدها عليهم مسوّاة، وهو مناسبٌ للسابق في السورة نفسها من الحديث عن الأرض بمثل ذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ ﴾(الشمس ٦)، فالذي طحاها وسوّاها رحمةً بالناس طحاها أيضاً وسوّاها نقمةً على المجرمين.

الموضع الثالث:

جاءت الدار مفردةً في موضع سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨ ﴾(الأعراف ٧٨)، بينما جاءت مجموعةً في موضع

---

[١] ينظر تفسير القرطبي ٢٥٨/١٨، وروح المعاني ٤٠/٢٩

[٢] ينظر تفسير البغوي ٣٨٦/٤، وتاج العروس ٤٩٤/٣٨

[٣] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٢/٤

[٤] ينظر حاشية الجمل ٣٩٤/٤

[٥] ينظر تفسير القرطبي ٢٥٨/١٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٠٢/٤، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٦/٨

سورة هود فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود ٦٧)

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان ذلك الجمع والإفراد لمناسبة كل واردٍ في موضعه للوارد فـــي الســـورة نفسها في قصة شعيبعليه السلام، قال تعالى فـــي ســـورة الأعـــراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الأعراف ٩١)، وقال في سورة هـــود: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود ٩٤)، ولعل توحيد الدار فـــي موضـــع ســـورة الأعـــراف وجمعها في موضع سور هود للإشارة إلى عِظم الزلزلة والصيحة في الموضعين؛ وذلك لأن الزلزلة إذا كانت في شيءٍ واحدٍ كانت أمكن فيُراد بها أعظـــم التنكيـــل، والصيحة من شأنها الانتشار فإذا عمّت الأماكن المتنائية والديار المتباعدة فأهلكت أهلها، ومزقت جماعتها، وفرقت شملها، كانت من القوة المفرطة والشدة البالغـــة، وحاصله أنه حيث عبّر بالرجفة وحّد الدار إشـــارة إلـــى شـــدّة العـــذاب بعِظـــم الاضطراب، وحيث عبّر بالصيحة جمع إشارة إلى عموم الموت بشدة الصـــوت، ولا مخالفة لأن العذاب كان بكلٍ منهما، ولعل إحـــداهما كانـــت ســـبباً للأخـــرى، وخُصّت سورة الأعراف بتوحيد الدار والرجفة؛ لأن مقصودها إنذار المعارضين، بينما خُصّت سورة هود بجمع الدار والصيحة؛ لأنها أكثر تفصـــيلاً مـــن ســـورة الأعراف، وكلٌ من الديار والصيحة مناسبٌ لهذا التفصيل.[1]

وقيل: أنه حيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة وحّد الدار، وحيث ذكر الصـــيحة جمع؛ لأن الصيحة كانت من السماء فتصل إليهم في دورهم من جهتها العليا التـــي

---

[1] ينظر نظم الدرر ٧/٤٤٩، ٩/٣٢٦

تنفصل فيها الدور وتظهر منها، لذلك بلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة المتعلقة بالأرض وأصول الدور وما قامت عليه فاتصل كل واحدٍ بما هو أليق به.[١]

وقد ذكر ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله– أن الصيحة قد يُراد بها مطلق العذاب فتقع على كل ما يقع عليه العذاب، وأما الرجفة فهي خصوص العذاب بالزلزلة، فوقع جمع الدار بجوار الأعم في سورة هود، وتوحيدها بجوار الأخص في سورة الأعراف؛ لأن اسم الدار لفظ يقع على المنزل الواحد والمسكن المفرد، ويقع على مساكن القبيلة والطائفة الكبيرة وإن اتسعت وافترقت إذا ضمها إقليم واحد، فكان الأقل بجوار الأقل والأكثر بجوار الأكثر.[٢]

وقيل إن لذلك علاقة بكثرة عناد قوم صالحعليه السلام وطغيانهم وتعدّيهم على الله المحكي في سورة هود وليس في سورة الأعراف شيئاً منه، فكان ذلك وضعاً للأقل في مقابل الأقل، والأكثر في مقابل الأكثر، وكلٌ من الرجفة والدار أقل من الصيحة والديار، ثم إن الرجفة كانت كالأصل فكانت في سورة الأعراف التي هي كالأصل لما بعدها في ترتيب السور.[٣]

أما الإسكافي –رحمه الله– فقد وجّه ذلك بأن توحيد الدار كان في الموضع الذي لم يَذكر إخراج النبي ومَن آمن معه من بينهم وهو موضع سورة الأعراف فجعلهم بني أب واحد وجعلهم لذلك أهل دارٍ واحدة، أما جمع الدار فكان في الموضع الذي أخبر عن التفرقة بين النبي والمؤمنين الذين معه وبين باقي القوم وهو موضع سورة هود حيث أخبر عن تفرّق شملهم، وتشتّت أمْرهم فذهب المعنى الذي كان يجمعهم لأب واحد ودارٍ واحدة.[٤]

---

[١] ينظر البرهان ص١٩١، وبصائر ذوي التمييز ٢١٣/١،وفتح الرحمن ص١٩٧

[٢] ينظر ملاك التأويل ٥٣٣/١

[٣] ينظر ملاك التأويل ٥٣٤/١

[٤] ينظر درة التنزيل ص٣٧٨

الموضع الرابع:

ورد ذكر هلاك قوم صالحعليه السلام ونجاته ومَن معه من المؤمنين في مواضع سور هود والنمل وفصلت، بينما ورد ذكر الهلاك دون ذكر نجاة صالحعليه السلام ومَن معه في مواضع سور الأعراف والحجر والشعراء والذاريات والنجم والقمر والحاقة والشمس.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب الاقتصار على ذِكر نجاة صالحعليه السلام والمؤمنين، في موضع سورة الأعراف على الرغم من أنها من الطوال، وقد وقع فيما كان قبل هذه القصة في هذه السورة وما بعدها من القصص ذِكر الهلاك والنجاة فلخصوص ما حُكي في هذه القصة من زيادة طغيانهم، وعتوّهم بعد عقر الناقة، واستهزائهم وقولِهم بعد عقرها: ﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾فكان ذلك منهم تحدياً لنبي الله، وتعجيزاً له، وتشكيكاً في صدقه وفي مجيء العذاب لهم، فأصبح الذهن بعد ذلك منساقاً كل الانسياق إلى التطلع إلى خبر هذا الذي وقع التشكيك فيه والتشوق إلى بيانه فكان قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ ﴾.

أما الواقع في موضع سورة الحِجر من الاقتصار على الهلاك ففوق مناسبته لمكان الإيجاز في القصة، فهو مناسبٌ لسياقها فقد سبق في السورة قوله تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ ﴾(الحجر ٤٩-٥٠)، ثم ذُكرت قصة إبراهيمعليه السلام وضيفه، وبشارته وزوجه بولدهما، فكان ذلك عائداً إلى رحمة الله وغفرانه، ثم ذكرت قصة لوطعليه السلام وما وقع فيها من الهلاك لقومه، وأنهم أخذتهم الصيحة مشرقين، فجعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارةً من سجيل، ثم ذكر أصحاب الأيكة وظُلمهم، وانتقام الله منهم، ثم ذكر تكذيب أصحاب الحجر المرسلين، وإعراضهم عن آيات الله، وأَخْذهم بالصيحة مصبحين، فكان كلّ

ذلك من هذه الأحداث الثلاثة الأخيرة عائداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

وأما الواقع في موضع سورة الشعراء من الاقتصار على الهلاك بألفاظٍ قليلة فإنه جاء مناسباً لما يقع كثيراً في سورة الشعراء في كثيرٍ من قصصها، وكثيراً ما يُصدّر ذِكر الهلاك في قصص هذه السورة بذكر التكذيب من الأقوام المهلَكين، أو بما يقوم مقام تكذيبهم ويُنبئ عنهم، ففي قصة هود عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾(الشعراء ١٣٩)، وفي قصة صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(الشعراء ١٥٧،١٥٨)، وفي قصة شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾(الشعراء ١٨٥)، فقد فاضت السورة في أولها وأول كل قصةٍ بذِكْر التكذيب.

أما الواقع في مواضع سور الذاريات والنجم والقمر والحاقة والشمس من الاقتصار على ذِكر الهلاك للكافرين دون النجاة للمؤمنين فمردّ ذلك إلى كونها من سور المفصّل أو قريبة منه، وهي تميل غالباً إلى الاقتصار على ذِكر الهلاك، مع إبراز هذا المعنى في آيات قصيرة، وفواصل قوية، وذلك من جودة الوضع والترتيب، ووفرة التناسب بين المتجاورات في كتاب الله.

والواقع في كل من مواضع سور هود والنمل وفصلت من ذِكر الهلاك والنجاة نجده مناسبٌ لما راعته هذه السور في ذكر القصص من بيان العاقبة لكل فريق، وتمييز الطيب من الخبيث، ولتفصيل ذلك أقول: كان ذكر الهلاك والنجاة في موضع سورة هود مناسباً لما فيها من إطنابٍ وإسهابٍ وبسطٍ لقصصها، كما أن هذا هو الحاصل في كل قصة من قصص هذه السورة.

أما الواقع في موضع سورة النمل من ذكر البيانين لكل من المهلَكين والناجين على أتمّ مناسبةٍ لما وقع التصريح به من قوله تعالى في القصة: ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾(النمل ٤٥)، فإنه في قوة استتباعه لذكر المآلين ما لا يخفى.

والواقع في سورة فصلت نجده في صدد صاعقة عاد وثمود، وقد وقع ذكرها بعد ذِكر إعراض العرب عن كتاب ربهم كما نطق بذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾(فصلت ١٣)، وذلك كلّه واقع بعد قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(فصلت ٢)، وقوله تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾(فصلت ٤)، فذِكْر الرحمة والبشارة والنّذارة كالمستتبع لأن يُذكر في هذه القصة كل من الهلاك والنجاة للمؤمنين.

فإن قيل: إن قصة عادٍ قبل قصة ثمود في السورة نفسها قد ذُكر فيها الهلاك دون النجاة في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾(فصلت ١٦)**فما الفرق بينهما؟**

فالجواب: أن نجاة المؤمنين في هذه القصة مذكورةٌ في المذكور عقب قصة ثمود في قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾(فصلت ١٨)، فإنه لا تخصيص في هذه العبارة بقصة ثمود، ولعلّ كون هذه النجاة تكون لمؤمني كل قوم هو المستدعي لتشديد لفظ النجاة الدال على التكثير.

الموضع الخامس:

وقعت الزيادة في موضع سورة الأعراف بقوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾(الأعراف ٧٩) دون وجود هذه الزيادة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الظاهر أن هذا التولّي من صالح عليه السلام عن قومه بعد أن أبصرهم جاثمين؛ لأن فاء التعقيب تدل على ذلك [١]، وهو توبيخٌ لهم بعد موتِهم، وتعنيفٌ لهم على تماديهم في أخطائهم، وذلك على طريق الحكاية الماضية كما وقع من النبي ﷺ من التكلّم لأهل قليب بدر بعد موتهم [٢]، أو قالها لهم عند نزول العذاب بهم وكأنه كان مشاهداً لذلك فتحسّر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب لكن الأول أظهر، وقيل إنما خاطبهم بذلك ليكون عبرةً لمن يأتي من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها [٣]، وهذه الزيادة موافقةٌ لما فاضت به هذه السورة من ذكر النصيحة في قصتي نوح وهود عليهما السلام السابقتين على هذه القصة في قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأعراف ٦١-٦٢)، وقول هود عليه السلام لقومه: ﴿ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأعراف ٦٧-٦٨)، وموافق كذلك لنظيره المذكور بعده في قصة شعيب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الأعراف ٩٣)

---

[١] ينظر الكشاف ١١٧/٢، وروح المعاني ١٦٥/٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٣٨/٢، وحاشية الشيخ زاده ٢٥٣/٢

[٢] المراد به ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال:اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال:"وجدتم ما وعد ربكم حقا؟" فقيل له: تدعوا أمواتا؟ فقال:"ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون"ينظر صحيح البخاري٤٦٢/١ باب ما جاء في عذاب القبر حديث رقم ١٣٠٤ ، وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال:" هل وجدتم ما وعد ربكم حقا، قال إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم" فذُكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (النمل ٨٠) حتى قرأت الآية.(ينظر صحيح البخاري ١٤٦٢/٤) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، حديث رقم (٣٧٦٠)

[٣] ينظر فتح البيان ٣٦٣/٣

الموضع السادس:

الزيادة في موضع سورة هود بالتعقيب بعد ذكر الهلاك بقوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾(هود ٦٨) دون وجود هذه الزيادة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كانت هذه الزيادة واقعةً في موضع سورة هود دون غيرها من المواضع، لمناسبتها للطريقة التي سلكتها السورة في معظم قصصها بالتعقيب بمثل ذلك، ففي قصة نوح‍عليه السلام قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾(هود ٤٩)، وفي قصة هود‍عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾(هود ٥٩- ٦٠)، وفي نهاية قصة صالح‍عليه السلام قال تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾(هود ٦٨)، وفي نهاية قصة شعيب‍عليه السلام قال تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾(هود ٩٥)، وفي نهاية جميع القصص قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(هود ١٠٠-١٠١)

وأما صرْف ثمود تارة وعدم صرفه أخرى في هذه الآية الواحدة في قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾(هود ٦٨) فمع جواز الوجهين فيه لأنه ثلاثي ساكن الوسط إلا أنه صُرِف في حال النصب؛

لأنه أخفّ أحوال الاسم، ولم يُصرف في حال الرفع؛ لأنه أثقل أحوال الاسم[1]، وقد وقع المصروف أولاً لأنه الأكثر في لغة العرب، فحين صُرف نُسب الكفر إلى والدهم الأكبر ثمود، إذْ كان أول من كَفر، وحين مُنع من الصرف نُسب البعد والهلاك إلى القبيلة كلّها حملاً على المعنى وهذا هو الغالب في القرآن، والاسم الثاني في لغة العرب يأتي معرفاً إذا كان الأول نكرة، ويزداد تعرفاً إذا كان الأول معرفة، تقول: جاءني رجل فأكرمت الرجل، وجاءني الرجل فأكرمت الرجل، وعلى ذلك فالثاني من الاسمين لمسمى واحد أكثر تعرّفاً، وتُعرف القبيلة أكثر من معرفة الأب؛ لأن القبائل أعرف من الأفراد، فوقع اللفظ الثاني مراداً به القبيلة فمُنع من الصرف على اعتبار التأنيث مع العلمية وهو الغالب، وأُريد بالأول الأب فصُرف، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ ﴾(هود ٩٥) [2]

الموضع السابع:

وقعت الزيادة في موضع سورة الحجر بذكر وقت نزول العذاب في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ ﴾(الحجر ٨٣) دون بيان هذا الوقت في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة في سورة الحجر مناسبةٌ لما ورد في قصة لوطعليه السلام في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۝ ﴾(الحجر ٦٦)

---

[1] ينظر نظم الدرر ٣٢٨/٩، البرهان ص٢٢٥، الإنصاف ٥٠٣/٢

[2] ينظر التحرير والتنوير٢١٦/٨، ملاك التأويل ٦٦٢/٢، ودرة التنزيل ٤٦٨/٢

سورة هود

هي السورة الثانية التي وردت فيها قصة صالحعليه السلام حسب ترتيب المصحف، وقد سبق التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت قصة صالحعليه السلام في هذه السورة مع ما قبلها في سورة الأعراف في خمس مواضع وهي مرتبة حسب ترتيب السور في المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

(هود ٠٦١)

تشابهت هذه الآية مع آيتي سورة الأعراف(٧٤،٧٣)، وآيتي سورة النمل(٦٤،٦٥)، وآية سورة الذاريات (٤٣)، وآيتي سورة الشمس(١١-١٣).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾

(هود ٠٦٢)

تشابهت هذه الآية مع آيتي سورة الأعراف (٧٦،٧٥)، وآيتي سورة الشعراء(١٥٤،١٥٣)، وآية سورة النمل(٤٧)، وآيتي سورة القمر(٢٥،٢٤).[٢]

الثالث: قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾

(هود ٠٦٣-٠٦٤)

---

[١] ينظر ص٣٠٩

[٢] ينظر ص٣١٦

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٧٣)، وآية سورة الحجر(٨١)، وآيتي سورة الشعراء(١٥٥،١٥٦)، وآية سورة النمل(٤٧)، وآيتي سورة القمر(٢٧،٢٨).[1]

الرابــــع: قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ٦٥ ﴾

(هود ٠٦٥)

تشابهت مع آية سورة الأعراف (٧٧)، وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآية سورة الشعراء(١٥٧)،وآيتي سورة الذاريات(٤٣،٤٤)،وآية سـورة القمـر(٢٩)، وآيـة سورة الشمس(١٤).[2]

الخــــامس: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ ﴾

(هود ٠٦٦-٠٦٧)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآية سورة الحجـر(٨٣)،وآيـة سـورة الشـعراء (١٥٨)،وآيـات سـورة النمـل(٥١-٥٣)،وآيتـي سـورة فصلت(١٧،١٨)،وآيتي سورة الذاريات (٤٤،٤٥)، وآية سورة الـنجم(٥١)،وآيـة سورة القمر(٣١)،وآية سورة الحاقة(٥)،وآيتي سورة الشمس(١٤،١٥).[3]

وقد تم توجيهها في مواضعها.

---

[1] ينظر ٣٢٠

[2] ينظر ص٣٢٨

[3] ينظر ص٣٣٢

وقد تشابهت سورة هود مع ما بعدها في **وحدة واحدة:**

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾

(هود ٠٦٦)

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٠٥١-٠٥٣)

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧-٠١٨)

هذه الوحدة تذكر اختلاف حكاية النجاة في التراكيب والألفاظ في مواضع سور هود والنمل وفصلت، وذلك في موضعين من التشابه:

الموضع الأول:

اختصاص موضع سورة هود بذكر حرف (لمّا)، وذِكْر مجيء الأمر، وذِكْر اسم نبي الله صالحعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ﴾، وعدم مجيء شيء من ذلك في موضعي سورتي النمل وفصلت.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

اختُص موضع سورة هود بهذه الزيادة؛ لأنه من أكثر المواضع إطناباً وتفصيلاً، إضافةً إلى مناسبته للتصريح بحين مجيء الأمر الوارد قبله في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾(هود ٦٤)، كما أنه مناسبٌ للوارد قبل

وبعد هذه القصة في السورة نفسها في قصتي هود وشعيب عليهما السلام في قوله تعالى في قصة هــودعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾(هود ٥٨)، وقوله في قصة شــعيبعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(هود ٩٤)، وقد ذكرت هذه السورة أسماء الأنبياء في قصصــهم عند حكاية نجاتهم ذلك لِمَا ذُكر من طويل جدالهم مع أقوامهم، والتصريح بأسمائهم مراراً ممّا لم يقع مثله في غيرها.

الموضع الثاني:

وقع لفظ ﴿ نَجَّيْنَا ﴾في موضعي سورتي هود وفصــلت، بينمــا جــاء لفــظ ﴿ وَأَنجَيْنَا ﴾ في موضع سورة النمل.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، بالتضــعيف فــي ســورتي هــود وفصلت وعدمه في سورة النمل.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء التضعيف في موضعي سورتي هود وفصلت لأن التشــديد دالّ علــى الكثرة والمبالغة كما بينّا ذلك في قصة نوحعليه السلام [١]، وسورة هود وقع فيها الإطناب والإسهاب في سرد القصص، وسورة فصلت دلّت فيهــا النجــاة علــى المبالغــة لانطباق الآية على مؤمني كلٍ مِن قومي هود وصالح عليهما السلام ولن تتم فــي السورة صنْعة الجمع والتفريق إلا على هذه الإرادة؛ لأن التقدير أن الله أرسل إلى عادٍ وثمود رسلاً فكان منهم الكافر والمؤمن، أما الكافر فأخذته الصــاعقة، وأمــا المؤمن فنجّاه الله منها، ولمّا لم يقع من ذلك التفصيل والمبالغة شيء في موضــع سورة النمل لم يُذكر فيها هذا التضعيف.[٢]

---

[١] ينظر قصة نوحعليه السلام ص١٣٥

[٢] ينظر رسالة المتشابه اللفظي في القرآن د. صالح الشثري ص١٤٢

كما أن التضعيف في سورتي هود وفصلت جاء مناسبا للوارد في كل من السورتين، ففي سورة هود ناسب التضعيف الوارد في قصة صالحعليه السلام ما ورد في قصتي هود وشعيب عليهما السلام في نفس السورة، قال تعالى في قصة هودعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ ﴾(هود ٥٨)، وقال في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(هود ٩٤)

وفي سورة فصلت جاء التضعيف ليُشاكل ما قبله من قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾(فصلت ١٢)، فالجميع على وزن فعّل، كما ناسب التضعيف ما بعدها من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾(فصلت ٢٥)

أما عدم التضعيف في موضع سورة النمل فناسب ما جاوره في قصة لوطعليه السلام من قوله تعالى:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (النمل ٥٧-٥٨)[١]

[١] ينظر البرهان ص٢٨٨، وفتح الرحمن ص٤٢٤، وبصائر ذوي التمييز ٣٥١/١

سورة الحجر

مكيتها ومدنيتها:

هي السورة الثالثة التي وردت فيها قصة صالحعليه السلام في ترتيب المصحف وهي سورة مكية، قال أبو جعفر النحاس-رحمه الله-:"حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباسرضي الله عنهما قال: نزلت سورة الحجر بمكة فهي مكية."[١]، آياتها تسع وتسعون آية [٢]، نزلت بعد سورة القصص.[٣]

موضوعات السورة:

استهدفت المقاصد الأساسية للشريعة كالوحدانية، والنبوة، والبعث والجزاء، ومحورها يدور حول مصارع الطغاة المكذبين لرسل الله على مدى التاريخ، وقد بدأت السورة بالإنذار والتهديد،قال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾(الحجر ٢-٣)، وقصدت بيان حقيقة القرآن وحِفظه من التغيير والتبديل، ثم تعرضت لدعوة الأنبياء، وبينت موقف أهل الشقاء والضلال من الرسل الكرام من لدن نوحعليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم ذكرت السورة الآيات الباهرات المثبَتة في هذا الكون العجيب والتي تشهد بجلال عظمة الخالق، بدءاً بمشهد السماء، فمشهد الأرض، فمشهد الرياح اللّواقح، والحياة والموت، ثم الحشر والنشر، وكلّها تنطِق بعظمة الله سبحانه وقدرته، ثم عرضت بعد ذلك إلى قصة الهدى والضلال متمثلةً في خلق آدم وعدوّه إبليس، وما جرى من سجود الملائكة لآدم، واستكبار إبليس عن السجود، واعتراضه على أمر الله وتوعده لذرية آدم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(الحجر ٢٨)

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٣٩/١

[٢] ينظر البيان في عد آي القرآن ١٧٣/١

[٣] ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٣٩/١، والتفسير الكبير ١١٦/٢٠

واختتمت السورة بتذكير الرسول الكريم محمدﷺ بالنعمة العظمى عليه بإنزال هذا الكتاب المجيد المُعجَز وأمْره بالصبر على ما يلقاه من إيذاء المشركين وبشارته بالنصر القريب له وللمؤمنين.

سبب تسميتها بسورة الحجر:

سميت السورة بسورة الحجر؛ لأن الله تعالى ذكر ما حدث لقوم صالحعليه السلام وهم قبيلة ثمود، وديارهم في الحجر بين الحجاز والشام [١]، وقيل بين مكة وتبوك بالتحديد [٢]، حيث كانوا عتاةً جبارين مكذبين ينحتون الجبال ليسكنوها وكأنهم مخلّدون في الحياة فجاءهم العذاب بالصيحة في وقت الصباح: قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الحجر ٨٣-٨٤) [٣]

أما سبب تسميتهم بأصحاب الحجر؛ فذلك لأنه يعني المكان المحجور أي الممنوع من الناس بسبب اختصاصهم به، أو أنه اشتُق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخرة الجبل نحتاً محكماً، وقد جُعلت طبقات في وسطها بئر عظيمة وآبار كثيرة. [٤]

وأما سبب اختصاص السورة بالإشارة إلى قصتي أصحاب الأيكة وأصحاب الحجر؛ فلأنهم مثل قوم لوطعليه السلام في موعظة المشركين ؛ لأن أهل مكة يشاهدون ديار هذه الأمم، ولتماثل هذه الأمم الثلاثة في حال العذاب الذي سلّطه الله عليها وهو عذابهم بالصيحة والرجفة والصاعقة. [٥]

---

[١] ينظر تفسير الطبري ٤٩/١٤، وأضواء البيان ٢٨٩/٢

[٢] ينظر تفسير القرطبي ٤٦/١٠

[٣] ينظر بصائر ذوي التمييز ٢٧٢/١

[٤] ينظر التحرير والتنوير ٧٢/١٤

[٥] ينظر التحرير والتنوير ٧١/١٤

وقد تشابهت هذه السورة مع ما قبلها في سورة الأعراف في موضعين:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٢)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٤)، وآية سورة الشعراء(١٤٩).[1]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٣)

تشابهت هذه الآية مع آيتي سورة الأعراف(٧٩،٧٨)، وآيتي سورة هود(٦٧،٦٦)، وآية سورة الشعراء(١٥٨)، وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)، وآيتي سورة فصلت(١٨،١٧)، وآيتي سورة الذاريات(٤٥،٤٤)،وآية سورة النجم(٥١)، وآية سورة القمر(٣١)،وآية سورة الحاقة(٥)،وآيتي سورة الشمس(١٥،١٤).[2]

وقد تم توجيه هذه المواضع فيما سبق.

---

[1] ينظر ص٣٢٠

[2] ينظر ٣٣٢

ونتشابهت مع ما بعدها في **وحدة واحدة:**

قال تعالى: ﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

(الحجر ٠٨٢)

قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

(الشعراء ١٤٩)

في هذه الوحدة **موضع تشابه** واحد:

جاء وصْف القوم في سورة الحجر بكونهم: ﴿ءَامِنِينَ﴾ وفي سورة الشعراء بكونهم: ﴿فَرِهِين﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال وصف بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قوله:﴿ءَامِنِينَ﴾ في سورة الحجر وقوله: ﴿فَرِهِين﴾في سورة الشعراء لأن قوله:﴿ءَامِنِينَ﴾ قد سبق ذكره في سورة الشعراء في قوله: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(الشعراء ١٤٦)، فوقع التوسّع بذكر غيره، ولمّا لم يُسبق له ذِكر في سورة الحجر كان حيث هو كائن.

ومعنى آمنين: أي آمنين من الانهدام وتخريب الأعداء، أو لفرط غفلتهم هم آمنين من العذاب[1]، أما فارهين فهي: مشتقة من الفراهة وهي النشاط، وقيل فارهين: أي أقوياء أو أشرِين بطرِين.[2]

---

[1] ينظر تفسير القرطبي ١٢٧/١٣، وتفسير البيضاوي ٣٨٠/٣

[2] ينظر روح المعاني ١١٣/١٩، والتسهيل لعلوم التنزيل ٨٩/٣

سورة الإسراء

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية، قال أبو جعفر:"حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباسﷺقال: نزلت سورة بني إسرائيل بمكة فهي مكية."[١]، وقد نزلت هي والأربع التي تليها من قديم ما أنزل [٢]، فعن ابن مسعودﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول وهنّ من تِلادي."[٣]

موضوعات السورة:

تهتم السورة بشؤون الدين والعقيدة والوحدانية، ومحورها الحديث عن قيمة القرآن الكريم، حيث تميزت هذه السورة بأنها تتكلم عن القرآن بشكل تفصيلي لم يرِد في باقي سور القرآن، حيث ورد فيها ذكر القرآن حوالي إحدى عشرة مرة، فبيّنت عظمة القرآن وحلاوته وانتقاله عبر الأمم إلى أمة محمد.

ثم تعرّضت السورة لمعجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لنبيه الكريم بعدما لاقاه من أذى المشركين وهي قصة إسراء النبي من مكة إلى المسجد الأقصى حيث التقى بجميع الأنبياء من آدم إلى عيسى عليهم جميعاً وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام، فتقدم وصلّى بهم، وهذه معجزةٌ ليس لها مثيلٌ في تاريخ البشرية، ولم تأت مصادفةً أو عبثا، وإنما هدفها كان تسليم الرسالة التي تناقَلها الأنبياء من قبلُ إلى رسولنا وأمته الذين سيحملون هذه الرسالة الخاتمة إلى يوم القيامة.

وسورة الإسراء مع سورة الشمس هما من السور التي انفردت بالإشارة إلى ثمود دون عاد، ولعلّ سبب ذلك في هذه السورة أن ثمود كانت من العرب مثل مشركي قريش فلهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه، حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوداً، أو لأنها من جهة أن الناقة حيوانٌ أُخرج من الحجر أوضح دليل

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٤٥/١

[٢] ينظر أسرار ترتيب القرآن ١١٣/١، والبيان في عد آي القرآن ١٧٧/١

[٣] ينظر صحيح البخاري ١٧٤٢/٤، باب سورة بني إسرائيل، حديث رقم ٤٤٣١

على تحقق مضمون قوله تعالى:﴿ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾(الإسراء ٥٠) [١]، أو لأن ورود قصة ثمود مناسبٌ لموضوع الآيات في السورة، وهو أن الآيات والمعجزات لا تُجدي الذين جاءت من أجلهم إذا كذبوا بها بل يحلّ عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾(الإسراء ٥٩)، فكانت الإشارة إلى ثمود هنا متسقةً مع سياق السورة.[٢]

سبب تسميتها بسورة الإسراء:

سميت السورة بسورة الإسراء لذِكر هذه المعجزة فيها دون غيرها من السور، كما سميت بسورة بني إسرائيل لانتقال الكتاب من بني إسرائيل إلى أمة محمدﷺ، ولأن كل أنبياء بني إسرائيل صلّوا خلف الرسولﷺ ليلة الإسراء، ولأنها تحدثت عن تفريط بني إسرائيل وعدم التزامهم لأوامر ربهم.

وقد تشابهت السورة مع ما قبلها في سورة الأعراف في موضعين وهما بحسب ترتيب سور المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء ٥٩)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)، وآية سورة هود(٦١)، وآيات سورة الشعراء (١٥٤،١٥٥)، وآية سورة الذاريات(٤٣)،وآية سورة القمر(٢٧)،وآية سورة الشمس(١٣).[٣]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأٓيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الإسراء ٥٩)

---

[١] ينظر الكشاف ١٨١/٥

[٢] ينظر رسالة القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ص١١٠

[٣] ينظر ص ٣٠٨

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف،(٧٧)،وآية سورة هود(٦٥)،وآيـــة سورة الشعراء(١٥٧)،وآيتي سورة الذاريات(٤٣،٤٤)،وآية سورة القمر(٢٩)،وآية سورة الشمس(١٤).[١]

وقد تم بحث هذين الموضعين المتشابهين فيما سبق.

[١] ينظر ص٣٢٨

سورة الشعراء

تم التقديم لهذه السورة في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت هذه السورة مع ما قبلها في سورة الأعراف في ثمانية مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾(الشعراء ١٤١-١٤٥)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)، وآية سورة هود (٦١)،وآية سورة النمل (٤٥) وآية سورة الذاريات(٤٣).[١]

الثـــــاني: قال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾(الشعراء ١٤٦-١٥٢)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة الأعراف(٧٤)، وآية سورة هود(٦١)،وآية سورة النمل(٤٦).[٢]

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾(الشعراء ١٤٩)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٤)،وآية سورة الحجر(٨٢).

الرابـــع: قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾(الشعراء ١٥٣-١٥٤)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٦،٧٥)،وآية سورة هــود(٦٢)،وآيــة سورة النمل(٤٧)،وآية سورة القمر(٢٤).[٣]

---

[١] ينظر ص٣٠٩

[٢] ينظر ص٣٠٩

[٣] ينظر ص٣١٦

الخـــــامس: قال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾(الشعراء ١٥٤-١٥٥)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآية سورة هـود(٦٤)،وآيـة سـورة الإسراء(٥٩)،وآية سورة الذاريات(٤٣)،وآية سـورة القمـر(٢٧)،وآيـة سـورة الشمس(١٣).[1]

الســـادس: قال تعالى: ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾(الشعراء ١٥٥-١٥٦)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآيتي سورة هود(٦٣،٦٤)،وآية سورة الحجر(٨١)، وآية سورة النمل(٤٧)،وآيتي سورة القمر(٢٧،٢٨).[2]

السابع: قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(الشعراء ١٥٧)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٧)،وآية سورة هود(٦٥)،وآيـة سورة الإسراء(٩٥)،وآيتي سورة الذاريات(٤٣،٤٤)،وآية سورة القمر(٢٩)،وآيـة سورة الشمس(١٤).[3]

الثـــامن: قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(الشعراء ١٥٨)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)، وآيتي سورة هـود(٦٦،٦٧)، وآية سورة الحجر(٨٣)، وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)، وآية سورة فصـلت(١٧)، وآية سورة الذاريات (٤٤)، وآية سورة النجم(٥١)، وآية سورة القمر(٣١)، وآيـة سورة الحاقة(٥)، وآية سورة الشمس(١٤).[4]

---

[1] ينظر ص٣٢٠

[2] ينظر ص٣٢٠

[3] ينظر ص ٣٢٨

[4] ينظر ص٣٣٢

وقد تشابهت كذلك مع ما قبلها في سورة الحجر في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(الشعراء ١٤٦)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الحجر (٨٢).[١]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

---

[١] ينظر ص٣٥٧

سورة النمل

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة الشعراء، آياتها ثلاث وتسعون [١]، قال أبو جعفر:"حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس أن سورة النمل نزلت بمكة فهي مكية."[٢]، قال ابن الجوزي –رحمه الله–: "وهي مكية كلها بإجماعهم"[٣]، وهي إحدى ثلاث سور نزلت متتالية ووُضعت في المصحف متتالية وهي الشعراء والنمل والقصص.

موضوعات السورة:

تناولت السورة الكريمة القرآن الكريم المعجزة الخالدة لمحمدﷺ وهي باقية إلى يوم الدين، يقول البقاعي رحمه الله– عن هذه السورة: "مقصودها وصْف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجِع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة".[٤]

ثم تحدثت عن بعض قصص الأنبياء فذكرت بالإجمال قصص موسى ولوط وصالح عليهم السلام وما نال أقوامهم من العذاب بسبب إشراكهم وإعراضهم عن دعوة الله، ثم تحدثت بالتفصيل عن قصة داود وولده سليمان عليهما السلام وما أنعم الله به عليهما من نِعم جليلة وفضل عظيم، ثم ذكرت قصة سليمانعليه السلام مع بلقيس، حيث أسلمت مع سليمانعليه السلام لله رب العالمين.

كما تناولت السورة الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانيته من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه، وساقت بعض الأهوال والشدائد من مشاهد يوم القيامة.

---

[١] ينظر البيان في عد آي القرآن ١/١٩٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١/١٦٢

[٢] ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٦١١

[٣] زاد المسير ٦/١٥٣، وينظر مصاعد النظر ٢/٣٣٢

[٤] نظم الدرر ١٤/١٢٢

وقد جاءت قصة صالح عليه السلام بعد قصة سليمان عليه السلام دون قصة عادٍ لقُرب المكان ووحدة الموضوع، أما قُرب المكان بين سليمان وصالح عليهما السلام فهما في مكانين في الحجر وفلسطين وكلاهما من بلاد الشام، وأما وحدة الموضوع فلأن السورة كلها مبنيّة على حِكمة الله وعِلمه كما في خبر النمل والهدهد وعرش ملكة سبأ.[1]

سبب تسميتها بسورة النمل:

سميت بسورة النمل لأن الله ذكر فيها قصة النملة التي وعظت جيشها بدخول مساكنهم حتى لا يحطِمنّهم سليمان وجنوده، حيث فهم نبي الله كلامها، وتبسّم ضاحكاً من قولها، وشكر الله على ما منحه من فضل وإنعام.

وقد تشابهت مع ما قبلها في سورة الأعراف في ثلاث مواضع وهي بحسب ترتيب المصحف:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(النمل ٤٥-٤٦)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٣،٧٤)، وآية سورة هود(٦١)، وآيات سورة الشعراء(١٤١-١٤٥)،وآية سورة الذاريات(٤٣).[2]

الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

(النمل ٤٧)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٧٣-٧٦)،وآيات سورة هود (٦٢-٦٤)،وآية سورة الحجر(٨١)، وآيات سورة الشعراء(١٥٣-١٥٦)،وآيات سورة القمر(٢٤-٢٨).[1]

---

[1] ينظر رسالة القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته للدكتور فضل عباس ص١١٧

[2] ينظر ص٣٢٠

الثالث: قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٥١-٥٣)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)،وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)،وآية سورة النجم(٥١)، وآية سورة القمر(٣١)،وآية سورة الحاقة(٥)،وآيتي سورة الشمس(١٤،١٥).[٢]

وتشابهت كذلك مع ما قبلها في سورة هود في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٥١-٥٣)

تشابهت هذه الآيات مع آية سورة هود(٦٦)،وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨).
وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.[٣]

---

[١] ينظر ص٣٢٠
[٢] ينظر ص٣٣٢
[٣] ينظر ص٣٥٠

سورة فصلت

تم التقديم لهذه السورة في قصة هود عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت السورة مع ما قبلها في سورة الأعراف في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧-٠١٨)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)،وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)،وآية سورة النجم(٥١)،وآية سورة القمر(٣١)،وآية سورة الحاقة(٥)،وآية سورة الشمس(١٤).[1]

وتشابهت كذلك مع ما قبلها في سورة هود في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧-٠١٨)

تشابهت مع آية سورة هود(٦٦)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣).[2]

---

[1] ينظر ص٣٣٢

[2] ينظر ص٣٥٠

وقد تشابهت السورة مع ما بعدها في **وحدة واحدة:**

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

(فصلت ٠١٧)

قال تعالى: ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

(الذاريات ٠٤٤-٠٤٥)

الموضع الأول:

قوله تعالى في موضع سورة فصلت: ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ بدون تعريف الصاعقة بأل كما في موضع سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

نوعه: تشابه بالتعريف والتنكير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت الصاعقة في سورة الذاريات مفردةً محلاةً بأل مناسبةً لِما سبقها في قصة هود عليه السلام من الريح المفردة المحلاة بأل في قوله تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾(الذاريات ٤١) ، أما الصاعقة في سورة فصلت فقد جاءت نكرة لمناسبتها كذلك للسابق عليها في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾(فصلت ١٣)، فهذا مشبّه به مذكور إجمالاً كان تفصيله في قوله تعالى: ﴿ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾.

الموضع الثاني:

وقعت الزيادة في موضع سورة الذاريات ببيان حال قوم صالحعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ دون وقوع هذه الزيادة في موضع سورة فصلت.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كانت هذه الزيادة في سورة الذاريات لأنها ناسبت ما سبقها من ذِكر الأخذ في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾فهكذا يكون الأخير ينظر إلى ما يُفعل به لا يستطيع فكاكاً ولا يرجو نصراً أو خلاصاً.

سورة الذاريات

تم التقديم لها في قصة نوحﷺ مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت فيها قصة صالحﷺ مع ما سبقها في سورة الأعراف في ثلاثة مواضع، وهي بحسب ترتيب سور المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾(الذاريات ٠٤٣)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآية سورة النمل(٦١)،وآيات سورة الشعراء(١٤١-١٤٥)،وآيتي سورة النمل(٤٥،٤٦).[1]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الذاريات ٠٤٣-٠٤٤)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٧٧)،وآية سورة هود(٦٥)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآية سورة الشعراء(١٥٧)،وآية سورة القمر(٢٩)،وآية سورة الشمس(١٤).[2]

الثالث: قال تعالى: ﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(الذاريات ٠٤٤-٠٤٥)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)، وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)، وآية سورة النجم(٥١)، وآية سورة القمر(٣١)، وآية سورة الحاقة(٥)، وآيتي سورة الشمس(١٤،١٥).[3]

---

[1] ينظر ص٣٠٩

[2] ينظر ص٣٢٨

[3] ينظر ص٣٣٢

وتشابهت كذلك مع ما قبلها في سورة فصلت في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ۝٤٥ ﴾(الذاريات ٠٤٤-٠٤٥)

تشابهت مع آية سورة فصلت(١٣).[١]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

---

[١] ينظر ص٣٦٧

سورة النجم

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما قبلها في قصة صالحعليه السلام في سورة الأعراف في موضعين وهما بحسب ترتيب السور في المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾

(النجم ٠٥١)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآية سورة هود(٦٤)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآيتي سورة الشعراء(١٥٤،١٥٥)،وآية سورة الذاريات(٤٣)،وآية سورة القمر(٢٧)،وآية سورة الشمس(١٣).[1]

الثاني: قال تعالى: ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴾

(النجم ٠٥١)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)،وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)،وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)،وآية سورة القمر(٣١)،وآية سورة الحاقة(٥)،وآية سورة الشمس(١٤،١٥).[2]

---

[1] ينظر ص٣٢٠

[2] ينظر ص٣٣٢

سورة القمر

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في قصة صالحعليه السلام في سورة الأعراف في خمسة مواضع، وهي بحسب ترتيب السور في المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

(القمر ٢٤-٢٥)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٥،٧٦)،وآية سورة هود(٦٢)،وآيتي سورة الشعراء(١٥٣،١٥٤)،وآية سورة النمل(٤٧).[١]

الثاني: قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾

(القمر ٢٧)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآية سورة هود(٦٤)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآيتي سورة الشعراء(١٥٤،١٥٥)،وآية سورة الذاريات(٤٣)،وآية سورة النجم(٥١)،وآية سورة الشمس(١٣).[٢]

الثالث: قال تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(القمر ٢٧-٢٨)

تشابهت مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآيتي سورة هود(٦٣،٦٤)،وآية سورة الحجر(٨١)، وآيتي سورة الشعراء(١٥٥،١٥٦)،وآية سورة النمل(٤٧).[٣]

الرابع: قال تعالى: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(القمر ٢٩)

---

[١] ينظر ص ٣١٦

[٢] ينظر ص٣٢٠

[٣] ينظر ص٣٢٠

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٧)،وآية سورة هود(٦٥)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآية سورة الشعراء(١٥٧)،وآيتي سورة الذاريات(٤٣،٤٤)،وآية سورة الشمس(١٤).[1]

الخامس: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾ (القمر ٣١)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)، وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)، وآية سورة الحجر(٨٣)، وآية سورة الشعراء(١٥٨)، وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)، وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)، وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)، وآية سورة النجم(٥١)، وآية سورة الحاقة(٥)، وآية سورة الشمس(١٤،١٥).

وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.[2]

---

[1] ينظر ص٣٢٨

[2] ينظر ص٣٣٢

سورة الحاقة

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما سبقها في قصة صالحعليه السلام في سورة الأعراف في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ ﴾

(الحاقة ٠٠٥)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)،وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)،وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)،وآية سورة النجم(٥١)،وآية سورة القمر(٣١)، وآية سورة الشمس(١٤،١٥).[1]

وقد سبق بحث هذه الآية المتشابهة في موضعها.

---

[1] ينظر ص٣٣٢

سورة الشمس

مكيتها ومدنيتها:

هي سورة مكية عظيمة، قال أبو جعفر:"حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباسﷺ أن سورة الشمس نزلت بمكة فهي مكية."[١] ، آياتها خمس عشرة آية[٢]، نزلت بعد سورة القدر وقبل سورة البروج[٣].

موضوعات السورة:

تناولت السورة موضوعين أساسيين:

الأول: موضوع النفس الإنسانية وما جُبلت عليه من الخير والشر.

الثاني: موضوع الطغيان ممثلاً في ثمود الذين عقروا الناقة فأهلكهم الله ودمّرهم، وكان غرض السورة من ذلك تهديد المشركين أنْ يصيبهم مثل عذاب ثمود بإشراكهم وتكذيبهم برسالة نبيهم، فبدأت السورة بالقسم بأشياء من مخلوقات الله جل وعلا لتأكيد هذا الخبر، فأقسم تعالى بالشمس وضوءها الساطع وبالقمر وبالنهار وبالليل، ثم ذكر تعالى قصة ثمود قوم صالحعليه السلام حين كذبوا رسولهم فطغوا وبغوا في الأرض وعقروا الناقة فأهلكهم الله عز وجل لطغيانهم.

واقتصر سبحانه في هذه السورة على ذكر قصة صالحعليه السلام مع قومه دون قصص سائر الأنبياء لأن هذا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– :" من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه لم يكن في الأمم المكذبة أخف ذنباً وعذاباً منهم، إذ لم يُذكر عنهم من الذنوب ما ذُكر عن عادٍ ومدين وقوم لوطعليه السلام وغيرهم، ولهذا لما ذكرهم وعاداً قال: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ ﴾(فصلت ١٥)، وقال: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ ﴾(فصلت ١٧)، وكذلك إذا ذكرهم مع

---

[١] ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٧٥٧/١، والناسخ والمنسوخ للمقري ١٩٨/١

[٢] ينظر البيان في عد آي القرآن ٢٧٥/١

[٣] ينظر التحرير والتنوير ٣٦٥/٣٠

الأمم المكذبة لم يذكر عنهم ما يُذكر عن أولئك من التجبّر والتكبر والأعمال السيئة كاللواط، وبخْس المكيال والميزان، والفساد في الأرض كما في سورتي هود والشعراء وغيرهما، فكان في قوم لوط مع الشرك إتيان الفواحش التي لم يُسبَقوا إليها، وفي عادٍ مع الشرك التجبّر والتكبّر والتوسّع في الدنيا وشدّة البطش وقولهم: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ وفي أصحاب مدين مع الشرك كان الظلم في الأموال، وفي قوم فرعون الفساد في الأرض والعلوّ."[1]

ويبيّن ابن قيم الجوزية -رحمه الله- سببا آخر لذلك بقوله :"وقد يظهر في تخصيص ثمود هنا بالذكر دون غيرهم معنى آخر، وهو أنهم ردّوا الهدى بعد ما تيّقنوه وكانوا مستيقنين به قد أثلجت له صدورهم واستيقنته أنفسهم، فاختاروا عليه العمى والضلالة، كما قال تعالى في وصفهم:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ ، وقال: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ أي موجبةً لهم التبصّر واليقين، وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم فإن الله لم يُهلك أمّةً إلا بعد قيام الحجة عليها، لكن خُصّت ثمود من ذلك الهدى والتبصرة بمزيد."[2]

ويقول:"فكان في تخصيصهم بالذكر تحذيرٌ لكل من عرف الحق ولم يتّبعه."[3]

وقد يكون هذا التخصيص بذكر ثمود دون عادٍ وغيرهم من الأمم السابقة لتناسبه مع موضوع السورة، فهي تتحدث عن وضوح الحق، وعن النفس وتسويتها خلقاً وإبداعاً كما بيّنا، وهذا يُلائم الحديث عن ثمود الذين عتوا وطغوا بعد رؤيتهم الناقة آية مبصرة.[4]

ثم خُتمت السورة ببيان أن الله لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم؛ لأنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤٩/١٦

[2] مجموعة تفسير شيخ الإسلام بن تيمية ص١٧٤

[3] مجموعة تفسير شيخ الإسلام ص١٧٥ لابن القيم.

[4] ينظر رسالة القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ص١١٠

سبب تسميتها بسورة الشمس:

سميت بسورة الشمس لأن الله أقسم بالشمس وضحاها في أول السورة بياناً لقدرة الله وعظمته في إيجاد هذا الكون، وعنونها الترمذي –رحمه الله–[١] في جامعه باسم (والشمس وضحاها)[٢]، وكذلك البخاري –رحمه الله–[٣] لعدم التباسها مع سورة التكوير(إذا الشمس كورت).[٤]

وقد تشابهت السورة مع ما قبلها في قصة صالحعليه السلام في سورة الأعراف في ثلاثة مواضع، وهي بحسب ترتيب سور المصحف كما يلي:

الأول: قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ (الشمس ١٣)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٣)،وآية سورة هود(٦٤)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآيتي سورة الشعراء(١٥٤،١٥٥)،وآية سورة الذاريات(٤٣)،وآية سورة النجم(٥١)،وآية سورة القمر(٢٧).[٥]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ (الشمس ١٤)

تشابهت هذه الآية مع آية سورة الأعراف(٧٧)،وآية سورة هود(٦٥)،وآية سورة الإسراء(٥٩)،وآية سورة الشعراء(١٥٧)،وآيتي سورة الذاريات(٤٣،٤٤)،وآية سورة القمر(٢٩).[٦]

---

[١] هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك أبو عيسى السلمي الترمذي، الحافظ الضرير، قيل: ولد أكمه،صاحب الجامع، مات في رجب ٢٧٩ هـ(ينظر الكاشف ٢٠٨/٢، والتقريب ٥٠٠/١)

[٢] ينظر سنن الترمذي ٤٤٠/٥

[٣] هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، مات سنة ٢٥٦هـ،في شوال وله ٦٢ سنة (ينظر التقريب ٤٦٨/١)

[٤] ينظر صحيح البخاري ٨٨٣/٤

[٥] ينظر ص٣٢٠

[٦] ينظر ص٣٢٨

الثالـــث: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

(الشمس ١٤-١٥)

تشابهت مع آيتي سورة الأعراف(٧٨،٧٩)،وآيتي سورة هود(٦٦،٦٧)،وآية سورة الحجر(٨٣)،وآية سورة الشعراء(١٥٨)،وآيات سورة النمل(٥١-٥٣)،وآيتي سورة فصلت(١٧،١٨)،وآيتي سورة الذاريات(٤٤،٤٥)،وآية سورة النجم(٥١)،وآية سورة القمر(٣١)، وآية سورة الحاقة(٥).[1]

وقد سبق بحث هذه الآيات المتشابهات في مواضعها.

[1] ينظر ص٣٣٢

القصة الرابعة

قصة شعيب عليه السلام

قصة شعيب عليه السلام

وردت هذه القصة في كتاب الله في السور والآيات التالية:

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٨٥-٠٩٣)

سورة هود: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

(هود ٠٨٤-٠٩٥)

سورة الحجر: قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

(الحجر ٠٧٨-٠٧٩)

سورة الشعراء: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ

ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾(الشعراء ١٧٦-١٩٠)

سورة **العنكبوت:** قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٣٦-٠٣٧)

وبذلك يكون مجموع الآيات التي وقعت فيها هذه القصة مكررةً أربعين آية، فيها الطويل والقصير وما بينهما، وفيها العبارات الدائرة حول معنىً واحد، ولكنها تختلف بالحذف والإثبات، والتقديم والتأخير، وإبدال لفظ بآخر، وفيما يلي عرض للآيات المتشابهة في هذه القصة على حسب ترتيب السور في المصحف.

سورة الأعراف

تم التقديم لها عند الحديث عن قصة نوح ﷺ مما يغني عن الإعادة.

الوحدة الأولى

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

(الأعراف ٠٨٥-٠٨٧)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾

(هود ٠٨٤-٠٨٦)

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

(الشعراء ١٧٦-١٨٤)

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٣٦)

هذه الآيات تحكي موضوع رسالة شعيب عليه السلام إلى قومه، وهو يدور حول ثلاثة أمور:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده.

الثاني: النهي عن التلاعب بالمكاييل والموازين.

والثالث: النهي عن الإفساد في الأرض والعتو فيها.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

اختلاف الاستهلال بالقصة في سور الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت، ففي سور الأعراف وهود والعنكبوت قال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ ﴾ ، وفي سورة الشعراء قال سبحانه:﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت هذه القصة في موضعي سورتي الأعراف وهود مناسبةً في طريقة بدئها لما قبلها مما هو قبل قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، ولذا فإن لهاتين القصتين نوع مغايرٌ في نمط بدئهما، ففي سورتي الأعراف وهود كان مطلع قصة شعيب عليه السلام مناسباً لمطلع قصتي صالح وهود عليهما السلام في السورتين، قال تعالى:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، وقال:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾

وكذلك موضع سورة الشعراء فهو مناسبٌ للسابق له من قصص نوح وهود وصالح عليهم السلام ، قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(الشعراء ١٠٥)، وقال

سبحانه: ﴿ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الشعراء ١٢٣)، وقال: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الشعراء ١٤١)

أما الوارد في سورة العنكبوت من الابتداء بالجار والمجرور ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ ﴾ وتقديمهما فذلك حتى يتأتّى الإيجاز في وصف شعيب عليه السلام بأنه أخوهم؛ لأن هذا الوصف غير موجود في نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام.[٧٣٣]

الموضع الثاني:

وقع الاستئناف في موضعي سورتي الأعراف وهود في قوله:﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ۖ ﴾ بدون حرف الفاء، بينما وقع العطف بالفاء في موضع سورة العنكبوت في قوله:﴿ فَقَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب ذلك أنه لما كانت قصص الأنبياء عليهم السلام في سورتي الأعراف وهود مفتَتَحة على هذا النسق، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾ (الأعراف ٥٩) ، وقال بعده: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾ (الأعراف ٦٥)، وقال بعده: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾ (الأعراف ٧٣)، وقال بعده: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ﴾ (الأعراف ٨٥)، إلا قصة نوح عليه السلام كانت مفتتحة بالواو، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ (هود ٢٥)، وهي في سورة الأعراف بلا واو، وقد بحثنا سبب ذلك في قصة نوح عليه السلام.[٧٣٤]

فلما تساوت هذه المعطوفات على المعطوف عليها الأول فكان الفعل المضمَر للمعطوف مثل المظهَر أولاً في التعلّق بالمرسَل والمرسَل إليهم كعاد المرسل إليهم هود عليه السلام، وكثمود المرسل إليهم صالح عليه السلام، وكمدين المرسل إليهم

---

[٧٣٣] ينظر التحرير والتنوير ١٦٨/٢٠

[٧٣٤] ينظر قصة نوح ص ٩٦

شعيبﷺ، جرى الجميع مجرىً واحداً، فكان التقدير: وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً، ولم يعترض بين القصص ما أُضمر فيه، خلاف ما أظهر قبل وهو: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾.

وكان هذا الأمر مختلفاً في سورة العنكبوت لأن القصة افتتحت بقوله:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾، وجاءت بعدها قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام فلم تجريا على الفعل الأول في التعلّق بالمرسل والمرسل إليهم كما كان ذلك في قصتي هود وصالح عليهما السلام في سورتي الأعراف وهود، بل جاء بعد قولِه:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ، قولُه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ (العنكبوت ١٦)، وقوله: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾، فلم يكن المعطوف على قصة نوحﷺ في هذه السورة كالمعطوف عليها فيما تقدم من سورتي الأعراف وهود، ولم يتعدّ الفعل المضمَر تعدّي الفعل المظهَر وكان جائزاً أن يكون المعنى: واذكر إبراهيم إذ قال لقومه، واذكر لوطاً إذ قال لقومه.

ثم جاءت قصة شعيبﷺ فأُجريت مجرى القصة الأولى التي هي قصة نوحﷺ في تعدّي الفعل فيها إلى المرسَل والمرسَل إليهم، وقد تخلّل وتوسّط ودخل بين القصص التي ذكر فيها المرسَل والمرسَل إليهم ما ليس مثله من الأفعال المضمرة كقصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، فجاء:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ﴾، فأُقيمت فيها دلالة على أن هذه القصة تجري مجرى القصة البعيدة عنها دون القريبة منها، وكانت الأولى يتساوى عطفها على ما قرُب منها وبعُد عنها لاستواء الفعل المظهَر والمضمَر، فكانت تلك الدلالة التي تدل على أنها مردودةٌ إلى القصة الأولى يقتضي أن تُتلقّى بما تُلُقيّت به قصة نوحﷺ من الفاء مع صحة المعنى، فلما كان:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

﴿ خَمۡسِينَ عَامًا ﴾تعلّق ما بعدها بالفاء، كما كانت الفاء في قوله:﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ ﴾ لِمَا ذكرنا.[٧٣٥]

وقيل أن قول شعيبعليه السلام كان مستأنفاً في موضع سورة الأعراف للدلالة على أن كلامه هذا ليس هو الذي فاتحهم به في ابتداء رسالته بل هو مما خاطبهم به بعد أن دعاهم مراراً، وبعد أن آمن به من آمن منهم.[٧٣٦]

وقيل أن الاستئناف كان في موضعي سورتي الأعراف وهود لمناسبته للقصص التي وردت قبل قصة شعيبعليه السلام.

أما في موضع سورة العنكبوت فقد جاء العطف بالفاء لوجود الفاء في القصص الواردة في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(العنكبوت ١٤)، وقوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(العنكبوت ٢٤)، وقوله: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾(العنكبوت ٢٦) [٧٣٧]؛ ولأن السابق المعطوف عليه هو قصة نوحعليه السلام، وحيث أنها كانت عاريةً عن ذكر مقالته لقومه، وكان فعل الإرسال فيها مُتلقّى بما فيه فاء العطف حيث قيل: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(العنكبوت ١٤) ، وكان قوله: ﴿ فَلَبِثَ ﴾في موضع قوله:﴿ فَقَالَ ﴾ لذلك جاء العاطف في هذا الموضع.

---

[٧٣٥] ينظر درة التنزيل ٤٧١/٢-٤٧٣، وملاك التأويل ٥٥٦،٥٥٥/١

[٧٣٦] ينظر التحرير والتنوير ٢٣٩/٨

[٧٣٧] ينظر كشف المعاني ص٢١٣

الموضع الثالث:

التنويه بأخوة شعيب ﷺ في مواضع سور الأعراف وهود والعنكبوت دون مجيء ذلك في موضع سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول البقاعي –رحمه الله– في توجيه عدم ذكر أخوة شعيب ﷺ في موضع سورة الشعراء: "لم يقل أخوهم إشارة إلى أنه لم يرسل نبياً إلا من أهل القرى تشريفاً لهم؛ لأن البركة والحكمة في الاجتماع وهم (أي أصحاب الأيكة) كانوا أهل بدو وكان هو(أي شعيب) قروياً."[٧٣٨]

وقيل أنه تعالى ذكر أخوة شعيب ﷺ لقومه حين ذكرهم باسم قبيلتهم مدين ولم يذكر أخوته حين نسب القوم إلى الأيكة [٧٣٩] التي هلكوا فيها تنزيهاً لشعيب ﷺ عن النسبة إليها.[٧٤٠]

وقيل أن ذِكر أخوة شعيب ﷺ عند ذِكر اسم قبيلة قومه مدين لأنه كان منهم، بينما لم تُذكر أخوته حين ذُكر أصحاب الأيكة لأنه ليس منهم، وأصحاب هذا الرأي هم القائلون بأن شعيباً ﷺ أُرسل مرتين أو ثلاث مرات إلى قومين أو ثلاث[٧٤١]، وقد ردّ الإمام ابن كثير –رحمه الله– هذا التوجيه في تفسيره ووجّهه بقوله: " هؤلاء– يعني أصحاب الأيكة – هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا (أخوهم شعيب) لأنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة وهى شجرة ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال:﴿ كَذَّبَ أَصۡحَـٰبُ

---

[٧٣٨] نظم الدرر ٨٥/١٤

[٧٣٩] الأيكة هي الأرض الجيدة التي تبتلع الماء وتنبت الشجر الكثير الملتف،وأصحاب الأيكة هم قوم شعيبﷺ واشتهروا بالأيكة حتى أصبحت علَماً بالغلبة معرفا باللام.(ينظر نظم الدرر ٨٥/١٤، والتحرير والتنوير ١٨٢/١٩)

[٧٤٠] ينظر أضواء البيان ٨٩/٣

[٧٤١] ينظر البحر المحيط ٣٦/٧، والكشاف ٣٣٧/٣

لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لم يقل:(إذ قال لهم أخوهم شعيب) إنما قـــال:﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نُسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً، ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظنّ أن أصحاب الأيكة غير أهل مـــدين فزعم أن شعيباً عليه السلام بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال ثلاث أمم."[٧٤٢]

ثم سرد ابن كثير بعض الروايات التي تذكر أن شعيباً عليه السلام أُرسل إلى أمتين وضعّفها، ثم استدل على صحة قوله بأن شعيباً عليه السلام أرسله الله إلى أمة واحدة هي مدين وهم أصحاب الأيكة برواية الحاكم في المستدرك على الصحيحين قال: "أخبرنا الحسن بن محمد الإسفرائيني [٧٤٣]، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء [٧٤٤]، حدثنا عبد المنعم بن إدريس [٧٤٥]، عن أبيه [٧٤٦]، عن وهب بن منبه[٧٤٧] قال: إن الله بعث شعيباً عليه السلام إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة، الشجر الملتف، وكانوا أهل كفرٍ بالله، وبخْسٍ للناس في المكاييل والموازين، وإفساد لأموالهم، وكان الله تعالى وسّع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش، استدراجاً منه لهم مع كفرهم به، فقال لهم شعيب عليه السلام: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ

---

[٧٤٢] تفسير ابن كثير ٣٤٦/٣

[٧٤٣] هو: أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى بن عامر الإسفرائيني، روى بجرجان عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن إسحاق السراج وأبي القاسم البغوي وابن أبي داود وغيرهم. (ينظر تاريخ جرجان ٥٤٦/١)

[٧٤٤] هو: محمد بن أحمد بن البراء العبدي القاضي وأبو الحسن البغدادي، وثّقه الخطيب وغيـره، مـات فـي شوال سنة٢٩١هـ (ينظر معرفة القراء الكبار ٢٦٤/١)

[٧٤٥] هو:عبد المنعم بن إدريس بن سنان بن كليب بن بنت وهب بن منبه يروي عن أبيه عن وهب، روى عنه العراقيون يضع الحديث على أبيه وعلى غيره من الثقات لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه كانت أمـه أم سلمة بنت وهب بن منبه مات سنة ٢٢٨هـ ببغداد (ينظر المجروحين ١٥٧/٢)

[٧٤٦] هو: إدريس بن سنان بن بنت وهب بن منبه، يروى عن جده وهب بن منبه، روى عنه أبو بكر بن عياش وابنه عبد المنعم، يتقى حديثه من رواية ابنه عبد المنعم عنه، مات سنة ٣٠٣هـ (ينظـر الثقـات ٧٧/٦، والإكمال ٣٢٦/٧)

[٧٤٧] هو: وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناوي، ثقة من الثالثة، مات سـنة ١١٤هـ(ينظـر تقريب التهذيب ٥٨٥/١)

وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ (هود ٨٤) فكان من قول شعيب عليه السلام لقومه وجواب قومه له ما قد ذكر الله في كتابه."[٧٤٨]

ثم قال رحمه الله : "والصحيح أنهم أمةٌ واحدة وُصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء (يعني أصحاب الأيكة)، وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواءً بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة."[٧٤٩]

الموضع الرابع:

جاء الأمر بالعبادة في موضعي سورتي الأعراف وهود بقوله:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ بينما جاء الأمر بالعبادة فقط دون قوله:﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ في موضع سورة العنكبوت، ولم يأت الأمر بالعبادة في موضع سورة الشعراء.

في هذا الموضع ثلاثة أنواع من التشابه:

النوع الأول من المتشابه: ورود الأمر بالعبادة في مواضع سور الأعراف وهود والعنكبوت دون ذكره في موضع سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أما الأمر بالعبادة في موضعي سورتي الأعراف وهود فلأنه مناسب للوارد في القصص السابقة على قصة شعيب عليه السلام في السورتين.

وأما الاقتصار على الأمر بالعبادة في موضع سورة العنكبوت فلأنه قد عمَد في هذه السورة إلى الإيجاز، كما أن ما لم يُذكر مفهومٌ ممّا ذُكر؛ لأن العبادة لا

---

[٧٤٨] ينظر المستدرك على الصحيحين ٦٢٠/٢، حديث رقم ٤٠٧٣، باب ذكر نبي الله شعيب عليه السلام

[٧٤٩] تفسير ابن كثير ٣٤٦/٣، وينظر القصة في القرآن لمحمد قطب ص٢٨١

تسمى عبادةً شرعية إلا إذا كانت خاصة بالمعبود مع اعتقاد أنه لا إله غيره، مع ما في ذلك من الإحالة في علمها على المواضع الأخرى التي ذُكرت فيها.

وأما عدم الأمر بالعبادة في موضع سورة الشعراء فلأنه ذُكر فيها ما هو في معنى العبادة ويستلزمها، وذلك هو الأمر بالتقوى والطاعة، كما أنه على نمط ما سبقه في قصص السورة نفسها، فأوّل مراتب التقوى والطاعة عبادة الله وحده لا شريك له الأمر المُشار إليه بقوله لهم: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٤)، فالخالق لا يُشرَك معه في العبادة من لا يَخلق: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (النحل ١٧)

النوع الثاني من التشابه: وقعت الزيادة في موضع سورة الأعراف على موضع سورة هود بقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وقعت هذه الزيادة في موضع سورة الأعراف لمناسبتها لسابقتها في سورة الأعراف في قصة صالح ﷺ، وذلك لأن البيّنة هي من الدعوة كالأساس الذي تقوم عليه، والقصة في سورة الأعراف كالأصل الأول لما بعدها من السور التالية لها في ترتيب المصحف، فورد التنويه بهذه البيّنة في سورة الأعراف في تلك القصتين، مع التنبيه على أن البيّنة التي جاء بها شعيب ﷺ إلى قومه لم تُذكر في القرآن.

النوع الثالث من التشابه: الزيادة في موضع سورة العنكبوت بقوله تعالى: ﴿ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل، حيث ورد هذا التفصيل في الأوامر والنواهي هنا دون ذكره في باقي المواضع.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وردت هذه الزيادة في موضع سورة العنكبوت لمناسبتها للسابق لها في قصة إبراهيم عليه السلام من تذكيره لقومه بهذا اليوم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (العنكبوت ٢٥)

الموضع الخامس:

جاء الأمر بإيفاء الكيل والميزان في سورة الأعراف:﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾، بينما جاء النهي عن نقص المكيال والميزان والأمر بإيفاء الكيل والميزان بالقسط في سورة هود:﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، أما سورة الشعراء فقد جاء الأمر بإيفاء الكيل والأمر بالوزن بالقسطاس المستقيم والنهي عن الإخسار:﴿ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

وهذه الاختلافات إنما هي في اللفظ مع بقاء المعنى الواحد وذلك لاختلاف المقام في كل موضع.

في هذا الموضع ثلاثة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: اقتُصر في موضع سورة الأعراف على الأمر بإيفاء الكيل والميزان بينما زاد عليه في موضع سورة هود بالنهي عن نقصهما وإيفائهما بالقسط.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل، الإجمال في سورة الأعراف والتفصيل في موضع سورة هود.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن التفصيل والزيادة في سورة هود مناسب لإطالة القصة في هذه السورة أكثر مما في سورة الأعراف، ولعلّ الواقع في موضع سورة الأعراف يكون حكايةً لأول أقوال شعيبعليه السلام لقومه فوقع في أول سورة ذُكرت فيها القصة، بينما جاء التفصيل في موضع سورة هود، فكان ذلك من تقديم التخْلية على التحْلية، وكان من المبالغة والتوكيد، ونفي كل إيهامٍ واحتمالٍ من قضية الاقتصار على الأمر دون النهي أو العكس.[٧٥٠]

وقيل جاء التصريح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده في موضع سورة هود مبالغةً وتنبيهاً على أنه لا يكفيهم الكفّ عن تعمّد التطفيف، بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها، فالتصريح بالأمر بالشيء بعد النهي عن ضدّه آكد، حتى لا يُفهم من النهي عن النقص فقط مجرد التقريب، وهذا دفعٌ لما يُتوهّم من أن في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ وما بعدها تكرارٌ لنفس الأمر، حيث أن الأولى أمر بالنهي عن ضد الشيء، والثانية أمر بإيفاء الشيء، وهما متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، وذِكْر أحدهما عقب الآخر في حكم التكرار المفيد لتأكيد الوفاء بالكيل والوزن، كما أن فيه إظهارٌ لعموم نفعه وشمول بركته [٧٥١]، كما أن في تقديم النهي على الأمر دليل على أنّ دفع المفاسد آكد.[٧٥٢]

أما تقييد هذا الأمر في موضع سورة هود بالقسط فللدلالة على أهمية الدقة والعدل بلا زيادة ولا نقصان.[٧٥٣]

---

[٧٥٠] ينظر التفسير الكبير ١٤/١٤١،

[٧٥١] ينظر التفسير الكبير ١٨/٣٤، والتحرير والتنوير ، ونظم الدرر٩/٣٥٢،٣٥٣، وحاشية الشيخ زاده ٣/٥٨

[٧٥٢] ينظر فتح الرحمن ص٢٦٩

[٧٥٣] ينظر الكشاف ٢/٣٩٤

النوع الثاني من المتشابه: جاء لفظ الكيل في موضعي سورتي الأعراف والشعراء بينما جاء لفظ المكيال في موضع سورة هود.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، وهو تشابه بالمجرد والمزيد فلفظ الكيل مجرد ولفظ المكيال مزيد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

فسّر الفخر الرازي –رحمه الله– معنى الكيل بقوله: "أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال، أو يسمى به ما يُكال به الكيل، كما يقال العيش لما يُعاش به."[٧٥٤]، وزاد الزمخشري –رحمه الله– على هذا التفسير بقوله: "أو أُريد فأوفوا الكيل ووزْن الميزان، ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر."[٧٥٥]

وفسّر البقاعي–رحمه الله– ذلك بقوله في تفسير سورتي الأعراف وهود بأنّ لفظ الكيل يُقصد معه المكيال، والمكيال يُقصَد معه الكيل، فقوله تعالى:﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾(الإسراء ٣٥) أي: والمكيال، وكذلك الأمر في الميزان والوزن، لكنه لم يوجه اختصاص كل موقع بما ورد فيه.[٧٥٦]

وقيل أن كلاً من ألفاظ الكيل والمكيال والوزن، وأنّ كلاً من لفظي المصدر ولفظ الآلة باقٍ على أصله فقد أمر بضبط الآلة في نفسها، ثم بضبط العمل في نفسه.

ولعل سبب ورود هذه الكلمة في سورتي الأعراف والشعراء لأن مقام ذِكْر القصة في هاتين السورتين أقلّ وأكثر اختصاراً ممّا في سورة هود، ولفظ الكيل أقل وأكثر اختصاراً من لفظ المكيال فوقع كل فيما يناسبه.

والأظهر أنّ اختلاف هذه الألفاظ في هذه الآيات مع اختلاف ما تعلّق بها من الألفاظ الأخرى والعبارات التي كانت من متمماتها كزيادة قوله:﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ۖ ﴾في

---

[٧٥٤] التفسير الكبير ١٤/١٤١

[٧٥٥] الكشاف ٢/١٢٠

[٧٥٦] ينظر نظم الدرر ٧/٤٦٠

موضع سورة هود والتعبير عن الميــزان:﴿ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ فــي موضــع سورة الشعراء، كذلك اختلاف هذه الألفاظ فيما جاءت فيه من الآيات الأخرى التي تناولت الكيل والميزان كقوله تعالى في سورة الأنعــام: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام ١٥٢)وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ ﴾ (الإسراء ٣٥)، وقوله في ســورة الــرحمن: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ (الرحمن ٨-٩)

فالظاهر أن هذه الاختلافات خاصةً ما كان منها راجعاً إلى ألفاظ الكيل والمكيــال، والوزن والميزان والقسطاس راجعةٌ إلى أن نظْم القرآن الكريم قائمٌ على اعتبــار الحروف بأصواتها، وحركاتها، والتئام هذه الحروف والحركات والأصوات في كل موضعٍ بما سبقها ولحقها من إخوانها، فتختلف الألفاظ لكنها فــي المعنــى متفقــة مجتمعه.[٧٥٧]

<u>النوع الثالث من المتشابه</u>: جاءت الزيادة في موضع سورة الشعراء على الأمر بإيفاء الكيل والميزان بالنهي عن إنقاص الميزان بقوله:﴿ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾دون باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

[٧٥٧] ينظر إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص١٦٧

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سورة الشعراء في إطنابها وتقريرها وسط بين ما في سورة الأعراف وما في سورة هود، وقد جاءت الآية في تركيبها وطريقة حكايتها متأثرةً برعاية فواصل السورة كلها، كما أن في هذه الزيادة تأكيد ومبالغة على المعنى.

الموضع السادس:

النهي عن الفساد جاء فاصلةً خُتمت به الآية في موضعي سورتي هود والعنكبوت في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾، بينما لم يقع فاصلةً في موضع سورة الأعراف بل كان بطريقة قوله تعالى:﴿ وَلا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ﴾

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء النهي عن الفساد فاصلةً في موضعي سورتي هود والعنكبوت لمناسبته للفواصل في السورتين.

أما الوارد في موضع سورة الأعراف فقد كان على غير هذه الطريقة، وكأنه كان من أول أقواله إليهم فليس فيه من المبالغة ما في سورتي هود والعنكبوت.

الموضع السابع:

وردت الزيادة بعد الأمر بالنهي في موضع سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ دون ذكرها في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

في موضع سورة الأعراف أخّر النهي عن الصدّ عن سبيل الله بعد جملة: ﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ولم يجعله في نسَق الأوامر والنواهي الماضية، ثم أعقبه بقوله:﴿ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ﴾؛ لأنه رتب الكلام على الابتداء بالدعوة إلى التوحيد ثم إلى الأعمال الصالحة لمناسبة أن الجميع فيه صلاح المخاطبين، فأعقبها ببيان أنها خيرٌ لهم إن كانوا مؤمنين، فأعاد تنبيههم إلى الإيمان، وإلى أنه شرط في إصلاح الأعمال، وبمناسبة ذِكر الإيمان عاد إلى النهي عن صدّ الراغبين فيه.[٧٥٨]

ثم إن قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ ﴾ شبيهاً بما حُكي في قصة صالحعليه السلام من محاولة إغواء كافري قومه لمؤمنيهم في قولهم لهم: ﴿ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرۡسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الأعراف ٧٥) ، أما قوله بعد ذلك:﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمۡۖ ﴾فهو شبيهٌ بما ورد في القصص السابقة في السورة نفسها من تذكير كل نبيٍ قومَه بأن الله جعلهم خلفاء من بعد سابقيهم قوم نوحعليه السلام وعاد، قال تعالى في قصة هودعليه السلام: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٍ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةًۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأعراف ٦٩)، وقال في قصة صالحعليه السلام: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأعراف ٧٤)

---

[٧٥٨] ينظر التحرير والتنوير ٨/٢٤٧

أما قوله:﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ فهو مرتبطٌ بذلك في المعنى، وشبيهٌ في التركيب بسابق قوله تعالى في قصة لوطعليه السلام: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأعراف ٨٤) ، وما ذكره بعد ذلك من انقسامهم إلى طائفتين مؤمنةٍ وكافرة فهو شبيهٌ بمثله السابق عليه في قصة صالحعليه السلاممن انقسام قومه إلى هذين الفريقين.[٧٥٩]

الموضع الثامن:

جاءت الزيادة بعد الأمر بإيفاء الكيل والوزن والنهي عن إنقاصهما في موضع سورة هود في قوله تعالى:﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ دون غيره من المواضع.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت هذه الزيادة هنا لأنه لمّا كان نظرهم بعد الشرك مقصوراً على الأموال، وكان نهيه عما نهى عنه موجباً لمحْقها في زعمهم، كانوا كأنهم قالوا: إنّا إذا اتبعناك فيما قلت فنِيَت أموالنا وأحوالنا فلا يبقى لنا شيء، فقال:﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.[٧٦٠]

---

[٧٥٩] ينظر نظم الدرر٧/٤٦١-٤٦٣،

[٧٦٠] ينظر نظم الدرر ٩/٣٥٤

الوحدة الثانية

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

(الأعراف ٠٨٨-٠٩٠)

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

(هود ٠٨٧)

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٥-١٨٧)

هذه الآيات تحكي ردود قوم شعيب عليه السلام على نبيهم.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاءت حكاية رد قوم شعيب على نبيّهم عليه السلام مختلفةً في كل موضع رغم أن المحكي واحد.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

مع أن المحكي واحد إلا أن للأنبياء مع أقوامهم مواقف متكررة، تتعدد فيها المقاولات وتتكرر، وتختلف في المحكيّ على نحو الاختلاف في الحكاية، كذلك

كانت هذه الأقوام طوائف وجماعات، ومتبوعين وأتباع ولكلٍ مقالته وكلمته، وعلى ذلك فإنه لا اختلاف ولا تناقض بين هذه الردود المحكية وإنما وُضـع في كل موضع ما يناسبه من الحكاية والكلام.

فقولهم في موضع سورة الأعراف: ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٧٦١]، شبيهٌ بما ورد قبله في نفس السورة في قصة لوط عليه السلام مع قومه حين قال بعض القوم لبعضهم: ﴿ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأعراف ٨٢)

أما قولهم في موضع سورة هود: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لأنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ فهو شبيهٌ بالمذكور قبل

---

[٧٦١] اختلف المفسرون في معنى قوله:﴿ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ﴾ على أقوال، وذلك لأن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة، كما قال بذلك الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن (٣٦٨/١)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه(٣٥٧/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز(١١٢/٧)، وابن الجوزي في زاد المسير(٢٣٠/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (١٣٢/٤)، يقول البغوي:" وأهل الأصول على أن الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم تُبيّن له شرائع دينه." أقول: فكيف يُقال لشعيب لتعودن في ملتنا؟ والجواب أن المفسرين في ذلك على أقوال هي:

الأول: أن المراد بالخطاب هم قوم شعيب لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا فأجاب عنهم، وممن قال بهذا القول البغوي في معالم التنزيل (١٨١/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩٧/٢، ٣/٤) وهؤلاء فسروا الملة بالكفر كما هو مدلول اللفظ، ولم يفسروها كما فسرها ابن عطية بالعود إلى الحال التي كانوا عليها وهو القول الثاني.

الثاني: أقرّ ابن عطية العَود على معناه المعروف، ولكن جعله عَوداً إلى سكوت شعيب عن دين قومه أي عَوداً إلى ترك الأمر والنهي ودعوتهم إلى الإيمان، (ينظر تفسيره المحرر الوجيز (٧١/١٠)،

الثالث: أن قوم شعيب خاطبوا نبيهم بخطاب أتباعه على اعتبار التغليب حيث غلّبوا لفظهم على لفظه لكثرتهم وانفراده، أي: لتعود يا شعيب في الملة السابقة للذين اتبعوك قبل إيمانهم بك، وممن قال بذلك الشنقيطي في أضواء البيان (٣٩/٢)، والرازي في التفسير الكبير(١٤٤/١٤)، والزمخشري في الكشاف(١٢٣/٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير(٦/٩)، والبقاعي في نظم الدرر(٤٥٩/٧)

الرابع: استعمال عاد بمعنى صار، عندها ترفع الاسم وتنصب الخبر فلا تكتفي بمرفوع بل تفتقر إلى خبر منصوب فيصبح المعنى: لتصيرن في ملتنا بعد أن لم تكونوا فيها، ونقلت هذا القول عن ابن عطية في المحرر الوجيز (١١٠/٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/٧)، والشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي (٢٥٦/٢)، وهذا القول هو الأظهر والله أعلم.

في السورة نفسها في قصة صالح عليه السلام: ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ (هود ٦٢)

وكذلك كان ما تبع ردّهم من ردّ شعيب عليه السلام عليهم، ثم ردّهم عليه وإطالة هذه المقاولات بينه وبينهم في هذه السورة خاصة مناسبٌ لما سبق بيانه من أن القصص في هذه السورة جاءت مطولةً ومبسوطةً أكثر مما في غيرها من السور، لذلك كانت هذه الإطالة مناسبةٌ للقصص الواردة في السورة نفسها، فها هو شعيب عليه السلام يقول لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود ٨٨) وهذا على شبهٍ كبير بقول نوح عليه السلام لقومه في السورة نفسها: ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (هود ٢٨)، وكذلك شبيهٌ بما قاله صالح عليه السلام لقومه في نفس السورة: ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ (هود ٦٣)

وهاهو شعيبٌ عليه السلام يحذرهم مغبّة شِقاقه ويأمرهم بالاستغفار والتوبة: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ (هود ٩٠)، وهذا شبيهٌ بما حُكي عن نوح وهود وصالح عليهم السلام من أمْرهم لأقوامهم بالاستغفار والتوبة في السورة نفسها ويكون ذلك بأجمعه مردودٌ إلى ما ذُكر في صدر السورة من أمر نبينا ﷺ لقومه بالاستغفار والتوبة، وهاهو أيضا يقول لهم: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾ (هود ٩٣)، فيكون هذا شبيهاً بقول نوح عليه السلام السابق في السورة نفسها: ﴿ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (هود ٣٨-٣٩)

وما من قول قاله بعد ذلك لقومه، أو قاله قومه لـــه إلا وهـــو قـــوي الشـــبه والمناسبة لسابقه أو لاحقه في نفس السورة.

وقولهم في موضع سورة الشعراء:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ شبيهٌ بالسابق عليه في قصة صالح عليه السلام في قول قومه له: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٣-١٥٤) مع قوله بعد ذلك في السورة نفسها: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأعراف ٩٠)

الموضع الثاني:

جاء القول مستأنفاً في موضع سورة الأعراف في قوله:﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾، بينما وقع معطوفاً بالواو في قوله تعالى من السورة نفسها والقصة نفسها:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وقع القول الأول مستأنفاً كالقولين الواقعين في موضعي سورتي هود والشعراء؛ لأنه جوابٌ عن سؤالٍ مقدّر يُفهم من السياق.

أما القول الثاني فأياً ما كان معطوفاً على قولهم الأول أو على قول شعيب عليه السلام:﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فلم يقع مستأنفاً لضَعف معالم الجوابية فيه فالمَقول ضعيف الالتقاء بسابق قول شعيب عليه السلام لهم ولم يجابهوه به ولكنه وقع من بعضهم لبعض.[٧٦٢]

---

[٧٦٢] ينظر التحرير والتنوير ٩/٧،

الموضع الثالث:

وُصف الملأ أولاً بالاستكبار في موضع سورة الأعراف، وبالكفر ثانياً في نفس القصة والسورة مع أن الملأ واحد.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال صفة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

وُصف الملأ أولاً بالاستكبار وثانياً بالكفر لإفادة جمع الوصفين له؛ ولأن الاستكبار أسْبق من الكفر وسببه وباعثه، ولأن الثاني مباشرٌ لذكر نزول العذاب وهو على الكفر لا مجرد الاستكبار؛ لأن من الاستكبار ما لا يكون كُفراً، ولأن قولهم الأول أقرب إلى الاستكبار منه إلى الكفر وقولهم الثاني أشبه بالكفر منه إلى الاستكبار، فالأول محادّة ومعاندة وعلوّ في الأرض والثاني الحكم بخسران من ترك دين الآباء واتبع شعيباً عليه السلام.[٧٦٣]

وقيل أن وصف الملأ بالاستكبار في الآية الأولى لمناسبة حال مجادلتهم شعيباً عليه السلام، ووصفهم بالكفر في الآية الثانية لمناسبة الكلام المحكي عنهم والدّال على تصلّبهم في كفرهم.[٧٦٤]

الموضع الرابع:

ذُكر الملأ في موضع سورة الأعراف دون باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن الملأ هم أشراف القوم وقادة الرأي فيهم، فإذا نُسب القول إلى الملأ تارة فلا غضاضة؛ لأنهم من القوم بمنزلة الرأس من الجسد، وإذا نُسب إلى القوم تارةً أخرى فلا غضاضة لأنهم على قول الملأ يقولون به ويعتقدونه، فمهما يكن القول

---

[٧٦٣] ينظر نظم الدرر ٦/٨،

[٧٦٤] ينظر التحرير والتنوير ١٢/٩

قولهما معاً، أو قول واحدٍ منهما فلا غضاضة في حكايته عن واحدٍ منهما. ويؤيد ذلك جواز إطلاق الملأ على القوم والجماعة في اللغة والاستعمال.[٧٦٥]

كما أن نسبة القول إلى الملأ في موضع سورة الأعراف كان متناسباً مع ردود أقوام نوح وهود وصالح عليهم السلام في نفس السورة، بالإضافة إلى أن سورة الأعراف كما بيّنا أكثر من مرة أصلٌ لباقي السور في حكاية هذه القصص، والملأ أصل الكفر فوقع الأصل في الأصل، بينما وقعت حكاية ردود سائر الأقوام الكافرين في سورتي هود والشعراء بطريقة ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ فناسب بعضها بعضاً.

الموضع الخامس:

وقعت الزيادة في موضع سورة هود بنداء قوم شعيب عليه السلام لنبيهم في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيۡبُ ﴾، بخلاف موضعي سورتي الأعراف والشعراء حيث جاء القول بدون حرف النداء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف النداء وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان اختصاص ما في سورة هود بالنداء لمناسبته لما كان في السورة في سائر قصصها من إبراز مثل هذا النداء من الأقوام إلى رسلهم، خاصةً أنه قد تكرر في السورة نفسها قول شعيب عليه السلام لهم:﴿ قَالَ ﴾ فكان من المناسبة إبراز الرد عليهم بمثل الطريقة نفسها من نداء المخاطب اهتماماً، وقد تكرر ذلك في السورة نفسها في القصة نفسها.

أما في موضعي سورتي الأعراف والشعراء فلم تَشِع هذه الطريقة بل كانت الردود فيها غير مصدّرة بالنداء، فلا يُذكر النداء قط، وإذا ذُكر كان في أثناء الكلام كالواقع في سورة الأعراف في قصة شعيب عليه السلام من قوله تعالى:﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ

[٧٦٥] ينظر تاج العروس ٤٣٦/١، ومختار الصحاح ٢٦٣/١، والفرق ٣٠٧/١

لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأعراف ٨٨)، وكالواقع في سورة الشعراء في قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (الشعراء ١١٦) ، وفي قصة لوط عليه السلام في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٦٧)، وليس ذلك كتصدّر النداء لا في إظهار مزيد الاهتمام، ولا في المقابلة لقول النبي عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ بتصدير النداء، كما أن كلّ مقولٍ في موضعه جاء مناسباً لما قبله، فقولهم في سورة الأعراف: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ شبيهٌ بما حُكي عن قوم لوط عليه السلام في قولهم: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأعراف ٨٢)، وقولهم في سورة الشعراء: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ شبيهٌ بما حُكي عن قوم صالح عليه السلام في قولهم: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٣-١٥٤)

الوحدة الثالثة

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٩١-٠٩٣)

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

(هود ٠٩٤-٠٩٥)

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

(الحجر ٠٧٨-٠٧٩)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٩)

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٣٧)

هذه الآيات تحكي العذاب النازل بالكافرين من قوم شعيب عليه السلام.

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

اختلاف حكاية العذاب الذي حلّ بالكافرين من قوم شعيب عليه السلام في كل موضع من المواضع السابقة.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان كل مما في موضعي سورتي الأعراف وهود على نفس الطريقة المتّبعة في غالب قصص السورة في حكاية نزول الهلاك بالكافرين ونجاة المؤمنين، فقوله

تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾على تمام الشبه بسابقه في قصة صالح عليه السلام في نفس السورة من أخذ الرجفة وتوحيد الدار، كذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ له شبهٌ ونظير من قصة صالح عليه السلام لقومه حيث يقول لهم بعد هلاكهم: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأعراف ٧٩)، وكان قوله:﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾على أكبر التقاءٍ بسابق قولهم:﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فبينما يرون الخسارة في اتباعه إذا هو في عدم اتباعه.

كما أن في تكرار وصف الكافرين من قوم شعيب عليه السلام بالتكذيب تأكيدٌ على أن تكذيب الرسل في غاية الشناعة، وإعلامٌ بأنه سببٌ في تعرّضهم لأعظم الهلاك، وفيه تنبيهٌ وإيقاظٌ للسامعين وهم مشركوا العرب ليتّقوا عاقبة أمثالهم في الشرك والتكذيب على طريقة التعريض، كما أنّه مبالغةٌ في ردّ مقالتهم لأشياعهم، وتسفيه آرائهم، واستهزاءٍ بنصحهم لقومهم، واستعظامٍ لما جرى عليهم.[٧٦٦]

أما في سورة هود فقد جاء التنويه بمجيء الأمر مصدّراً بكلمة (لمّا) وذُكرت التنجية للنبي والذين آمنوا معه برحمة من الله، ثم جاء ذِكر الأخذ بالصيحة مع جمع الدار، ثم ذِكر قوله تعالى:﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾، فكان ذلك شبيهاً بما يسبقه في السورة نفسها في ختام قصة صالح عليه السلام وقصة هود عليه السلام ، كما أن هذا التشبيه كان بسبب التشابه بين الأمتين في العذاب الواقع بهما، فكلْتا الأمتين جاءتهم الصيحة غير أن صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت فوقهم.[٧٦٧]

---

[٧٦٦] ينظر نظم الدرر ٨/٨، والتحرير والتنوير ١٤/٩

[٧٦٧] ينظر حاشية الشيخ زاده ٦٣/٣

وأما قوله تعالى في سورة الشعراء:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾فهو شبيهٌ لما يسبقه في قصة صالحعليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾(الشعراء ١٥٦)، ويلتقي مع ما قاله قوم شعيبعليه السلام لنبيهم: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾(الشعراء ١٨٧)، قالوه استهزاءً فإذا هو بنفسه يكون والظّلة والكِسف شيءٌ واحد.

أما ما ورد في موضع سورة العنكبوت من ذِكر الخبر بطريقة مختصرة فهو مناسبٌ لاختصار القصة في السورة، وموافقٌ للوارد في موضع سورة الأعراف بالحرف الواحد.

مع ملاحظة أن كل ما ورد في طريقة تسليط العذاب عليهم في هذه القصة ورد بطريقة التعبير بمادة الأخذ، لأنها دالّة على قوة التسلّط، وكثيراً ما استُخدمت بمعنى القهر والغلبة، واشتهرت في الإهلاك والاستئصال[٧٦٨].

الموضع الثاني:

جاءت تسمية الشيء الذي حصل به هلاك قوم شعيبعليه السلام بالرجفة في موضعي سورتي الأعراف والعنكبوت، وبالصيحة في موضع سورة هود، وبالظلة في موضع سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الرجفة هي الزلزلة الشديدة، والصّيحة هي صيحة جبريل التي حركتهم وزلزلتهم من أماكنهم، وقيل هي الهلاك والعذاب[٧٦٩] ، والظُلّة هي سحابه خرجت منها نيرانٌ فأحرقتهم .[٧٧٠]

---

[٧٦٨] ينظر تاج العروس ٣٦٣/٩

[٧٦٩] ينظر لسان العرب ٥٢١/٢، ١١٣/٩

[٧٧٠] ينظر تذكرة الأريب في تفسير الغريب٤٤/٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن ٣٢١/١

وقيل أن من معانيها الصيحة.[٧٧١]

وعلى هذا فلا تناقض بينها بل يمكن الجمع بين معانيها بقولنا أن جبريل صاح بهم صيحةً رجفت بها قلوبهم، وتزلزلت الأرض بسببها من تحت أقدامهم، فخرجوا من بيوتهم هاربين، فأخذهم الحر الشديد، فأبصروا سحابةً وارفة الظلال فاستظلوا بها، فأرسل الله عليهم منها نيراناً فأحرقتهم.[٧٧٢]

وقيل أن ما أصابهم كان عبارةً عن صواعق خرجت من سحابة، وهي الصيحة التي خرجت من الظلة، وكذلك زلازل من تحتهم وهي الرجفة.[٧٧٣]

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:"كان عذاب قوم صالح وقوم شعيب كلاهما سواء كان الصيحة بالعذاب، أما قوم صالح عليه السلام فأخذتهم الصيحة من تحت أرجلهم وقوم شعيب عليه السلام أخذتهم من فوق رؤوسهم."[٧٧٤]

الموضع الثالث:

جاء توحيد الدار عند ذكر الرجفة في موضعي سورتي الأعراف والعنكبوت، وجاء جمع الديار عند ذكر الصيحة في موضع سورة هود.

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

بحثت ذلك بالتفصيل في قصة صالح عليه السلام وحاصلُه أنه حيث عبر بالرجفة وحّد الدار إشارة إلى شدة العذاب وعظمه، وحيث ذكر الصيحة جمع، إشارةً إلى عموم الموت بشدة الصوت ولا تعارض بينهما؛ لأن العذاب كان حاصلاً بكليهما.

---

[٧٧١] ينظر تاج العروس ٤٠٨/٢٩

[٧٧٢] ينظر تفسير أبي السعود ٢٦٣/٦، وكشف المعاني ص١٨٠، ودرة التنزيل ص٣٨٣وحاشية الشيخ زاده ١٣/٤، وينظر تخريج هذا الاختلاف في قصة صالح عليه السلام ص ٣٣٥

[٧٧٣] ينظر التحرير والتنوير ١٣/٩

[٧٧٤] ينظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١٩٠/١، والتفسير الكبير ٤٢/١٨

كما أن الرجفة دالّة على الشدة وهذا مناسب لتوسّط طول القصة في سـورة الأعراف وقصرها في سورة العنكبوت، بينما الصيحة دالّة علـى العمـوم وهـذا مناسبٌ لإسهاب القصة في سورة هود.[٧٧٥]

[٧٧٥] ينظر قصة صالح عليه السلام ص ٣٤٠

سورة هود

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما قبلها في ثلاثة مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ (هود ٨٤-٨٦)

تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة الأعراف(٨٥-٨٧)، وآيات سورة الشعراء(١٧٦-١٨٤)، وآية سورة العنكبوت(٣٦).[٧٧٦]

الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لأنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ (هود ٨٧)

تشابهت هذه الآية مع آيات سورة الأعراف(٨٨-٩٠)، وآيات سورة الشعراء(١٨٥-١٨٧).[٧٧٧]

الثالث: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ (هود ٩٤-٩٥)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٩١-٩٣)، وآيتي سورة الحجر(٧٨،٧٩)، وآية سورة الشعراء(١٨٩)، وآية سورة العنكبوت(٣٧).[٧٧٨]

وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهة في مواضعها السابقة.

---

[٧٧٦] ينظر ص ٣٨٣

[٧٧٧] ينظر ص ٣٩٩

[٧٧٨] ينظر ص ٤٠٦

سورة الحجر

تم التقديم لها في قصة صالح‌عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما قبلها في موضع واحد:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الحجر ٧٨-٧٩)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٩١-٩٣)، وآيتي سورة هود(٩٤،٩٥)، وآية سورة الشعراء(١٨٩)، وآية سورة العنكبوت(٣٧).[٧٧٩]

وتم بحث هذه الآية المتشابهة في موضعها.

---

[٧٧٩] ينظر ص ٤٠٦

سورة الشعراء

تم التقديم لها في قصة نوح عليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما قبلها في ثلاثة مواضع:

الأول: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٧٦-١٨٤)

تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة الأعراف(٨٥-٨٧)، وآيات سورة هود(٨٤-٨٦)، وآية سورة العنكبوت(٣٦).[٧٨٠]

الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٥-١٨٧)

تشابهت هذه الآيات مع آيات سورة الأعراف(٨٨-٩٠)، وآية سورة هود(٨٧).[٧٨١]

الثالث: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٩)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٩١-٩٣)، وآيتي سورة هود(٩٤،٩٥)، وآيات سورة الحجر(٧٨-٧٩)، وآية سورة العنكبوت(٣٧).[٧٨٢]

وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهة في مواضعها.

---

[٧٨٠] ينظر ص ٣٨٣

[٧٨١] ينظر ص ٣٩٩

[٧٨٢] ينظر ص٤٠٦

سورة العنكبوت

تم التقديم لها في قصة نوحعليه السلام مما يغني عن الإعادة.

وقد تشابهت مع ما قبلها في موضعين:

الأول: قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (العنكبوت ٣٦)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٨٥-٨٧)، وآيات سورة هــود(٨٤-٨٦)، وآيات سورة الشعراء(١٧٦-١٨٤).[٧٨٣]

الثاني: قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (العنكبوت ٣٧)

تشابهت مع آيات سورة الأعراف(٩١-٩٣)، وآيتي سورة هــود(٩٤،٩٥)، وآيتي سورة الحجر(٧٨،٧٩)، وآية سورة الشعراء(١٨٩).[٧٨٤]

وقد تم بحث هذه الآيات المتشابهة في مواضعها.

---

[٧٨٣] ينظر ص ٣٨٣

[٧٨٤] ينظر ص ٤٠٦

الموازنة بين المتشابه اللفظي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام

الموازنة بين المتشابه اللفظي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام.

كانت طريقتي في القصص السابقة قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام المقارنة بين آيات كل قصة على حدة، الآيات التي تتفق في المعنى لكنها تختلف في ألفاظها وطريقة أدائها، لكني هنا قمت بدراسة المفارقات التي تكون بين آيتين أو أكثر بين قصتين أو ثلاث أو أربع، وقد قسّمت هذه المتشابهات إلى ثلاث مراحل، وتحت كل مرحلة عدد من الوحدات حتى تسهل دراستها، وذلك بالنظر إلى ترتيب السور في المصحف.

المرحلة الأولى

هذه المرحلة تتعلق بأقوال الأنبياء لأممهم.

سورة الأعراف

الوحدة الأولى

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾

(الأعراف ٠٥٩)

ومثل ذلك في سورة المؤمنون في نفس القصة: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٣)

وقال في سورة هود: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(هود ٠٢٨-٠٢٩)

وقال في سورة الشعراء: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

(الشعراء ١٠٦)

ثم قال في نفس القصة ونفس السورة: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾

(الشعراء ١١٠)

وقال سبحانه في قصص هود وصالح وشعيب عليهم السلام في سور الأعراف وهود والشعراء: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦٥)

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

(هود ٥٠-٠٥١)

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

(الشعراء ١٢٤)

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٣)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

(هود ٠٦١)

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾

(الشعراء ١٤٢)

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(الأعراف ٠٨٥)

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

(هود ٠٨٤)

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٧٧)

وقال سبحانه في قصة شعيب عليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٣٦)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

ذُكر القول معطوفاً بحرف الفاء في قصة نوحعليه السلام، وفي القصص الأخرى ذُكر مستأنفاً، إلا في قصة شعيبعليه السلام في سورة العنكبوت فإنه ذُكر معطوفا بحرف الفاء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

تم توجيه ذلك في كل موضع في القصص السابقة، وتم بيان سبب وقوع كل طريقة حيث وقعت[٧٨٥]، والقاعدة في ذلك أنّ الأصل والغالب في قصة نوحعليه السلام أن يُذكر حرف الفاء متصدراً، والأصل في قصص هود وصالح وشعيب عليهم السلام سقوط هذا الحرف بل تأتي الأقوال فيها مستأنفة، ولعل ذلك لأن ذكر الفاء هو الأصل وقصة نوحعليه السلام كالأصل لباقي القصص، ولعدم التقدير فيه، وقصة نوحعليه السلام كالأصل لكل القصص لأنها قصة أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، ولأن حرف الفاء يدل على التعقيب المفيد للمسارعة في التبليغ والإكثار منه، وقد قام نوحعليه السلام في هذا المجال بما لم يقم به غيره من الأنبياء، حيث أنه كان مواظباً على دعواهم، وما كان يؤخّر الجواب عن شبهاتهم لحظةً واحدة، أمّا غيره من الأنبياء فلم يصلُوا إلى هذا الحد من المبالغة ناسب كونه في قصة نوحعليه السلام[٧٨٦]، يقول الشيخ زاده –رحمه الله– في حاشيته في بيان سبب العطف بالفاء في قصة نوحعليه السلام: "لأن دعوة نوح لم تتأخر عن إرساله ولأنه باشر الدعوة بُعيد الإرسال."[٧٨٧]

---

[٧٨٥] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١٠١، وقصة هودعليه السلامص ٢٤٠، وقصة صالحعليه السلام ص ٣٠٩، وقصة شعيبعليه السلام ص ٣٨٥

[٧٨٦] ينظر التفسير الكبير ١٢٦/١٤، و حاشية الشيخ زاده ٢٥٠/٤، وحاشية الصاوي ٨١/٢، وحاشية الجمل ١٥٦/٢

[٧٨٧] حاشية الشيخ زاده ٢٥٠/٤

ولعلّ ذلك أيضا لأن قصة نوحعليه السلام تملأ الذهن بمقالته ومقالة قومـــه، فـــإذا وردت القصص الأخرى كانت النفس متأهبةً لمعرفة قول الرسل لأقوامهم، ومـــاذا كان ردّ الأقوام عليهم، فيكون ذلك مدعاةً للاستئناف جواباً على الســؤال المقــدر [٧٨٨]، كذلك كان تقدم قصة نوحعليه السلام مدعاةً للتصريح بفعل الإرسال فيها، وهو ممـــا يليق بذكر حرف الفاء، بخلاف القصص الأخرى فإنها في غالبها غير مصرّح فيها بفعل الإرسال، بل إنه مُضمر فيها والتقدير: (وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً فقـــال) وأضمر معه الفاء لأن داعي الفاء لفظ (أرسلنا)، هذه القاعدة لا يشذّ عنها إلا ما قلّ ويكون لسرٍ وسبب، كالاستئناف في بعض مواضع قصـــة نـــوحعليه السلام ، والعطـــف بحرف الفاء في قصة شعيبعليه السلام في سورة العنكبوت، والعطف بحرف الواو فـــي قصة هودعليه السلام في سورة المؤمنون.[٧٨٩]

وقد بيّنت توجيه كل ذلك في مواضعها الواردة في القصص السابقة.[٧٩٠]

الموضع الثاني:

التصريح بفعل الإرسال في قصة نوحعليه السلام دون ذكره في باقي القصص.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

ورد فعل الإرسال في قصة نوحعليه السلام لأنها كانت أول قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولم يكُن للعرب عهدٌ بمحاورات الأنبياء وأقوامهم المرسلين إليهم فأتى فيها بالأصل ﴿ أَرۡسَلۡنَا ﴾،

أما قصة هودعليه السلام فقد أتت بعد عِلم السامعين بقصة نوحعليه السلام ممّا وقع من تبليغه لهم، وردّهم عليه، فلما ذُكرت قصة هودعليه السلام تشوّف السامعون إلى أن يقول

---

[٧٨٨] ينظر الكشاف ١١٠/٢، والتحرير والتنوير ٢٠١/٨

[٧٨٩] ينظر بصائر ذوي التمييز ٢١٠/١

[٧٩٠] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١٠١، وقصة هودعليه السلام ص ٢٤٥، وقصة شعيبعليه السلام ص ٣٨٥

لقومه كما قال نوح عليه السلام لقومه، وتساءلوا هل كان ردّ قومه عليه كردّ قوم نوحٍ عليه السلام أو كان الأمر بخلاف ذلك، فأجيب بقوله:﴿ قَالَ ﴾ [٧٩١]

الموضع الثالث:

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام:﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾بعد ذكر اسم نبيهم، بخلاف قصص غيره من الأنبياء حيث جاء تسمية اسم الرسول قبل ذكر القوم المرسل إليهم.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

الأصل في جميع المواضع أن يُذكر القوم ثم يُذكر رسولهم؛ لأن الله لا يبعث رسولاً إلى غير معين، غير أن قوم نوحٍ عليه السلام لم يكن لهم اسمٌ خاص، ولا نسبةٌ مخصوصة يُعرفون بها، فعُرّفوا بالإضافة لنبيهم، فصار لهم نسبٌ معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على أصله.[٧٩٢]

وعلى نفس هذا المعنى قيل: إن تقديم المرسل إليهم ورد في قصص هود وصالح وشعيب عليهم السلام لأنهم جاؤوا بعد قوم نوحٍ عليه السلام الذين جاء تأخيرهم عن ذكر رسولهم؛ وذلك لأنهم كانوا جميع أهل الأرض، فالقبائل لم تكن فرّقت الناس والألسنة إذ كان لسان الكل واحد، فكان المعنى لا يختلف حينئذ في حكايته بتقديمٍ ولا تأخير، لذلك ناسب تقديم الرسالة والمرسَل لأنه أهم.[٧٩٣]

---

[٧٩١] ينظر نظم الدرر ٤٣٣/٧،٤٣٤

[٧٩٢] ينظر تفسير أبو السعود ٢٣٧/٣ ، وحاشية الجمل ١٥٥/٢، وفتح البيان ٢٠٧/٧

[٧٩٣] ينظر نظم الدرر ٤٢٦/٧-٤٣٣/٧

الموضع الرابع:

جاء وصف هود وصالح وشعيب عليهم السلام بالأخوة لأقوامهم دون وصف نوحعليه السلام بذلك.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

الأخ هنا في قصص الأنبياء مستعملٌ في مطلق القريب على وجه المجاز المرسل، ومنه قولهم يا أخا العرب، ويطلق الأخ مجازاً أيضاً على الصاحب الملازم، كقولهم: هو أخو الحرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإسراء ٢٧)، وقوله: ﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (الأعراف ٢٠٢)، فالمراد أن هوداً وصالحاً وشعيباً عليهم السلام كانوا من ذوي نسب لأقوامهم.

ولم يوصف نوحعليه السلام بأنه أخٌ لقومه؛ لأن الناس في زمن نوحٍعليه السلام لم يكونوا قد انقسموا شعوباً وقبائل، والعرب يقولون للواحد من القبيلة: أخو بني فلان، قصداً لعزوه ونسبته تمييزاً للناس إذ قد يشتركون في الأعلام، ويؤْخذ من هذه الآية ونظائرها أن نظام القبائل ما حدث إلا بعد الطوفان.[٧٩٤]

الموضع الخامس:

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة الأعراف:﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾، وقال في قصة هودعليه السلام في نفس السورة:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، وذلك باختلاف الصورتين ففي الأولى التحذير من العذاب العظيم، وفي الثانية مجرد التنبيه على التقوى.

---

[٧٩٤] ينظر التحرير والتنوير ٢٠١/٨

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال جملة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لم يظهر في العالم قبل نوحٍ عليه السلام مثل تلك الواقعة العظيمة وهي الطوفان العظيم فلا جرم أن نوحاً عليه السلام أخبر عن تلك الواقعة بقوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

أما واقعة هود عليه السلام فقد كانت مسبوقةً بواقعة نوح عليه السلام، وكان عند الناس علمٌ بتلك الواقعة لذلك اكتفى بقوله: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ، والمعنى: تعرفون أن قوم نوحٍ عليه السلام لمّا لم يتقوا الله ولم يطيعوه نزل بهم ذلك العذاب الذي اشتهر خبره في الدنيا، فكان قوله: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ إشارةً إلى التخويف بتلك الواقعة المتقدمة المشهورة في الدنيا.[٧٩٥]

الموضع السادس:

جاءت الزيادة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام بقولهما لقوميهما: ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾، دون قصتي نوح وهود عليهما السلام .

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام لتدلّ على أن كل مَن كان قبلهما من الأنبياء كانوا يذكرون الدلائل على صحة التوحيد والنبوة؛ لأن التقليد وحده لو كان كافياً لكانت تلك البيّنة هاهنا لغواً.[٧٩٦]

كما أن في ذكر البيّنة في قصة صالح عليه السلام مناسبةً واضحة لورود الناقة، فكأنه حدّد البيّنة بعد الإشارة إليها، وفي قصة شعيب عليه السلام كان ذكر البيّنة للدلالة

---

[٧٩٥] ينظر التفسير الكبير ١٢٦/١٤

[٧٩٦] ينظر التفسير الكبير ١٣١/١٤

على أن كل نبي بعثه الله بالآيات والبيّنات سواءً ورد ذِكرها في القرآن أو لم تُذكر، كما أن في مجيء كلمة البينة نكرة وبالتنوين دلالة على التفخيم والتعظيم.[٧٩٧]

الموضع السابع:

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة الشعراء: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ وكررها، دون غيره من الأنبياء.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

ناسب هذا التكرار والإعادة طول مدة تبليغ نوحٍ عليه السلام لقومه، حيث كانت مدة لبثه في قومه ودعوته لهم أكثر مدة لنبيّ من الأنبياء فكانت ألف سنة إلا خمسين عاما.[٧٩٨]

---

[٧٩٧] ينظر روح المعاني ١٦٢/٨

[٧٩٨] ينظر كشف المعاني ص٢٨١

الوحدة الثانية:

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ ﴾

(الأعراف ٠٦١-٠٦٣)

وقال تعالى في السورة نفسها في قصة هودعليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ ﴾

(الأعراف ٠٦٧-٠٦٩)

هذان القولان من نوح وهود عليهما السلام لقوميهما يشتد بينهما التشابه في كثير من العبارات والتراكيب، وفيهما مظاهر اختلاف نحصرها في خمس مواضع.

الموضع الأول:

اختلاف التهمتين اللتين نفاهما كلٌ من نوح وهود عليهما السلام عن نفسيهما، حيث قال نوحعليه السلام :﴿ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾، وقال هودعليه السلام:﴿ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ ﴾

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أن قول كل نبيّ منهما كان موافقاً لما ذُكر قبله في موضعه، ففي قصة نوح عليه السلام نجد أن قومه اتهموه بالضلال في قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ ﴾ (الأعراف ٦٠)، لذا ناسبه قوله عليه السلام :﴿ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ ﴾

أما في قصة هود عليه السلام فإن قومه اتهموه بالسفاهة في قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦٦ ﴾ (الأعراف ٦٦)، لذا ناسبه قوله عليه السلام:﴿ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ ، فدافع كل نبيٍ عن نفسه بما رُمي به.

الموضع الثاني:

كان من ضمن أقوال نوحٍ عليه السلام لقومه:﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢ ﴾، ومن أقوال هود عليه السلام لقومه:﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ ﴾ فجاءت الصيغة فعليّة في قول نوح عليه السلام بينما جاءت اسمية في قول هود عليه السلام.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، مرة جملة اسمية وأخرى فعلية.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله– وهو يتكلم عن الفرق بين الإسناد إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل في كتابه دلائل الإعجاز:" وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، فإذا قلت: زيدٌ منطلق فقد أثبتّ الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيدٌ طويل وعمرٌو قصير، فكما لا يقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث في قولك: زيد منطلقٌ لأكثر من إثباته لزيد، وأما الفعل فإنه يُقصد فيه إلى ذلك،

فإذا قلت: زيدٌ هاهو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منــه جــزءاً فجــزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه."[٧٩٩]

ويقول الفخر الرازي –رحمه الله– :" الاسم له دلالــة علــى الحقيقــة دون زمانها، فإذا قلت: زيدٌ منطلق لم يُفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأما الفعل فلــه دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيد أفاد ثبوت الانطلاق في زمــانٍ معيّن لزيد. وكلّ ما كان زمانيّاً فهو متغيّر، والتغير مُشعِرٌ بالتجدد، فإذن الإخبــار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك."[٨٠٠]

ويقول الخطيب القزويني –رحمه الله–[٨٠١] :" وأمّا كونُه – يعنــي المســند– فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يكون مع إفادة التجدد. وأمّا كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدد."[٨٠٢]

تقول: هو يتعلم وهو متعلّم. فيتعلّم يدل على الحدوث والتجدد أي: هو آخــذ في سبيل التعلم بخلاف متعلم، فإنه يدل على أن الأمر تمّ وثبت وأن الصفة تمكنت في صاحبها.

ومثله: هو يحفظ وهو حافظ فيحفظ يدل على الحدوث والتجدد، وحافظ يــدل على ثبات الأمر واستقراره في صاحبه، ومثله: هو يجتهد ومجتهد.

ولذا جاءت الحكاية في قول نوحٍ عليه السلام جملةً فعلية؛ لأنها أنسب بحاله مع قومه لِما عُهد عنه من الدوام والمثابرة على دعوة قومه وتجديدها ليلاً ونهــاراً، ســراً وجهارا، أي ليُعلم بتماديه على النصح لهم وهم لا يشعرون ولا يهتدون.

أما هود عليه السلام فقد وقع في قصته الاكتفاء بالجملة الاسمية الدالة على الثبــوت؛ لأنه لم يصل إلى الحد الذي بلغه نوح عليه السلام في دعوته.[٨٠٣]

---

[٧٩٩] دلائل الإعجاز ص١٤١

[٨٠٠] نهاية الإيجاز ص٧٥

[٨٠١] هو: جلال الدين القزويني الشافعي محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة المعروف بخطيب دمشق، توفي سنة ٧٣٩هـ (ينظر طبقات الشافعية الكبرى ١٥٨/٩، وكشف الظنون ٢١٠/١)

[٨٠٢] الإيضاح ٨٧/١

[٨٠٣] ينظر التفسير الكبير ١٥٦/١٤

ويقول الإسكافي –رحمه الله– إن نوحاًعليه السلام رُمي بالضلال الذي هو من صفات الأفعال التي تتجدد ويتنقّل صاحبها من فعل إلى آخر، فلما رُمي بما فيه التجدد وقع الجواب بما فيه التجدد والحدوث مرةً بعد مرة.

وأما هودعليه السلام فقد سبق رميه بالسفاهة وهي أشبه بالملكات الراسخة والكيفيات الثابتة؛ لأنها من صفات النفس فوقع الجواب بما فيه إفادة الثبوت والرسوخ واللوم في النصح والأمانة لا في الكذب والسفاهة ولم يكن الفعل ليُعطي ذلك المعنى فجاء بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو (أنا) فهذا مقصودٌ ثابت الوصف ولزومه مثل الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (البقرة ١٣-١٥)، فأخبر عن قولهم للمؤمنين:﴿ ءَامَنَّا ﴾بالفعل الماضي وليس من وضعه إعطاء الدوام في الأكثر، إذ قد يقول فعلت من أوقع الفعل مرة واحدة، وأخبر تعالى عن قولهم لإخوانهم وشياطينهم بقولهم:﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ فجاؤوا بالاسم إعلاماً بصفتهم التي هم عليها مستمرون[٨٠٤]، وقد وافقه ابن الزبير الغرناطي[٨٠٥]، وابن جماعة[٨٠٦]– رحمهما الله–.

ويقول البقاعي –رحمه الله– في نظم الدرر: أنه لما كان الضلال من صفات الفعل اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث في قوله:﴿ وَأَنصَحُ ﴾، وقصر الفعل ودل على تخصيص النصح بهم ومحْضه لهم فقال:﴿ لَكُمْ ﴾.

[٨٠٤] ينظر درة التنزيل ص٣٧٠ ،التفسير الكبير ١٢٧/١٤، ٥٢٦/١٤، ينظر شذى العرف في فن الصرف للحملاوي التقسيم الثالث للفعل بحسب التجرد والزيادة ص٢٩

[٨٠٥] ينظر ملاك التأويل ٥٢٦/٢

[٨٠٦] ينظر كشف المعاني ص ١٧٩

أما هودعليه السلام فلأنهم رموه بالسفه الذي هو من غرائز النفس لأنه ضد الحلم والرزانة لذلك عبّر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضي الثبات فقال:﴿ نَاصِحٌ ﴾ أي لم يزل النصح من صفتي.[٨٠٧]

أما الكرماني –رحمه الله– فلم يتأمّل الآيتين من حيث دلالة المعاني كما فعل الإسكافي والبقاعي–رحمهما الله–، وإنما نظر إلى مناسبات الصيغ لبعضها البعض فقال إن قول نوحعليه السلام:﴿ وَأَنصَحُ ﴾ ليلائم ما عطف عليه وهو قوله: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾ بلفظ المستقبل.

أما هودعليه السلام فقال:﴿ نَاصِحٌ ﴾ ليقابل اسم الفاعل في قولهم له:﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [٨٠٨]، وقد وافقه أبو يحي الأنصاري –رحمه الله–.[٨٠٩]

الموضع الثالث:

جاءت الزيادة في قصة نوحعليه السلام بقوله:﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ دون وجودها في قصة هودعليه السلام.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قد تكون هذه الزيادة في قول نوحعليه السلام لمزيد عِلمه بأسرار حُكم الله وحِكمته ما لم يصل إليه هودعليه السلام، أو لأن نوحاًعليه السلام كان أعلى شأناً، وأعظم منزلةً في النبوة من هودعليه السلام[٨١٠]، وقد ذُكر في ملاك التأويل أن قول نوحعليه السلام:﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ

---

[٨٠٧] ينظر نظم الدرر٧/٤٣٠– ٤٣٦/٧

[٨٠٨] ينظر البرهان ص١٧٩، وتفسير البحر المحيط ٣٢٣/٤

[٨٠٩] ينظر فتح الرحمن ص١٤٣

[٨١٠] ينظر التفسير الكبير ١٢٧/١٤

ﭐللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ فيه إعلامٌ بإمداده بزيادة علومه بالوحي، وهم عن ذلك في أشنع ضلالٍ وأبعده.[٨١١]

وقد يكون ذلك تلويحاً من نوح عليه السلام لقومه بيوم الطوفان لمّا نسبوه إلى الضلال وهو يصنع السفينة وسخروا منه فسخر منهم وقال لهم: ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٌ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (هود ٣٩)، ويبين ذلك قول ابن عاشور –رحمه الله– والذي يبيّن كذلك أن هذه الزيادة فيها تسلية لقلب نوح عليه السلام وتأييداً له بقوله –رحمه الله–: "﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ جمعاً لمعانٍ كثيرة مما تضمنه الرسالة، وتأييداً لثباته على دوام التبليغ والنصح لهم، والاستخفاف بكراهيتهم وأذاهم؛ لأنه يعلم ما لا يعلمونه مما يحمله على الاسترسال في عمله ذلك، فجاء بهذا الكلام الجامع، ويتضمن هذا الإجمال البديع تهديداً لهم بحلول عذابٍ بهم في العاجل والآجل، وتنبيهاً للتأمل فيما أتاهم به، وفتحاً لبصائرهم أن تتطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه، وكل ذلك شأنه أن يبعثهم على تصديقه وقبول ما جاءهم به."[٨١٢]

الموضع الرابع:

الزيادة في قصة هود عليه السلام بوصفه بالأمين في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾، دون وجود هذه الصفة في باقي المواضع.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف صفة وإثباتها.

---

[٨١١] ينظر ملاك التأويل ٥٢٧/٢

[٨١٢] التحرير والتنوير ١٩٤/٨

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان وصْف هودعليه السلام نفسه بالأمانة رداً على اتهام قومه له بالكذب في قوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ فلا اجتماع لأمانةٍ مع كذب.

كما أنه وصف نفسه بذلك لأن أمْر الرسالة والتبليغ عن الله إنما يدور على الأمانة فوصف نفسه بذلك تقريراً للرسالة والنبوة؛ ولأنه أرادعليه السلام أن يقول لهم كنتُ قبل هذه الدعوى فيكم أميناً ما وجدتم مني عذراً ولا مكراً ولا كذباً، واعترفتم لي بكوني أميناً فكيف نسبتموني الآن إلى الكذب[٨١٣]، وليبيّن لهم أن من كان له النصح والأمانة صفتان لازمتان فقد تنزّه قدْره عن الطيش وعدم الحلم.

الموضع الخامس:

قال نوحعليه السلام لقومه:﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾، وقال هودعليه السلام لقومه:﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾، فجاءت الزيادة في قول نوحعليه السلام :﴿ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾، وليس لها وجود في مقالة هودعليه السلام.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الفخر الرازي –رحمه الله– في تفسيره في توجيه ذلك أنّه لما ذُكرت هذه الزيادة في قصة نوحٍعليه السلام عُلم أن الإنذار عاقبته التقوى الموجبة للرحمة لمن انتفع به فحصل الاستغناء عن إعادة ذلك في قصة هودعليه السلام.[٨١٤]

---

[٨١٣] ينظر التفسير الكبير ١٢٧/١٤

[٨١٤] ينظر التفسير الكبير ١٢٧/١٤

وأولى منه أن يُقال قد سبق للتقوى ذِكر في قصة هودﷺ في مقالته الأولى لقومه حيث يقول:﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ وليس لها سابق ذِكر في أقوال نوحﷺ لقومه، كما أن قول نوحﷺ:﴿ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قريبٌ من قول هودﷺ لقومه:﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ عقب تذكيره لقومه بما اختصّوا به دون قوم نوح من كونهم خلفاء قوم نوح في الأرض، وقد وزادهم الله بسطةً في الخلْق والآلاء.

الوحدة الثالثة

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة كل من نوح عليه السلام: ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦١-٠٦٢)

وهود عليه السلام: ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦٧-٠٦٨)

وصالح عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٩)

وشعيب عليه السلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٩٣)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

في قصتي نوح وهود عليهما السلام جاء قوله:﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾ بلفظ المستقبل، وفي قصتي صالح وشعيب عليهما السلام جاء قوله:﴿ أَبْلَغْتُكُمْ ﴾ بلفظ الماضي.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الكرماني –رحمه الله– في توجيه ذلك: لأن ما في قصتي نوح وهود عليهما السلام وقع في ابتداء الرسالة، وما في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام

وقع في آخر الرسالة ودنوّ العذاب، بدليل قوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ في القصتين[٨١٥]، وقد وافقه الأنصاري –رحمه الله– على ذلك.[٨١٦]

والكرماني –رحمه الله– بهذا التوجيه نجده يشير إلى سرٍّ دقيقٍ اعتمد فيه على فهم سياق الآيات، ففي قصتي نوح وهود عليهما السلام البلاغ لا زال في بدايته، فجاء التعبير بلفظ المستقبل في أول الرسالة، فلا زال هناك فسحةٌ في البلاغ والدعوة والنصح.

أما في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام فالبلاغ جاء بعد قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ وهذا يعني أنهما قد بلّغا رسالة ربهما على أكمل وجه، وبلغ بهما الجهد في دعوة قومهما، حتى فرغا من البلاغ.

الموضع الثاني:

وقعت الرسالة في قصة صالحعليه السلام مفردةً وفي باقي القصص مجموعة.

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

قال علماء المتشابه: إن سياق الآية إذا كان يعود على أمور كثيرةٍ ومطالب متعددة فالأنسب الجمع، أما إذا كان السياق لا يعود على متعدّد فالإفراد أولى من الجمع، لذلك فإن الرسالة واحدةٌ باعتبارها في حقيقتها واحدة، تدعو إلى توحيد الله وعبادته دون سواه، ومجموعةٌ باعتبار كثرة ما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي، وإذا كان الأمر كذلك فإن الوحدة أنسب لقصة صالحعليه السلام لأنه لم يُحكَ عنه كثير أوامرٍ ونواه، بل كان جِماع ما حُكي عنه هو ذِكر الناقة والحثّ على إكرامها وبيان أنها بيّنة من ربهم.

---

[٨١٥] ينظر البرهان للكرماني ١٨٩/١

[٨١٦] ينظر فتح الرحمن ص١٤٣

وجمع الرسالة لباقي القصص أليق وأنسب لذِكر طائفة من الأوامر والنواهي لهم ، وورود الأقاويل الكثيرة عنهم، ففي قول قوم نوح لنبيهمﷺ: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ كثرةٌ لأنهم أرادوا بالضلال الكلية المنتشرة المواقع، لذلك ناسبها التعبير في الرد عليهم بالرسالات، وكذلك الحال في قصة هودﷺ حيث قال قومه له: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ والسفاهة مصدر سُفه بالضم، كأنهم عنوا أن السفاهة صارت له مَلَكة لا يصدر منه شيءٌ إلا عنها، فوقع في الرد عليهم جمع الرسالة، وفي قصة نبي الله شعيبﷺ الذي كان مرسَلاً لأهل مدين وأصحاب الأيكة كان في قومه تعدّد وتكثير يلزمه التعدد والتكثير في التبليغ.[817]

وقريبٌ من ذلك ما ذكره الكرماني –رحمه الله– من أنّ العرب في كلامها تضع الأكثر في مقابلة الأكثر وبجواره، والأقل في مجاورة الأقل، وربما أتت باللفظ موجزاً وتحته معانٍ كثيرة، فحيث وقع في قصة شعيبﷺ كثيرٌ من أوامره ونواهيه المتعلقة بالعبادة والمكاييل والموازين في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ﴾ (الأعراف ٨٥)، ثم قال: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (الأعراف ٨٦)، فذكّرهم بتكثيرهم بعد القِلّة، وأمرهم بالتفكّر في حال من تقدمهم من الأمم المكذبة، ثم ورد عقب هذا من قول قومه له في قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ (الأعراف ٨٨)، وقولهم: ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأعراف ٩٠)[818] ، وقد انطوى هذا الكلام من التعريف بقبيح ردّهم، فحصل في هذا من خطابه إياهم وما ردّوا به وما جاوبوهﷺ إطنابٌ في العبارة، وإمعانٌ فيما تحتها من المعاني في كلا الضربين فناسب ذلك التعبير بالرسالات جمعاً.

---

[817] ينظر درة التنزيل ص٨٨، والبرهان ص١٩٠، وكشف المعاني ص١٨٠، وفتح الرحمن ص١٤٤

[818] ينظر ملاك التأويل ٥٢٦/١

وفي قصة نوحعليه السلام وعلى الرغم من عدم الإطناب فيها كما ورد في قصة شعيبعليه السلام فإن لفظ الضلال في قصة نوحعليه السلام يقتضي بحسب كلّيته وانتشار مواقعه مقتضياتٍ عدة، فأراد قومه بهذه التهمة أقوالاً كثيرة مما أمرهم به ونهاهم عنه، ومما حذّرهم وأنذَرَهم من عذاب الآخرة حين قال لهم: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ فلانسحاب اسم الضلال على مسمياتٍ شتى كان في وزن ما طال من الكلام فأشبه الواقع في قصة شعيبعليه السلام، لهذا جمع نوحٌعليه السلام الرسالات فكأنه قال لهم: كل قضية أبلغتكم إياها فربي أرسلني بها، وكل منها رسالة أُرسلت بها إليكم محفوظاً في ذلك بعصمة الله إياي، منزهاً عما توهمتم من الضلال.

وأما قصة هودعليه السلام فقد جاء التعبير فيها بالرسالات على الجمع لأنهم اتهموه بالسفاهة وهي الطيش وقلة الحلم، فحال من اتصف بذلك كحال من اتصف بالضلال، فلا يثبت على قول ولا يُعتمد عليه، والجواب فيه كالجواب في قصة نوحعليه السلام.

أما قصة صالحعليه السلام فلم يقع فيها بعد أمرهم بالعبادة غير أمر الناقة بلا تفصيل، فناسبه التعبير عنها بالرسالة إفراداً.[٨١٩]

ووجه البقاعي –رحمه الله– ذلك بأن الجمع في قصتي نوح وهود عليهما السلام باعتبار أن أبواب كفر قومهما كانت كثيرة، أو باعتبار تعدد معجزاتهما عليهما السلام، أو تعدد نوبات الوحي في الأزمان المتطاولة والمعاني المختلفة، أو أنه جُمع لهما ما أُرسل به من قبلهما كإدريسعليه السلام وهو ثلاثون صحيفة، وشيثعليه السلام وهو خمسون صحيفة.[٨٢٠]

---

[٨١٩] ينظر ملاك التأويل ١/٥٣٧–٥٤١

[٨٢٠] ينظر نظم الدرر ٧/٤٢٩، ٧/٤٣٦

الموضع الثالث:

أن إبلاغ الرسالة من الأنبياء لأممهم والنصح لهم برز في هذه القصص الأربعة في سورة الأعراف بطريقتين مختلفتين، ففي قصتي نوح وهود عليهما السلام كان ذلك التبليغ على طريقة أن المعنى أُلقي من هذين النبيين إلى قومهما أثناء تبليغهما الرسالة.

أما في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام كان ذلك على طريقة أنه مما تكلم به هذان النبيّان بعد هلاك قومهما كتوبيخٍ لهم بعد الهلاك كما وقع من نبيّنا ﷺ لأهل القليب في غزوة بدر.[٨٢١]

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، مرةً التعبير بالمضارع في قصتي نوح وهود عليهما السلام، ومرةً التعبير بالماضي في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذا من براعة القرآن الكريم في إبراز المعنى الواحد بصور مختلفة، ولعل اختصاص كل قصةٍ بما وقع فيها من الطريقة لأن نوحاً وهوداً عليهما السلام لم يكُن ليتأتّى منهما أو يصح منهما ما كان من صالح وشعيب عليهما السلام؛ لأن قوما نوح وهود لم تحصرهم بقعة واحدة بعد هلاكهم، فقوم نوح عليه السلام أُغرقوا وتبددت جثثهم على أمواج المياه، وقوم هود عليه السلام بعد هلاكهم صاروا غثاءً على البحار، وحالات كهاتين الحالتين لا يتأتّى فيها التولّي عنها ومخاطبة أصحابها كما كان من تولّي صالح وشعيب عليهما السلام عن أقوامهما ومخاطبتهم بمقالة اللوم والتعنيف وهم رقود في مكان الهلاك.

---

[٨٢١] ورد ذلك في حديث عن ابن عمر رضي الله عنه وقد سبق بيانه في قصة صالح ص ٣٤٤.(ينظر صحيح البخاري ١٤٦٢/٤) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، حديث رقم (٣٧٦٠)

سورة يونس

الوحدة الأولى

قال تعالى في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (يونس ٠٧٢)

وقال في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (هود ٠٢٩)

وقال في قصة هود عليه السلام في نفس السورة: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴾ (هود ٠٥١)

وقال سبحانه في سورة الشعراء في جميع قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

عبّر في جميع المواضع بلفظ الأجر حتى ما جاء على لسان نبينا محمد ﷺ لعرب مكة في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾ (الشورى ٢٣)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (ص٨٦)، بينما عبّر بلفظ المال في موضع واحد في قصة نوح عليه السلام في سورة هود.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال لفظ بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب ذلك أنه لما تقدم في سورة هود في قصة نوحعليه السلام تعيير قومه له باتباع الفقراء وقولهم له: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾ (هود ٢٧)، ولَحقه في القصة نفسها قولهعليه السلام لهم: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ (هود ٣١) فكان لفظ المال في ذلك أنسب من الأجر، وقد تم تخريج ذلك في قصة نوحعليه السلام.[٨٢٢]

الموضع الثاني:

ذكر لفظ الجلالة في قصة نوحعليه السلام في سورتي يونس وهود في قوله:﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾، مع العدول عنه إلى قوله:﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴾ في قصة هودعليه السلام في سورة هود، وقوله:﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام في سورة الشعراء.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لأن لفظ الجلالة هو الأصل فجاء في الأصل (قصة نوحعليه السلام)، أما قوله : ﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ ﴾ في سورة هود فهو مناسب لما في الآية من قوله لهم: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (هود ٥٠)

وقوله في سورة الشعراء:﴿ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ كان لتكرار هذا اللفظ في نفس السورة، وقد تم بيان ذلك في موضعه من قصة نوحعليه السلام.[٨٢٣]

---

[٨٢٢] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١٦٥

[٨٢٣] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١٦٧

الموضع الثالث:

عبّر بما النافية في قصة نوح عليه السلام في سورة يونس في قوله تعالى:﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم ﴾، وفي جميع القصص في سورة الشعراء في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ ﴾. وعبّر بلا النافية في قصتي نوح وهود عليهما السلام في سورة هود في قوله تعالى:﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ ﴾.

في هذا الموضع أربعة أنواع من التشابه:

النوع الأول من التشابه: إبدال حرف الفاء في قصة نوح عليه السلام في سورة يونس بالواو في قصص سورة الشعراء.

النوع الثاني من التشابه: إثبات حرف العطف تارة وحذفه تارة أخرى.

النوع الثالث من التشابه: إبدال (ما) النافية في جميع المواضع ب(لا) النافية في قصتي نوح وهود عليهما السلام في سورة هود.

النوع الرابع من التشابه: اختلاف الصيغة الصرفية في ﴿ سَأَلْتُكُم ﴾ ، و﴿ أَسْـَٔلُكُم ﴾

أثر السياق في توجيه المتشابه:

تم توجيه ذلك بالتفصيل في قصة نوح عليه السلام في متشابهات سورة يونس.[٨٢٤]

---

[٨٢٤] ينظر قصة نوح عليه السلام ص ١٦٢

سورة هود

الوحدة الأولى

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالاًۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ٢٩ ﴾ (هود ٢٩)

وقال في قصة هودعليه السلام في نفس السورة: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾(هود ٥١)

في هذه الوحدة **موضع واحد** للتشابه:

جاء قول نوحعليه السلام معطوفاً في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ﴾، بينما جاء قول هودعليه السلام مستأنفاً في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

لطول الكلام الواقع بين الندائين في قصة نوحعليه السلام، وقِصر ما بينهما في قصة هودعليه السلام، ناسب ذكر الواو في الأول لتوصيل ما بعدها بما قبلها.[٨٢٥]

---

[٨٢٥] ينظر فتح الرحمن ص٢٦٤

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾
(هود ٠٢٨)

وقال في قصة صالح عليه السلام في السورة نفسها: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣ ﴾
(هود ٠٦٣)

وقال في قصة شعيب عليه السلام في السورة نفسها: ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾
(هود ٠٨٨)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

في قصة نوح عليه السلام وقع المفعول الثاني الذي هو الرحمة تالياً لفعل الإيتاء ومفعوله الأول لا فاصل بينهما، وفي قصتي صالح وشعيب عليهما السلام وقع المفعول الثاني الذي هو رحمةً في القصة الأولى، ورزقاً في القصة الثانية مفصولاً عن الفعل ومفعوله الأول بالجار والمجرور:﴿ مِنۡهُ ﴾.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

إن ذلك من إبداع القرآن في إبراز المعنى الواحد بطرق مختلفة مع رعاية أحسن المناسبات، وقد ذكر العلماء في ذلك توجيهين:

الأول: هو توجيه الخطيب الإسكافي –رحمه الله– ومن وافقه وهو أنه لمّا تقدم في قصة نوح عليه السلام أفعال اقتضت مفعولين لا فاصل بينهما بمثل هذا الجار

والمجرور كان من الحُسن إتْباع المتأخر بالمتقدم في الطريقة، أما المتقدم فهو قول قومه في كفرهم: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ (هود ٢٧)، فبشراً مفعول ثان من نراك، وكذلك: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ﴾ في موضع المفعول الثاني من نراك، وبعده: ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، فلما تقدمت ثلاثة أفعال كل واحد منها يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الثاني لا يفصله عن الأول مفعول فيه، جرت هذه الآية على تلك الحال.

وحيث تقدم في قصة صالحعليه السلام في كفرهم: ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ (هود ٦٢) فوقع خبر (كان) الذي هو كالمفعول لها، وتقدمه الجار والمجرور (فينا). كان من الحسن إتباع المتأخر بالمتقدم في الطريقة ووقوع الفاصل في قوله: ﴿ وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾.[٨٢٦]

وقريبٌ من ذلك الواقع في قصة شعيبعليه السلام فإن ما في الجواب من تقديم الجار والمجرور على المفعول الذي هو الرزق شبيهٌ بما سبقه من تقديم الجار والمجرور على المفعول في قولهم: ﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ (هود ٨٧)، وقد وافقه على هذا التوجيه الإمام الكرماني-رحمه الله- [٨٢٧]، وتابعه أبو يحي الأنصاري-رحمه الله-. [٨٢٨]

الثاني: هو توجيه ابن الزبير الغرناطي -رحمه الله- في كتابه ملاك التأويل حيث قال أن قوم نوحعليه السلام لما اتهموا نبيهم بالمثلية في البشرية، واتباع الأراذل، وكشفوا له عن ظنّهم كذبه وكذب من اتبعه بدون التواء في كلامهم، أو تشنيعٍ شديدٍ في جوابهم لذلك أتى جوابهعليه السلام على نسبة ذلك فقال:﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ فأتى بالمجرور مؤخراً في محلّه على ما يجب.

---

[٨٢٦] ينظر درة التنزيل ص٤٦٠

[٨٢٧] ينظر البرهان للكرماني ٢٢١/١

[٨٢٨] ينظر فتح الرحمن ص١٨٩

أما قوم صالحعليه السلام فقد بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا:﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ﴾ أي قد كنت مرجواً أن تسود فينا حتى نقطع عن رأيك، ونُرجع إليك أمورنا، فأسقطوه عن رتبة الرجاء في حاله واستنكروا منه النهي عن عبادة الآباء، لذلك بالغعليه السلام في ردّ مقالهم بأنْ قدّم ما من حقه التأخير فقال:﴿ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ أي: كيف ترون إن كنت على واضحة وعلى يقين من ربي وآتاني منه رحمة فعصيته بموافقتكم، وأكد بتقديم المجرور في قوله:﴿ وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ لتأكيد أن الرحمة من عند الله تعالى لا يشاركه فيها غيره، وهو مخصوص لا يحصل مع تأخير، فتقديم هذا الضمير المجرور كتقديمه في قوله سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص ٤)، مع ما في ذلك من المبالغة بالقصْر في مقابلة مبالغتهم في استهزائهم بهعليه السلام.[٨٢٩]

وقريبٌ من ذلك ما في قصة شعيبعليه السلام فإنهم تقعّروا كقوم صالحعليه السلام وقالوا:﴿ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾(هود ٨٧)، فخرج بحكاية جوابهم عن الأصل وقدم الجار والمجرور في قوله:﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾.

وكان لابن عاشور –رحمه الله– توجيه آخر قال فيه: "فالجواب لأن ذلك مع ما فيه من التفنن بعدم التزام طريقة واحدة في إعادة الكلام المتماثل، هو أيضاً أسعد بالبيان في وضوح الدلالة ودفع اللبس، فلما كان مجرور (من) الابتدائية ظرفاً وهو (عند) كان صريحاً في وصف الرحمة بصفة تدل على الاعتناء الرباني بها وبمن أوتيَها، ولمّا كان المجرور هنا ضمير الجلالة (يقصد بذلك قصة صالحعليه السلام في الآية الثانية) كان الأحسن أن يقع عقب فعل (أتاني) ليكون تقييد الإيتاء بأنه من الله مشيراً إلى إيتاء خاص ذي عناية بالمؤتى."[٨٣٠]

---

[٨٢٩] ينظر ملاك التأويل ٦٥٢/٢–٦٥٤

[٨٣٠] التحرير والتنوير ١١١/١٢

والذي يظهر لي والله أعلم أن توجيه ابن الزبير هو الأولى والأنسب لمقاصد الآيات والأقرب لبيان السر البلاغي من هذا الاختلاف في الآيات، كما لا يُغفل توجيها الإسكافي وابن عاشور واللذان يأتيان بعد توجيه ابن الزبير -رحمه الله-.

الموضع الثاني:

جاء التعبير بالرزق في قصة شعيب عليه السلام بدل الرحمة الواردة في قصتي نوح وصالح عليهما السلام.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

سبب التعبير بالرزق في قصة شعيب عليه السلام لمناسبة هذه اللفظة للأموال والمكاييل والموازين المذكورة في القصة، فإن لفظ الرزق في ذلك أنسب وأليق، كما أنه قد تأخر عنه قوله:﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ وهما خاصّان فناسبهما قوله:﴿ وَرَزَقَنِى ﴾ بخلاف الأولين فإنه تقدمهما أمور عامة.[٨٣١]

والتعبير بالرحمة لبيان أن الله لا يجب عليه شيء لأحد؛ لأنه لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره سبحانه وإن اجتهد في طاعته فإن طاعته نعمة منه عليه، لذا جاء التعبير بالرحمة تحقيقاً لتوكل العبد.[٨٣٢]

الموضع الثالث:

قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾وفي قصتي صالح وشعيب عليهما السلام:﴿ مِنْهُ ﴾ بدل ﴿ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال.

---

[٨٣١] ينظر فتح الرحمن ص٢٦٣،

[٨٣٢] ينظر نظم الدرر ٣١٤/٩

أثر السياق في توجيه المتشابه :

الظاهر أن المعنى واحد وكأن زيادة المبنى لزيادة التمكين في المعنى، وهذا مناسب لقصة نوحﷺ لما فيها في سورة هود من الإطناب أكثر من غيرها من القصص التي ذُكرت بجوارها.

الوحدة الثالثة

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

(نوح ١٠-١٢)

وقال في قصة هودعليه السلام في سورة هود: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(هود ٥٢)

في هذه الوحدة موضع واحد من التشابه:

زادت مقولة هودعليه السلام عن مقولة نوحعليه السلام بالأمر بالتوبة إلى الله، والوعد إن فعلوا بأن يزيدهم الله قوة إلى قوتهم.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه التشابه:

أما زيادة الأمر بالتوبة في قصة هودعليه السلام فلمناسبتها للأمر بالتوبة الوارد ذكرها في أول سورة هود فيما حُكي عن خاتم الرسلﷺ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (هود ٣)

وأما الزيادة في قصة هودعليه السلام بالوعد بزيادة قوتهم إن تابوا فلخصوص ما كان في قومه من القوة والترف والبطش، الأمر الذي دلّت عليه الآيات في مواطن عديدة من كتاب الله.

أما مقالة نوحعليه السلام فقد خلَت من تلك الزيادات لعدم ما يقتضيه، إضافة إلى أن سورة نوح كانت ذات آياتٍ قصيرة، وفواصل قوية، مع إطنابٍ وتقويةٍ للمعاني وتمكينٍ لها في نفس السامع كشأن سائر السورة.

سورة إبراهيم

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في سورة إبراهيم في قصص قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾

(إبراهيم ٠٠٩-٠١١)

في هذه الوحدة موضع واحد من التشابه:

اختلفت أقوال الرسل في الآيتين السابقتين.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

هذه الآيات وما بعدها تشير إلى الجدال بين الرسل وأقوامهم، فالآية الأولـــى حكاية لردّ الرسل على الأقوام في شأن أول كفرٍ أعلنوه، وشبهةٍ ذكروها.

والآية الثانية فيها ردّ شديد العنف والتوبيخ وهو مما يمكّن الكلام في النفوس أكثر وأظهر، وهذا مناسبٌ للشبهة التي أوردوها في الآية الأولى وهي أنهم بشر لا يُعقل إنزال الوحي عليهم.

سورة الشعراء

الوحدة الأولى

قال تعالى في سورة الشعراء في قصة نوحعليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾
(الشعراء ١٠٦)

وقال في قصة هودعليه السلام في نفس السورة: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾
(الشعراء ١٢٤)

وقال في قصة صالحعليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾
(الشعراء ١٤٢)

وقال في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾
(الشعراء ١٧٧)

في هذه الوحدة **موضع واحد** للتشابه:

في مواضع سورة الشعراء وُصف نوح وهود وصالح عليهم السلام بالأخوة، بينما لم يوصف شعيبعليه السلام بذلك.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

سبب ذلك تم تخريجه مفصلا في قصة شعيبعليه السلام [٨٣٣]، وحاصله أنه لم يُنسب إلى أصحاب الأيكة المذكورين في هذه السورة تنزيها لهعليه السلام منها؛ لأنها مكان هلاك قومه، ولأن شعيباًعليه السلام كان قروياً وأصحاب الأيكة كانوا أهل بدو.

---

[٨٣٣] ينظر قصة شعيبعليه السلام ص ٣٨٨

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة الشعراء في قصة نوحٍ عليه السلام: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾(الشعراء ١٠٨-١١٠)

وقال في قصة هود عليه السلام في نفس السورة: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الشعراء ١٢٦-١٣١)

وقال في قصة صالحٍ عليه السلام: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخۡلٍ طَلۡعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ ﴾(الشعراء ١٤٤-١٥٠)

وقال في قصة شعيبٍ عليه السلام: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾(الشعراء ١٧٩)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

في سورة الشعراء يقول نوح عليه السلام ومَن بعده من الرسل لأقوامهم: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ إلا أنها ذُكرت مرتين في قصص نوح وهود وصالح عليهم السلام، وذُكرت مرة واحدة في قصة شعيب عليه السلام.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان، حيث حذف هذه الزيادة من قصة شعيب عليه السلام

أثر السياق في توجيه المتشابه:

عدم التكرار في قصة شعيبعليه السلام سببه أنه تم التعويض عنه بما ذُكر من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾(الشعراء ١٨٤)، وقد يكون ذلك لأن شعيباًعليه السلام ذُكر عنه الاشتغال بالنهي عن معصية معيّنة، وليس الأمر كذلك في باقي القصص.

سورة الحاقة

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة الحاقة:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحاقة ١١-١٢)

وقال في نفس السورة في قصة هودعليه السلام:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٍ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحاقة ٦-٨)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

لم تفصّل قصة هودعليه السلام في سورة الحاقة كقصة نوحعليه السلام.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل، حيث ذكر صفة الريح التي عذبت قوم هودعليه السلام، وعدد أيام العذاب، وصفتهم بعد هلاكهم، أما في قصة نوحعليه السلام فلم يرِد مثل هذا التفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

لم تفصل قصة نوحعليه السلام في سورة الحاقة لأنه تم تفصيلها في سورة قريبة منها وهي سورة نوح، لذلك لم يكن هناك حاجة لتكرار هذا التفصيل، بينما نجد أن قصة هودعليه السلام لم يرِد لها مثل هذا التفصيل في سورة قريبة من سورة الحاقة لذلك فُصلت هنا، إضافة إلى أن هذا التفصيل الوارد لقصة هودعليه السلام في هذه السورة إنما هو بيان لما أجمل في سورة الفجر في قوله تعالى:﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴾ (الفجر ١٣)[٨٣٤]

---

[٨٣٤] (ينظر أضواء البيان ٨/٢٥٨)

المرحلة الثانية

هي الآيات المتعلقة بأقوال الأمم لأنبيائهم، وقد قسمتها إلى عدة وحدات.

سورة الأعراف

الوحدة الأولى

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة نوح‹ : ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ ﴾

(الأعراف ٠٦٠)

وقال في قصة هود‹: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ ﴾

(الأعراف ٠٦٦)

وفي قصة صالح‹: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ ﴾

(الأعراف ٠٧٥)

وفي قصة شعيب‹: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨ ﴾

(الأعراف ٠٨٨)

وقال تعالى في سورة هود في قصة نوح‹: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ ﴾

(هود ٠٢٧)

وفي قصة هود‹:﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ ﴾

(هود ٠٥٣)

وفي قصة صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾

(هود ٠٦٢)

وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لأنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾

(هود ٠٨٧)

وفي سورة المؤمنون في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لأنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٤)

وقال في قصة هود عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (المؤمنون ٠٣٣)

وفي سورة الشعراء في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٥-١٨٧)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

وقعت حكاية الأقوام لرسلهم تارةً بطريقة الاستئناف بقوله: ﴿ قَالُواْ ﴾ وقوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾، وأخرى بطريقة العطف إما بالواو أو الفاء بقوله: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾

في هذا الموضع نوعان من التشابه:

النوع الأول من التشابه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف العطف وإثباته.

النوع الثاني من التشابه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف عطف بآخر.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

بينّا في قصة نوحﷺ أن الأصل في رد الملأ من قوم نوحﷺ تصديره بحرف الفاء لا يُعدل عنه إلا لسر، كالواقع في موضع سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(الأعراف ٦٠)، والأصل في رد الملأ من غير قوم نوحﷺ الاستئناف لا يُعدل عنه إلا لسر كالواقع في سورة المؤمنون في قول ملأ هودﷺ بحرف الواو في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(المؤمنون ٣٣)

وقد سبق توجيه كل موضع في متشابهات القصص السابقة.[٨٣٥]

الموضع الثاني:

اتهام قوم نوحﷺ لنبيّهم بالضلال في قولهم:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾، بينما اتهمت عادٌ نبيّها هودﷺ بالسفاهة والكذب في قولهم: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

---

[٨٣٥] ينظر قصة نوحﷺ ص ١١٦

أثر السياق في توجيه المتشابه :

ظاهر كلام الفخر الرازي –رحمه الله– في توجيه ذلك أن سر هذا الاختلاف كان لأن هوداً عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادة الأوثان، وبيّن لهم بطلانها، فكذبوه في دعوته ونسبوه إلى السفاهة؛ لأنه تطاول على الأصنام وقدح في ذاتها وذات من عبدها منهم، أما نوح عليه السلام فقد قال مثل ذلك وزاد عليه بصنعه للسفينة فوق البر، ولم يكن لقومه عهد بها، فما فقهوا ما يصنع، وما فقهوا لماذا يصنعها، ولا ماء عندهم، فرموه بالضلال فكأنهم أرادوا أنه ضالّ عن الصواب.[٨٣٦]

والأظهر أن هذه المقولات كانت قبل صنع السفينة؛ لأن نوحاً عليه السلام لم يَشرع في بنائها إلا في آخر أدوار الرسالة، وانتهاء الجدل والنقاش مع قومه كما دلّت على ذلك القصة في سورة هود، واختلاف الضلال عن السفاهة إنما كان لاختلافه في ذاته عمن حُكي عنهم، واختلافه في ذاته مما لا سؤال فيه لأن كل قومٍ كما بدا لهم تكلموا، وكما قذف الشيطان في صدورهم نطقوا، مع ما في الضلال من بيان شدة طغيان الرامين به بخلاف السفاهة لعمومه، وقوم نوح عليه السلام كانوا أظلم وأطغى.

أما البقاعي –رحمه الله– فقد وجه ذلك في تفسيره بقوله أن قوم هود عليه السلام وصفوه بالكذب لأنه كان عندهم عِلم من الرسل وما يأتي مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيداً، أما قوم نوح عليه السلام فقد جزموا بالضلال وأكّدوه بكونه مبيناً؛ لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك، ولهذا قالوا: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المؤمنون ٢٤)

ثم رد البقاعي توجيهه بما يظهر –والله أعلم– بأنه الصواب بقوله: أنه ورد في قصة نوح عليه السلام وصْف قومه له بالكذب في سورة هود في قولهم له ولِمَن معه من المؤمنين: ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾(هود ٢٧)، وكان هذا بعد أن نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة دعوته ولم يكن في أول الأمر، والأمر كذلك في قصة

---

[٨٣٦] ينظر التفسير الكبير ١٢٦/١٤، وحاشية الجمل ١٥٦/٢

هودعليه السلام فإنه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه؛ لأنه كان في قومه من اتبعه، ووصْفه بالسفاهة يدل على ظنهم بكذبه أو أنه يقول غير الحق.[٨٣٧]

وبهذا يكون لا فرق بين التهمتين بل إن كل قوم قذفوا نبيهم بما جاز لهم.

الموضع الثالث:

ورد ذكر الملأ غير موصوف في قصة نوحعليه السلام في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾، بينما وُصف بالكفر في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾، وحيث وُصفت عاد بالكفر جاء وصف ثمود بالاستكبار، ووُصفت مدين بالكفر والاستكبار.

نوعه: يشتمل على نوعين من التشابه:

النوع الأول من التشابه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف الوصف تارة وإثباته أخرى.

النوع الثاني من التشابه: تشابه بالإبدال، إبدال صفة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أجاب ابن الزبير الغرناطي –رحمه الله– بأن سبب الحذف في قصة نوحعليه السلام هو أن في دعائهعليه السلام ما يفيد أنهم على الكفر والضلال، قال تعالى على لسان نوحعليه السلام: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾، فخوفُه من تعذيبهم إنما كان لكفرهم، فاكتفى بذلك عن ذِكر:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ للإيجاز.

أما دعاء هودعليه السلام فلم يقع فيه ما وقع في دعاء نوحعليه السلام لأنه قال في دعائه لهم: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، فقوله هذا ليس فيما يعطيه من التخويف في قوة كلام نوحعليه السلام، إذ قد يُؤمر بالتقوى المؤمن، ويشهد لهذا أن قصتي صالح وشعيب

---

[٨٣٧] ينظر نظم الدرر ٤٣٥/٧

عليهما السلام لمّا لم يقع في دعوتهما ما وقع من نوحعليه السلام مما ينبئ بالكفر، ورد في حكاية مقالة قومهما ما يحصل منه ذلك المقصود، فجاء وصف ثمود بالاستكبار ومدين بالكفر والاستكبار.[٨٣٨]

أما ابن جماعة –رحمه الله– فقد اعتمد على توجيه الزمخشـري –رحمه الله– وهو أنه لم يُوصف قوم نوحعليه السلام بالكفر بينما وُصفت عاد في نفس السورة بالكفر؛ لأنه كان في أشراف قوم هودعليه السلام من آمن به ولم يكن في أشـراف قوم نوحعليه السلام من آمن به فأطلق لفظ الملأ[٨٣٩]، وقد وافق على ذلك أبو الفخر الرازي[٨٤٠]، وأبو حيان[٨٤١]، والألوسي[٨٤٢]، والكلبي[٨٤٣]،رحمهم الله جميعاً.

وذكر الزمخشري–رحمه الله– وجهاً آخر عبّر عنه بقوله: "ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير."[٨٤٤]

أما ابن عاشور –رحمه الله– فخالفهم معترضاً بما جاء في سورة هود في خبر قوم نوحعليه السلام حيث وُصف الملأ بالكفر، وقال بأن الزمخشري غفل عن ذلك، وعلّل ذلك بأنه اختلاف من باب التفنن والتنوع.[٨٤٥]

وأما وصف قوم نوحعليه السلام بالكفر في باقي السور فقد تم توجيه ذلك في مواضعه.[٨٤٦]

وأما الاقتصار على وصف ثمود بالاستكبار فالظاهر لأنه لم تكن لهم مبالغات في مجادلاتهم وإلقاء شبههم بل كانت لهم في ذلك هوادةٌ بالنسبة لغيرهم، ففي سورة الأعراف حيث وُصفوا بالاستكبار لم يُحك عنهم شيء من مجابهتهم

---

[٨٣٨] ينظر ملاك التأويل ٥٢٩/١

[٨٣٩] ينظر كشف المعاني ص١٧٩، والكشاف ١١٠/٢

[٨٤٠] ينظر التفسير الكبير ١٢٦/١٤

[٨٤١] ينظر البحر المحيط ٣٢٣/٤

[٨٤٢] ينظر روح المعاني ٣٩٣/٤

[٨٤٣] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل٣٦/٢

[٨٤٤] الكشاف ١١٠/٢

[٨٤٥] ينظر التحرير والتنوير ٢٠٢/٨

[٨٤٦] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١١٨

لنبيهم، بل منتهى ما حُكي عنهم هو تقاوُل المستكبرين مع المستضعفين في شأن صالحﷺ، وأبلغ ما حُكي عنهم في سورة القمر لم يكن موجهاً إليه بل إلى المؤمنين منهم.

وأما وصف قوم شعيبﷺ بالاستكبار والكفر لإفادة جمع الوصفين لهم، وقد تم تفصيل القول في توجيه ذلك في قصة شعيبﷺ.[٨٤٧]

الموضع الرابع:

قول الملأ لهودﷺ في سورة الأعراف:﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، وقولهم لشعيبﷺ في سورة الشعراء:﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف نون التوكيد من سورة الشعراء وإثباتها في سورة الأعراف مع (إن) المخففة.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاء إثبات نون التوكيد مع (إن المخففة) في سورة الأعراف للدلالة على شدة التوكيد، وذلك لأن التكذيب الذي يُظهره السياق في سورة الأعراف أشدّ مما يظهر في سورة الشعراء، ففي سورة الأعراف قال تعالى:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾، وفي سورة الشعراء قال:﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

فالآية الأولى القائلون فيها هم الكافرون، بينما القائلون في الآية الثانية مختلطون فيهم الشديد التكذيب، والقليل، والإمّعة، والخائف، فهو تكذيب مختلط لا يصل إلى تكذيب الذين كفروا خصوصاً، والذي يدل على ذلك قوله تعالى بعد آيات سورة الشعراء: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (الشعراء ١٩٠)، أي إن فيهم قِلّةٌ مؤمنة، فالكلام في آيات سورة الشعراء منسوب إلى أصحاب الأيكة عموماً، بخلاف آيات سورة الأعراف فإن الكلام فيها منسوب إلى الذين كفروا خاصة.

---

[٨٤٧] ينظر قصة شعيبﷺ ص ٤٠٣

يبيّن ذلك كلام الرسول الذي عقب قول قومه له في كل من الآيتين، ففي سورة الأعراف رد هودعليه السلام على قومه بآيات عدة: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأعراف ٦٧-٦٩)، بخلاف آية سورة الشعراء فإن شعيبعليه السلام لم يزد على قوله: ﴿ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٨)، وبذلك يتضح الفرق بين التعبيرين.[٨٤٨]

الموضع الخامس:

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة ثمود: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأعراف ٠٧٠)

وقال في سورة الشعراء في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٤)

نوعه: تشابه بالإظهار والإضمار.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

قول قوم صالحعليه السلام: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ كقول شعيبعليه السلام: ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، إلا أن هؤلاء عيّنوا الآية فيحتمل أن تعيينها اقتراحٌ منهم، ويحتمل أن شعيباًعليه السلام أنذرهم بكِسف يأتي فيه

---

[٨٤٨] ينظر معاني النحو ٣٧٥/١، والتعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي ص١٦٠

عذاب، وذلك هو يوم الظّلة المذكور في هذه الآية، فكان جواب شعيبﷺ بإسناد العلم إلى الله فهو العالِم بما يستحقونه من العذاب ومقداره.[٨٤٩]

الموضع السادس:

قال تعالى في قصة نوحﷺ في سورة المؤمنون:﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾، وقال في نفس السورة في قصة هودﷺ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.، حيث قُدم المجرور في القصة الثانية على الصفة ولم يُؤخر عنها كما ورد في قصة نوحﷺ.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

جاءت الآية في قصة نوحﷺ على الأصل، فصِلة (الذين) اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل، ثم ذكر بعده الجار والمجرور، ثم ذكر المفعول وهو المقول، وليس الأمر كذلك في الآية الثانية، فصِلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول والعطف عليه مرة بعد أخرى، فقدم المجرور لأن تأخيره مثل الآية الأولى فيه إشكال، وحتى لا يُحال بين الصفة وما عطف عليها، وهذا هو رأي الإسكافي[٨٥٠]، والكرماني[٨٥١] رحمهما الله.

ويقول ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله- أن المجرور:﴿ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ رفع إمكانية أن يكون القائلون غيرهم، ثم احتيج إلى ذكره لأنهم وُصفوا بالكفر لأنه سبب أخذهم وهلاكهم. ولما كان هذا مفهوماً من سياق الكلام لم يُحتج إلى ذِكره في كل موضع.

---

[٨٤٩] ينظر التحرير والتنوير ١٨٧/١٩

[٨٥٠] ينظر درة التنزيل ص١٧٥

[٨٥١] ينظر البرهان ص٢٧٥

وحيث أُريد التأكيد في البيان أو الزيادة في التخصيص اعتناءً برفع المفهوم ورفع احتماله جاء تقديم المجرور في فصيح الكلام، وهذا ما حصل في قصة هودعليه السلام.

وعلى الرغم من أنه لا فرق بين هذه القصة وقصة نوحعليه السلام في الحاجة إلى هذا المجرور أو ما يقوم مقامه إلا أنه لم يُقدّم في قصة نوحعليه السلام وذلك لأنه لم يرد فيها إلا صفة واحدة هي صفة الكفر التي جُعلت مع موصوفها كشيء واحد للحاجة إليها، وكونها مفردةً قُرنت بموصوفها وتأخر المجرور.

بينما في قصة هودعليه السلام لم يقع الاكتفاء بصفة واحدة بل زيد عليها، ولا يمكن جعل صفتين فأكثر مع موصوفها كشيءٍ واحد، لذا قدم المجرور.[٨٥٢]

وقد وافقه الطاهر بن عاشور -رحمه الله- حيث يقول: "وإنما أخّر النعت هنا - أي في قصة هودعليه السلام - لتتصل به الصفتان المعطوفتان من قوله: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾."[٨٥٣]

---

[٨٥٢] ينظر ملاك التأويل ٨٧٦،٨٧٥/٢

[٨٥٣] التحرير والتنوير ٥٢/١٨

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة هودعليه السلام:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(الأعراف ٠٦٥)

وفي قصة صالحعليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٣)

وقال قي قصة شعيبعليه السلام:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(الأعراف ٠٨٥)

وقال تعالى في سورة هود في قصة هودعليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

(هود ٠٥٠)

وقال في قصة صالحعليه السلام:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾

(هود ٠٦١)

وقال في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

(هود ٠٨٤)

وقال في سورة الشعراء في قصة نوحعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(الشعراء ١٠٥)

وقال في قصة هودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

(الشعراء ١٢٣)

وقال في قصة صالحعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

(الشعراء ١٤١)

وقال في قصة شعيبعليه السلام: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

(الشعراء ١٧٦)

وقال تعالى في سورة القمر في قصة نوحعليه السلام: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

(القمر ٠٠٩)

وفي قصة هودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾

(القمر ٠١٨)

وفي قصة صالحعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾

(القمر ٠٢٣)

في هذه الوحدة موضع واحد من التشابه:

ذُكر قوم نوحعليه السلام بعنوان (قوم نوح)، بينما ورد ذِكر قوم هود وصالح وشعيب عليهم السلام بألقاب عاد وثمود ومدين أو أصحاب الأيكة.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

السر في ذلك ما ذكرته سابقاً من أن قوم نوح لم يكن لهم اسم يُعرفون به لذا أضيفوا إلى اسم نبيهم حتى صار لهم علَماً يعرفون به، وساعد على ذلك أن الناس لم يكونوا قد انقسموا إلى قبائل متعددة مختلفة، أما أقوام هود وصالح وشعيب عليهم السلام فقد كانت لهم ألقاب يُعرفون بها فجاء ذِكرهم بها في الآيات.

سورة هود
فيها وحدة واحدة

قال تعالى في سورة هود في قصة صالحعليه السلام:﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾

(هود ٠٦٢)

وقال في سورة إبراهيم في قوم نوحعليه السلام وعاد وثمود: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ﴾

(إبراهيم ٠٠٩)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

مجيء لفظ ﴿ وَإِنَّنَا ﴾في سورة هود، بينما جاء في سورة إبراهيم لفظ ﴿ وَإِنَّا ﴾

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، إثبات حرف التوكيد (إن) في الآية الأولى وحذفه من الثانية.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

وجه الخطيب الإسكافي –رحمه الله– ذلك بأن الضمير الذي دخلت عليه (إن) في الآية الأولى هو على لفظ ضمير المنصوب المتصل بالفعل في قوله تعالى:﴿ أَتَنۡهَىٰنَآ ﴾، وضمير المنصوب إذا اتصل بالفعل لم يُغيَّر له آخره كما يُغيَّر إذا اتصل به ضمير المرفوع، نحو: (ضربْنا) تسكن الباء لاتصال ضمير الفاعلين

بها، ولا تسكنها لاتصال ضمير المفعولين بها إذا قلت: (ضَرَبَنَا) ولم ينازعه شبه الفاعل، سَلِم لفظ (إن) عند اتصال نون الضمير (نا) بها، ولا يقع حذف حينها.

أما (إنا) في الآية الثانية وعلى الرغم من كونها منصوبة إلا أنها مشبهة للفظ الفاعل، كقولك: (ضربْنا) لكونها على لفظها، ولوقوعها موقع المرفوع المبتدأ، ولأن اللفظ الذي تقدم عليها هو ضمير المرفوع في قوله:﴿ كَفَرۡنَا ﴾وذلك بخلاف الآية الأولى، وتقدمها قبل ذلك أيضاً ضمير مرفوع لغير هذا اللفظ ولكنه للقوم الذين كان لهم اللفظ الأول وهذا الضمير هو الواو في قوله:﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ﴾ ، لأجل ذلك حُذفت النون من (إنا) تشبيهاً للضمير بعدها بالضمير المرفوع بعد الفعل، وكما أن الفعل يلحقه حذف حركة عند اتصال هذا الضمير به، مثل:(ضربْنا) حيث سكنّا الباء لاتصال نون الضمير بالفعل، تم حذف حرف النون من (إن) لينقص لفظها عند اتصاله بما هو كالضمير المرفوع لفظاً ومعنىً وموقعاً.[٨٥٤]

وقيل أنه لمّا كان في الآية الأولى قوله تعالى:﴿ تَدۡعُونَآ ﴾ وهي كلمة ذات نون واحدة لم يكن هناك بأس من وجود نونين فيما قبلها في قوله:﴿ وَإِنَّنَا ﴾، بينما كان في الآية الثانية:﴿ تَدۡعُونَنَآ ﴾ وهي ذات نونين كان من الحُسن ألا تكثر النونات في الآية فاختير قوله:﴿ وَإِنَّآ ﴾، وبذلك حصل التساوي في عدد حرف النون في هاتين الآتين المتشابهتين.

وهذا التوجيه اعتمد على حروف الألفاظ وعددها دون النظر إلى قواعد اللغة والإعراب وهو توجيه حسن لا يتعارض مع الأول.

الموضع الثاني:

قوله في الآية الأولى:﴿ تَدۡعُونَآ ﴾، وفي الآية الثانية:﴿ تَدۡعُونَنَآ ﴾.

---

[٨٥٤] ينظر درة التنزيل ص٤٦٤،٤٦٥

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات، حذف حرف النون من الآية الأولى وإثباتها في الثانية.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الخطيب الإسكافي –رحمه الله– أنه لا يصح وضع أحد الفعلين مكان الآخر، فلا يجوز في الآية الأولى إلا فعل بنون واحدة ولا يجوز في الثانية إلا فعل بنونين اثنتين؛ لأن الآية الأولى خطاب لصالحعليه السلام، والنون مع الألف ضمير المتكلم، و(تدعو) فعل واحد لا نون فيه، أي فعل مفرد والفاعل له ضمير مستتر يعود إلى صالحعليه السلام، وليس الأمر كذلك في الفعل (تدعوننا) في الآية الثانية، لأنه خطاب للرسل وهم جماعة، ولا يقال لهم في حال الجمع إلا (تدعوننا) عند الرفع، فلا يُسقِط النون إلا الناصب والجازم، نحو: (لن تدعونا)، و(لم تدعونا) ولا وجود لناصب ولا جازم هنا، فأما إذا رفعت خطاب الجماعة لم تكن إلا (تدعوننا) وهذا من مبادئ علم الإعراب.[٨٥٥]

[٨٥٥] ينظر درة التنزيل ص٤٦٣

سورة المؤمنون

الوحدة الأولى

قال تعالى في سورة المؤمنون في قصة نوح: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لأنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٤)

وقال في نفس السورة في قصة هود: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٣٣)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاء قول الملأ في سورة المؤمنون في قصة نوح‍ؑ معطوفا بالفاء في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ ﴾، وفي قصة هود‍ؑ في نفس السورة جاء قولهم معطوفا بـــالواو في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ﴾.

نوعه:تشابه بالإبدال، إبدال حرف الفاء بالواو.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

وجه ابن عاشور –رحمه الله– العطف بالواو في قصة هود‍ؑ بقوله: "لم يُعطف قول الملأ بفاء التعقيب كما ورد في قصة نوح‍ؑ لأن قولهم هذا كان متأخراً عن مقالة رسولهم التي هي فاتحة دعوته، بأن يكونوا أجابوا كلامه بالرد والزجر، فلما استمر على دعوتهم وكررها فيهم وجهوا مقالتهم المحكية هنا إلى قومهم، ومن أجل هذا عُطفت جملة جوابهم ولم تأت على أسلوب الاستعمال في حكاية أقوال المحاورات، وأيضا لأن كلام رسولهم لم يُحكَ بصيغة القول بل حُكي

ب(أن) التفسيرية لما تضمنه معنى الإرسال في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(المؤمنون ٣٢)"[٨٥٦]

ومثل ذلك ما قاله الشيخ زاده -رحمه الله- حيث ذكر أن العطف بالواو في قصة نوحعليه السلام كان لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول ولم يقع عقِبه حتى يتصل بالفاء، بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف بالواو للدلالة على اجتماعهما في الوجود.[٨٥٧]

الموضع الثاني:

الزيادة على الوصف بالكفر في سورة المؤمنون في قصة هودعليه السلام بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ دون وجود هذه الزيادة في قصة نوحعليه السلام في نفس السورة.

نوعه: تشابه بالزيادة والنقصان.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه الزيادة دالّة على أن المذكورين في القصة الثانية ليسوا في شمول الكفر إياهم واستيلائه على معظمهم كقوم نوحعليه السلام، بل الإيمان في هؤلاء أفشى وأكثر، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾(هود ٥٨)، ولم يقع هنا وصف من آمن من قوم هودعليه السلام بقلّة ولا بكثرة، فبقي الاحتمال متساوياً في الطرفين، إلا أنه ورد في وصف الملأ المكذِّبين من قوم هودعليه السلام في هذه السورة ممن أفصح بالرد والتكذيب وصدّ الناس عن اتباعه ما يُشعر بأنهم ليسوا أكثر قومه، وذلك لما وصفهم به بعد الكفر من التكذيب والإتراف وهو التنعّم والترفّه، والعقل شاهد أن المترفين ليسوا جميعهم، أما الكفر فلا يبعد اتصاف أمة بأسرها به، ويبعد اتصاف جميعهم بالامتداد في الترف، بل

---

[٨٥٦] التحرير والتنوير ٥١/١٨

[٨٥٧] ينظر حاشية الشيخ زاده ٤٠٣/٤

ذلك يمتنع أن يتصف به الأكثر، فأشعر وصفهم بما ذكر بعد كفرهم بكثرة ما ذُكر فيمن عداهم، بخلاف الحال في قوم نوحعليه السلام، وأشعر أيضاً بامتدادهم وتمكنهم في دنياهم أكثر من غيرهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ ﴾ (الفجر ٦-٨) ، فأشعرت زيادة الوصف بتوسّع الحال وامتداد الآماد، فلم يكن بدّ من وصفهم بما ذُكر.[٨٥٨]

[٨٥٨] ينظر ملاك التأويل ٢/٨٧٧

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة المؤمنون في قصة صالحعليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(المؤمنون ٠٢٤)

وقال في سورة فصلت في قصتي هود وصالح عليهما السلام: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(فصلت ٠١٤)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

جاء لفظ الجلالة في الآية الأولى بينما جاء لفظ الرب في الآية الثانية.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة بأخرى لها نفس المعنى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

للآيتين نفس المعنى لكن الاختلاف كان لمراعاة السابق في كل موضع، ففي الآية الأولى تقدم لفظ الجلالة كثيراً في السورة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(المؤمنون ١٤)، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(المؤمنون ٢٣)، وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(المؤمنون ٣٢)، بينما تقدم في الآية الثانية لفظ الرب كثيراً في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(فصلت ٢)، وقوله: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾(فصلت ٩)، وهما بالرب والتربية أشبه منهما بلفظ الجلالة.

وقد طالت الأخبار والأحوال المسندة في السورة إلى رب العالمين من أول قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ ﴾ إلى آخر السورة.

الوحدة الثالثة

قال تعالى في سورة المؤمنون في قصة نوح‍عليه السلام:﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥ ﴾

(المؤمنون ٠٢٥)

وقال في السورة نفسها في قصة هود‍عليه السلام: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ ﴾

(المؤمنون ٠٣٨)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

اختلفت التهمة في الآيتين، فقوم نوح‍عليه السلام اتهموه بالجنون وعاداً اتهمت هوداًعليه السلام بالكذب والافتراء.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال تهمة بأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لمّا كان نوح‍عليه السلام أسرع الرسل في دعوة قومه، يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وكان في أخريات أيامه شرع في عمل السفينة في بريةٍ لا ماء فيها فكان كل ذلك مما زاد قومه حماقةً وتطاولاً عليه حتى أسقطوه عن رتبة العقلاء أهل الرزانة والأعمال المعقولة فرموه بأنه مجنون، كما حُكي عنهم في سورة القمر: ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ ﴾(القمر ٩)، أما هودعليه السلام وقومه فلم يكونوا بهذه المثابة ولا بهذه الظروف والملابسات.

ولذلك حكى القرآن عن قوم نوح‍عليه السلام في سورة الشعراء في قولهم: ﴿ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ ﴾(الشعراء ١١٦)، في حين كان الأقوام الآخرون يهددون بإخراج نبيهم لا برجمه كما حُكي عن قوم شعيب‍عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ ﴾(الأعراف ٨٨)، وقولهم له في سورة هود: ﴿ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ ﴾(هود ٩١)

سورة الشعراء
فيها وحدة واحدة

قال تعالى في سورة الشعراء في قصة صالح‌عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء ١٥٣-١٥٤)

وقال في قصة شعيب‌عليه السلام في نفس السورة: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٥-١٨٦)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

جاء إثبات حرف الواو في قصة شعيب‌عليه السلام في قوله:﴿ وَمَآ أَنتَ ﴾، وحذفها من قصة صالح‌عليه السلام في قوله:﴿ مَآ أَنتَ ﴾.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

أن حرف الواو دال على المغايرة والتعدد والذهاب بالجملتين مذهب الشيئين كونه بشراً وكونه مسحوراً بمعنى أنه معلّل بالطعام والشراب، أو أن السحر أثّر فيه وجعله يخلط ويهذي، وحرف الجر دال على أن الثاني بيانٌ للأول، والذهاب بهما مذهب الشيء الواحد، وعلى هذا كان توجيه الخطيب الإسكافي الذي ذكر أن الآية الأولى بدل من الجملة التي قبلها فناسبها الفصل، أما في قصة شعيب‌عليه السلام فإن تكذيب قومه له ومخاطبته لهم كان أكثر من الحاصل من قوم صالح‌عليه السلام فناسبه إكثارهم في الجواب وذلك بالعطف، فإن قوم صالح‌عليه السلام لم يدفعوا أمره في هذا الخطاب كما دفع أمر شعيب‌عليه السلام قومه في خطابهم له الوارد في الآية الثانية، كما أن الله حكى من قول ثمود لنبيهم صالح‌عليه السلام:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ ثم لم يطلبوا ما ليس لهم طلبه؛ لأنهم قالوا:﴿ فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ

ﭐلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾وهذا لا إفراط فيه ولا شطط بل هو دليل على عــدم جــزمهم بكذبه، ولا في قولهم:﴿ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾، وقولهم:﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ لأن الله تعالى قال لنبيه محمــدﷺ:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (فصلت ٦)

والمسحّرون قيل هم مَن لهم سَحْر، والسَّحْر الرئة[٨٥٩]، وقيل السَّحْر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن[٨٦٠]، وكان أصحاب هذا القول يرون أن المســحّرين هــم المخلوقون المحتاجون إلى الأكل والشرب، كما قال امرؤ القيس[٨٦١]:

أرانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيبٍ ونُسْحَرُ بالطعامِ وبالشرابِ[٨٦٢]

وقال لبيد:[٨٦٣]

فإن تسْأَلينا فيما نحن فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ[٨٦٤]

---

[٨٥٩] ينظر الزجاج ٩٧/٤

[٨٦٠] ينظر النهاية لابن الأثير ٣٤٦/٢

[٨٦١] هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثــور بــن مرتع بن معاوية الكندي، أبو يزيد ويقال أبو وهب ويقال أبو الحارث، من شعراء الجاهلية. (ينظــر تــاريخ دمشق ٢٢٢/٩)

[٨٦٢] ينظر ديوان امــرؤ القــيس ص٧٢، وانظــر جمهــرة اللغــة ٥١١/١، وتفســير الطبــري ١٠٣/١٩، واللسان٣٤٩/٤ مادة سحر.

معنى موضعين: أي مسرعين، وقوله لأمر غيب: يريد الموت وأنه قد غيّب عنّا وقته، ومعنى نسحر بالطعام: أي نلهى ونجزع ونعلّل.

[٨٦٣] هو لبيد بن أبي ربيعة بن مالك العامري ويكنى أبا عقيل، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وقــد أدرك الإسلام ويعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، توفي سنة ٤١هــ (ينظــر الإصــابة٦٧٥/٥، والإســتيعاب ١٣٣٥/٣)

[٨٦٤] ينظر جمهرة اللغة ٥١١/١، ومجاز القرآن٨٩/٢، ومقاييس اللغة١٣٨/٣، ومعاني القرآن للفراء٢٨٢/٢. قال أبو عبيدة في المجاز:"كل مَن أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر وذلك أن له سحرا يقري يجمع مــا أكــل فيه".

وقيل المسحّرون هم المسحورون، كأنه سُحر مراراً حتى خبل وفسد عقلـــه واضطرب رأيه.[٨٦٥]

والقول الصحيح الذي ارتضاه الطبري-رحمـــه الله- هـــو أن المســـحّرين مخلوقون معلّلون بالطعام والشراب مثلنا.[٨٦٦]

فالموضع الذي لا واو فيه وهو قصة صالحعليه السلام بدل من الجملة التي قبله، ثم قال:﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ ولهم أن يقولوا ذلك.

أما قوم شعيبعليه السلام فإنهم في خطابهم المحكي عنهم في الآية الثانية جائرون ومبالغون في الرد والتكذيب، حيث قالوا:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ فدلّ قولهم على خبرين عُطف أحدهما على الآخر، وقالوا﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ على معنى: وإنّا لنظنك كاذباً، أي الغالب في أمرك عندنا أنك كاذب، فلم يجعلوا الخبر خبراً واحداً بل جعلوه أخباراً ثلاثة،

قولهم أولاً: ﴿ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ أي: لست من الملائكة الذين هم رسل الله إلى خلقه، فلا يطعمون ولا يشربون، بل أنت من المتغذّين بالطعام والشراب.

وقولهم ثانياً:﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾أي: لا فضل لك علينا.

وقولهم ثالثاً:﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

ثم استعجلوا العذاب وطلبوا منه إسقاط كِسف [٨٦٧] من السماء عليهم يكون أمارةً على صدقه، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٧)، خلافاً لطلب ثمود من صالحعليه السلام حيث قالوا:﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ ولم تقترح، كما أن الحالة التي كانت فيها

---

[٨٦٥] ينظر معاني القرآن للزجاج٤/٩٧، وتفسير الطبري١٩/١٠٢، والدر المنثور٦/٣١٦، وتفسير ابن كثيـــر ٣/٥٤٩.

[٨٦٦] ينظر تفسير الطبري ١٩/١٠٣ بإسناده عن ابن عباس.

[٨٦٧] قال في المفردات للراغب:"الكسفة قطعة من السحاب والقطن .... وجمعها كسف" ص٧١١

عند مخاطبتها لصالحﷺ لم يقارنها من التمرد ما قارن حال قوم شعيبﷺ حين ردوا عليه خبراً بخبر، من أجل ذلك وقعت الواو في الآية الثانية دون الأولى.[٨٦٨]

وقد وافق الكرماني[٨٦٩]، وابن جماعة[٨٧٠]، والأنصاري[٨٧١]، -رحمهم الله جميعاً- على كلام الطبري.

وقيل أن مرد ذلك إلى مراعاة حال السابق في كل موضع، وهذا ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله-، ففي قصة صالحﷺ سبق القليل من قوله ودعوته فأجيب بالقليل، فلم يقع في كلامه الكثير من المعطوفات أمراً ونهياً فناسب ذلك ورود جوابهم في دعوى المماثلة في البشرية بغير حرف العطف.

وفي قصة شعيبﷺ سبق الكثير من الأوامر والنواهي المعطوفة بحرف الواو فأجيب بالكثير والعطف بحرف الواو.[٨٧٢]

وقال الزمخشري-رحمه الله- أن دخول الواو بين الجملتين تفصل بين معنييهما فتكون كل واحدة ذات معنىً مستقل عن الأخرى، ومتميزةً عنها، فإذا تكررت الجملتان في مقام آخر وسقطت هذه الواو كان الكلام كلاماً واحداً يقرر بعضه بعضاً، ولكنه لم يبيّن السياق الذي اقتضى الواو والسياق الذي اقتضى حذفها كما فعل علماء المتشابه.[٨٧٣]

وقال بقوله الفخر الرازي[٨٧٤]، والبيضاوي[٨٧٥]، وأبو حيان[٨٧٦]، والألوسي[٨٧٧]- رحمهم الله-

---

[٨٦٨] ينظر درة التنزيل ص٥٩١-٥٩٣، والكشاف ٣٣٨/٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٤١/٢٤

[٨٦٩] ينظر البرهان ص٢٨٥

[٨٧٠] ينظر كشف المعاني ص٢٨٢

[٨٧١] ينظر فتح الرحمن ص٤١٥

[٨٧٢] ينظر ملاك التأويل ٨٩٥/٢

[٨٧٣] ينظر الكشاف ١٢٧/٣، وينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري للدكتور أبو موسى ص٤٣١

[٨٧٤] ينظر التفسير الكبير ١٤١/٢٤

[٨٧٥] ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٥/٢

[٨٧٦] ينظر البحر المحيط ٣٨/٧

[٨٧٧] ينظر روح المعاني ١٠/ ١١٧

كما وافقه الطاهر ابن عاشور حيث يقول:"الإتيان بواو العطف يجعل كونــه بشراً إبطالاً ثانياً لرسالته، وترْك العطف في قصة ثمود يجعل كونه بشــراً حجــةً على أن ما يصدر منه ليس وحياً على الله بل هو من تأثير كونه مســحوراً فمــآل معنى الآيتين متحد ولكن طريق إفادته مختلــف وذلــك علــى حســب أســلوب الحكايتين."[٨٧٨]

وقال بمثل ذلك الشهاب الخفاجي-رحمه الله- [٨٧٩] وزاد في توضيح المعنــى مع الفصل أن ترك الواو في قصة ثمود:"لأنه استئناف لتعليل أو تأكيد."[٨٨٠]

---

[٨٧٨] التحرير والتنوير ١٨٦/١٩

[٨٧٩] هو:أحمد بن محمد بن عمر المصري القاضي شهاب الدين المعروف بالخفاجي، الأديب الحنفي، له عناية القاضي وكفاية الراضي حاشية على تفسير البيضاوي، مات سنة ١٠٦٩هـــ (ينظر هدية العارفين ٨٦/١)

[٨٨٠] حاشية الشهاب على البيضاوي ٢٦/٧

سورة النجم

في هذه السورة وحدة واحدة:

ذكر تعالى قصتي عاد وثمود في سورة النجم بقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ ﴾

(النجم ٠٥٠-٠٥٣)

وذكرهما في سورة الحاقة بقوله: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ ﴾

(الحاقة ٠٠٤-٠٠٦)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

قدّم تعالى ذِكر عاد في موضع سورة النجم وأخّر ذِكر ثمود، بينما قدّم ذكر ثمود في موضع سورة الحاقة وأخّر ذكر عاد.

نوعه: تشابه بالتقديم والتأخير.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

التقديم والتأخير في القرآن يكون لمراعاة سياق الكلام والاتساق العـــام فـــي التعبير، فتقديم عاد في سورة النجم كان لأن الشر أتاهم من حيــث ظنـــوه خيـــراً وجزموا بأنه من الأنواء النافعة التي كانت عادتهم استمطارها، والتي تحدثت عنها أول السورة.[٨٨١]

بينما كان تقديم ثمود في سورة الحاقة لأن بلادهم أقرب إلى قريش، وواعظ القرب أنسب إلى موضوع السورة التي كانت تحذر قريش مـــن مصـــير الأمـــم السابقة.[٨٨٢]

---

[٨٨١] ينظر نظم الدرر ٧٨/١٩

[٨٨٢] ينظر نظم الدرر ٣١٤/٢٠

سورة القمر

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في سورة القمر في قصة نوحعليه السلام: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾

(القمر ٠٠٩)

وقال تعالى في قصة هودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾

(القمر ٠١٨-٠٢١)

وقال في قصة صالحعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾

(القمر ٠٢٣-٠٣١)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

تكرار التكذيب في قصة نوحعليه السلام، ولم يكرر ذلك في باقي القصص.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

لعل ذلك لأن قوم نوحعليه السلام كانوا أظلم وأطغى، وكانوا أشد كفراً من غيرهم، ولبقاء نوحعليه السلام فيهم مدة أطول من بقاء غيره من الأنبياء في أممهم فكثر منهم التكذيب بعد التكذيب.

الموضع الثاني:

تخصيص نوحعليه السلام بالعبودية دون ذكر مفعول التكذيب في باقي القصص.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

خُصّ نوحعليه السلام بذكر أنه عبد لله تشريفاً له على ما بذل في ميدان الدعوة مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً.

الموضع الثالث:

ذُكرت النُّذر على أنها المكذَّب بها في قصة ثمود في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾دون ذكر ذلك في قصتي نوح وهود عليهما السلام.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

النُّذر جمع نذير بمعنى الإنذار[٨٨٣]، والمكذَّب في كل قصة رسول واحد أو رسالة واحدة وهذا تكذيبٌ بالكل، لذا يجوز ذِكر تكذيب النّذر في كل قصة، إلا أنه كلما تأخرت القصة في الوجود وتأخّر رسولها عن جملة من الرسل السابقين كان ذِكر الجملة المكذّبة فيها أولى وأظهر، لأن العادة جرت بأن يُذكِّر كل رسول بمن كان قبله من الرسل والأقوام فكان قومه يكذبونه ولا يعتقدون بالرسل التي يحدّث عنها فكانت قصة صالحعليه السلام بذلك أولى من القصتين السابقتين.

---

[٨٨٣] ينظر لسان العرب ٢٠١/٥

الموضع الرابع:

فصّل تكذيب ثمود في السورة بينما أجمل تكذيب عاد.

نوعه: تشابه بالإجمال والتفصيل.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

كان التفصيل في حكاية تكذيب ثمود لقصد بيان المشابهة بين تكذيبهم وبـــين تكذيب قريش إذ تشابهت أقوالهم.[٨٨٤]

---

[٨٨٤] ينظر التحرير والتنوير ١٨٨/٢٧

المرحلة الثالثة

هي المرحلة المتعلقة بعقاب الأمم وما حلّ بهم بعد تكذيبهم لأنبيائهم.

سورة الأعراف

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾
(الأعراف ٠٦٤)

وقال أيضا في سورة هود: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾
(هود ٠٤٠)

وقال في سورة الأنبياء: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾
(الأنبياء ٠٧٦)

وفي سورة المؤمنون: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
(المؤمنون ٠٢٧)

وقال في سورة الشعراء: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (الشعراء ١١٩)

وقال في سورة الصافات: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الصافات ٠٧٦)

وقال تعالى في قصة هود عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾
(الأعراف ٠٧٢)

وفي سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

(هود ٠٥٨)

وقال تعالى في سورة الأعراف في قصة صالحعليه السلام: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

(الأعراف ٠٧٨)

وقال في سورة هود: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(هود ٠٦٦-٠٦٧)

وفي سورة النمل: ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(النمل ٠٥٣)

وقال تعالى في قصة شعيبعليه السلام في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

(الأعراف ٠٩١)

وقال في سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(هود ٠٩٤)

وقال في سورة العنكبوت: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٠٣٧)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

الذين ذكر الله نجاتهم مع الرسل في قصة نوحعليه السلام ذُكروا مرتين بعنوان الأهل في سورتي الأنبياء والصافات، وأما في بقية مواضع قصة نوحعليه السلام والقصص الأخرى فلم يُذكر الناجون بعنوان الأهل بل بعنوان: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى

﴿ ٱلۡفُلۡكِ ﴾،و ﴿ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ ، و ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾، و﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾، و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال كلمة الأهل في قصة نوحعليه السلام بالجمل الأخرى في باقي مواضع القصة وفي القصص الأخرى.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

السبب في ذلك أن نوحاعليه السلام لم يؤمن معه إلا القليل كما نطق بذلك صريح القرآن وكان هذا القليل من أهله وأولاده ونسائهم كما نطقت بذلك الآثار، واختلفت الروايات في تحديد العدد لكنها لم تُخرجهم عن كونهم قلة، لذلك وقع التعبير عنهم تارةً بالأهل مراعاة لذلك وأخرى بغير الأهل لما عسى أن يكون فيهم ممن ليسوا من أهله، أما الأقوام الأخرى فكان في مؤمنيهم كثْرة فوقع التعبير عنهم بعبارات مختلفة منها:﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾، و﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾، و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

الموضع الثاني:

وحّد الدار مع الرجفة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام في موضع سورة الأعراف، بينما جمع الدار في القصتين مع الصيحة في موضع سورة هود.

نوعه: تشابه بالجمع والإفراد.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

كان الجمع والإفراد في الموضعين للإشارة إلى عِظم الزلزلة والصيحة فيهما، وذلك لأن الزلزلة إذا كانت في شيء واحد كانت أمكن، فيكون المقصود من النكال الأعظم، والصيحة من شأنها الانتشار فإذا عمّت الأماكن المتنائية والديار المتباعدة فأهلكت أهلها ومزقت جماعتها وفرقت شملها كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة بحيث تنزعج من تأمُّل وصفها النفوس وترجُف لها القلوب،

وحاصله أنه حيث عبّر بالرجفة وحّد الدار إشارةً إلى شدة العذاب بعِظم الاضطراب، وحيث عبّر بالصيحة جمع إيماءً إلى عموم الموت بشدة الصوت ولا مخالفة؛ لأن عذابهم كان بكل منهما، ولعلّ إحداهما كانت سبباً للأخرى، ولعلّ المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطراباً قطعها، أو أن الدار رجفت فرجفت القلوب وهو أقرب، وخُصّت الأعراف بما ذُكر فيها لأن مقصودها إنذار المعرضين، والرجفة أعظم قرعاً لعدم الإلف لها.[٨٨٥]

ويقول الإسكافي–رحمه الله– أن كل موضع ذُكر فيه النبي وقومه بوصف أنه أخوهم، كما قال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾، وقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ جاء إفراد الدار، لأنهم أبناء أب واحد، وديارهم دار واحدة، بشرط ألا يُذكر إخراج النبي والذين آمنوا معه، كما قال في سورة الأعراف:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ إلى قوله:﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾من دون أن يذكر إخراج النبي والذين آمنوا معه، وكذلك الحال في قصة شعيب عليه السلام، أما إذا ذُكر إخراج النبي والذين آمنوا معه فإن ذلك يقتضي الجمع، لأن الكفر فرّق بينهم، فنجا من نجا وهلك من هلك، فلم يكونوا أهل دار واحدة، ولهذا لمّا قال سبحانه في سورة هود عليه السلام في قصة صالح:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ جاء بعده:﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ بجمع لفظ (ديار).

وكذلك ورد الجمع في قصة شعيب عليه السلام:﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٨٨٦]

أما الكرماني–رحمه الله– فقد علّل الإفراد والجمع بتعليل آخر يختلف عن الإسكافي، وهو مبنيٌّ على فهم الدلالة المعنوية للألفاظ، وربط تلك الدلالة بسياق النظم القرآني، فقد لاحظ أن الجمع في الدار جاء مع الصيحة، لأنها رفْع الصوت،

---

[٨٨٥] ينظر تفسير أبي السعود ٢٤٤/٣، ونظم الدرر ٤٤٩/٧،٤٥٠

[٨٨٦] ينظر درة التنزيل ص٣٧٨،٣٧٩

ويصحبها فزع، والإفراد جاء مع الرجفة التي في أصلها اللغوي تعني الاضطراب الشديد [٨٨٧]، ولمّا كانت من جهة السماء كان بلوغها أعظم وأثرها أشد، فوافق ذلك جمع لفظ الديار، لأن الجمع يدل على الكثرة وعلى المبالغة، كما ناسب سياق الآية الثانية الإفراد لمناسبة لفظ الرجفة، ولما يفيده الإفراد من الخصوص والتقييد.[٨٨٨]

وقد تم تفصيل ذلك في قصة صالح عليه السلام.[٨٨٩]

---

[٨٨٧] ينظر لسان العرب ٥٢١/٢- ١١٢/٩، والمفردات في غريب القرآن ص٢٧٦، ص٤٢٦

[٨٨٨] ينظر البرهان ص٢٢٥، وينظر كشف المعاني ص١٨٠، وفتح الرحمن ص١٩٨

[٨٨٩] ينظر قصة صالح عليه السلام ص ٣٣٩

سورة هود

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في سورة هود في قصة هودعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

(هود ٠٥٨)

وفي قصة صالحعليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

(هود ٠٦٦-٠٦٧)

وفي قصة شعيبعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(هود ٠٩٤)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

جاءت آيتي هود وشعيب عليهما السلام بحرف الواو في قوله:﴿ وَلَمَّا ﴾، بينما جاءت آية صالحعليه السلام بحرف الفاء في قوله:﴿ فَلَمَّا ﴾

نوعه: تشابه بالإبدال، إبدال حرف الواو بالفاء.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

السر في ذلك كما يقول الكلبي-رحمه الله- أنه حيث يتقدم وعيد بالعذاب في القصة يدل على اقتراب وقوعه كان حرف الفاء، كقولك: (وعدته فلما جاء الميعاد)، وحيث لم يتقدم ذلك كان حرف الواو[٨٩٠]. ففي قصة صالحعليه السلام تقدم قوله تقدماً مباشراً: ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾(هود ٦٥)، أما في قصتي هود وشعيب عليهما السلام فلم يتقدم في الأولى إلا قوله تعالى: ﴿ فَإِن

---

[٨٩٠] ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٠٧/٢، وتفسير أبي السعود ٢٣٧/٤، ودرة التنزيل ص٢٣٤،٢٣٥

تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ ﴾ (هود ٥٧)، ولم يتقدم في الثانية إلا قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾ (هود ٩٣)، فهذا أو ذاك وإن كان فيهما إيعادٌ وتهديدٌ بمجيء بأس الله وأمره، إلا أنه عارٍ عن الدلالة على اقتراب ذلك وتوقيته، بل إن فيها إشارةً إلى تعقّب العذاب للأيام وتسبّبه عن الوعيد المعين.[٨٩١]

وهذا ما ذهب إليه الكرماني-رحمه الله- فقال أن العذاب في قصتي هود وشعيب عليهما السلام تأخّر عن وقت الوعيد لذا جاء بالواو، أما في قصة صالحعليه السلام فقد وقع العذاب عقب الوعيد فجاء بالفاء.[٨٩٢]

وقد وافق ابن الزبير الغرناطي الكرماني فيما ذكره فقال في ملاك التأويل أن آية صالحعليه السلام ورد فيها ما يقتضي معناه أن يربط بالفاء المقتضية التعقيب، حيث تعقبها قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾ (هود ٦٥)، فكأنه قيل: فلما انقضت هذه الأيام الثلاثة، فالموضع للفاء لمقصود التعقيب، وأما قصة هودعليه السلام فلم يرِد فيها ما يستدعي التعقيب بل قبلها ما يقتضي أن ينسق ما بعده بواو العطف، وهو قوله تعالى مخبراً عن قوم هودعليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ ﴾ (هود ٥٧)، ثم قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ (هود ٥٨)، فعطْف هذه الجمل بعضها على بعض مما يناسب العطف بالواو، وعلى هذا وردت آية شعيبعليه السلام فورد قبلها: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ ﴾ (هود ٩٣) ، ثم بعد

---

[٨٩١] ينظر نظم الدرر ٣٢٣/٩، والتحرير والتنوير ١٥٣/١٢

[٨٩٢] البرهان ص٢٢٢

ذلك:﴿ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾ وليس في ذلك شيء يقتضي التعقيب بل يقتضي حمْل الآي بعضها على بعض بحرف التشريك.[٨٩٣]

أما ابن جماعة[٨٩٤]، والأنصاري[٨٩٥]، رحمهما الله، فقد تابعا الكرماني ونقلا نص كلامه.

وأما البيضاوي-رحمه الله- فقد ذكر أن الفاء هنا للسببية بسبب تقدم ذكر الوعد في الآيتين، ولم يرد هذا في بقية القصص[٨٩٦] ، ووافقه الشهاب الخفاجي- رحمه الله-[٨٩٧]، ومع هذا فقد اعترض على رأي الإسكافي في توجيه ذكر الفاء في الآيتين فقال:"وما قيل في جوابه: أن ما ذُكر محمول على العذاب الدنيوي، أو أنه ذكر الفاء في الموضعين لقرب عذاب قوم صالح عليه السلام للوعد المذكور من غير فصل بعيد فلا يخفى"[٨٩٨]، والحق أن ذكر الوعد يدل على قرب وقوع العذاب.

الموضع الثاني:

قوله: ﴿ نَجَّيۡنَا ﴾في قصص هذه السورة مع مجيء أنجينا في سورة الأعراف وغيرها.

نوعه: تشابه باختلاف الصيغة الصرفية، بالتضعيف وعدمه.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

هذه طريقة موحّدة في سورة هود في حكاية هذا المآل، حيث نوّه فيها كلها بمجيء الأمر وحصول التنجية بالتشديد والتضعيف ﴿ نَجَّيۡنَا ﴾، كما صرح فيها

---

[٨٩٣] ملاك التأويل ٦٥٦/٢-٦٥٨

[٨٩٤] ينظر كشف المعاني ص٢١٢

[٨٩٥] ينظر فتح الرحمن ص٢٦٧

[٨٩٦] ينظر تفسير البيضاوي ٤٦٨/١

[٨٩٧] ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي ١٣٢/٥

[٨٩٨] حاشية الشهاب على البيضاوي ٤٦٨/١

بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾، وبقوله:﴿ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ وهذه المميزات كلها تُذكر مقترنة في هذه المواضع تابعةً لقوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾.

فإذا لم يُذكر قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ انفرط عقد هذا النظام، فقد يُذكر قوله (أنجينا) بدل ﴿ نَجَّيۡنَا ﴾ كالواقع في سورة الأعراف، وقد يُقال﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ بدل :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ ، وكذلك قد يقال: ﴿ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ بدل كل منهما، وقد يقال ﴿ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا ﴾ وقد لا تقال. وقد سبقت الإشارة إلى أسرار كل قول في موضعه.[٨٩٩]

الموضع الثالث:

قوله تعالى في قصة صالحعليه السلام:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ بالتذكير، بينما قال في قصة شعيبعليه السلام:﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ بالتأنيث.

نوعه: تشابه بالتذكير والتأنيث.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

كلٌ من التذكير والتأنيث جائزٌ كما يقول النحاة لأنه فصل بين الفعل وفاعله بفاصل وكان الفاعل مجازياً.

قال الناظم[٩٠٠]:

وقد يبيحُ الفصلُ تركَ التاءِ في نحوِ: أتَى القاضيَ بنتُ الواقف.[٩٠١]

---

[٨٩٩] ينظر قصة نوحعليه السلام ص ١٣٥، وقصة هودعليه السلام ص ٢٦١

[٩٠٠] هو: الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجياني، النحوي، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة منها: الكافية الشافية وشرحها، والتسهيل وشرحه، والألفية التي شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً، أثنى عليه غير واحد، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة، توفي سنة ٦٨٦هـ، (ينظر البداية والنهاية ٢٦٧/١٣، والوافي بالوفيات ١٦٦/١)

[٩٠١] ينظر شرح ابن عقيل ٨٩/٢

وعلى الرغم من هذا الجواز إلا أنه لابد من سببٍ لذكر التاء أو حذفها، يقول البقاعي في نظم الدرر:"وكأنها – يعني صيحة قوم شعيبعليه السلام – كانت دون صيحة ثمود؛ لأنهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث في هذه دون تلك."[٩٠٢]

وقيل أن كلاً من التأنيث والتذكير جائز، لكن حصل التأنيث لوجود علامة التأنيث في كلمة الصيحة، وحصل التذكير على إرادة الصوت من الصيحة، كما أنث الصوت على إرادة الصيحة في قول القائل:

يا أيها الراكبُ المُزجى مَطِيّته   سائلُ بني أسدٍ ما هذه الصوت[٩٠٣]

فإذا كان الأمر كذلك وكان قد وقع الفصل بين الفعل وفاعله في هاتين الآيتين فصار تذكير الفعل أصل حتى ليذكرونه عند الفصل، ولو كان الفاعل حقيقي التأنيث، كما قالوا: حضر القاضيَ اليوم امرأةٌ، وكان التذكير كذلك أصلاً للتأنيث لشرف الذكر وتقدمه على الأنثى فقد وقع أصلاً في قصة صالحعليه السلام، ثم وقع تأنيث الفعل في قصة شعيبعليه السلام بياناً للجواز ليكون القرآن وارداً بالطريقتين.

وقد ذهب ابن الزبير الغرناطي–رحمه الله– إلى أنه كلّما كثُر الفصل حسُن الحذف، وهذا شبيهٌ لما ذهب إليه سيبويه حيث يقول:"وكلما طال الكلام فهو أحسن نحو قولك: (حضر القاضيَ امرأةٌ) لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل".[٩٠٤]

ثم وجه الغرناطي–رحمه الله– الآيتين بناءً على ما ذهب إليه فقال:" فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن، فجاء الفعل في الآية الأولى– يعني قصة ثمود– على الأول– يعني الحذف–، ثم ورد في قصة شعيبعليه السلام بإثبات علامة التأنيث على الوجه الثاني جمعاً بين الوجهين، إذ الآيتان في سورة واحدة، وتقدمها الأَولى على ما ينبغي."[٩٠٥]

---

[٩٠٢] نظم الدرر ٣٦٧/٩

[٩٠٣] هو قول رويشد بن كثير الطائي، وقد أنث الصوت هنا لأنه أراد الاستغاثة، وتأنيث المذكر قبيح لأنه خروج عن أصل إلى فرع وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير لأن التذكير هو الأصل بدلالة أن الشيء مذكر وهو يقع على المذكر والمؤنث (ينظر سر صناعة الإعراب ١١/١، وديوان الحماسة ٤٧/١، وسر الفصاحة ١٦/١)

[٩٠٤] كتاب سيبويه ٢٣٥/١، وينظر بدائع الفوائد ١٢٥/١

[٩٠٥] ملاك التأويل ٦٦١/٢

ولكن في توجيهه نظر لأنه مستند على قول سيبويه: كلّما طال الفصل حسُن الحذف، وهو قول مردود فقد اعترض عليه صاحب كتاب معاني النحو بقوله: "والذي أراه أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، وإنما الذي يقرره المعنى، فليس إثبات التاء في الحقيقي التأنيث أجود، ولا إذا طال الكلام كان الحذف أجمل، سواءً كان المؤنث حقيقياً أم مجازياً ودليلنا على ذلك كلام الله تعالى."[٩٠٦]

ثم إن الغرناطي-رحمه الله- يقول أن الفعل في قصة ثمود جاء مذكراً لأنه ورد ذِكره أولا، وجاء مؤنثاً في قصة شعيب عليه السلام لأنه تأخر ذكره، ومعنى هذا الكلام أنه لو وردت قصة شعيب عليه السلام أولا لذُكّر فعله، ولو وردت قصة صالح ثانياً لأُنّث فعله. ولعل في هذا التوجيه تكلفاً واضحاً.[٩٠٧]

ووجه الخطيب الإسكافي-رحمه الله- ذلك بتوجيهين:

الأول: تحدث فيه عن حُكم اتصال علامة التأنيث وسقوطها من الفعل مع أن الفاعل في الموضعين شيء واحد وهو الصيحة، ومع أن الحاجز بين الفعل والفاعل في المكانين واحد.[٩٠٨]

الثاني: وجّه فيه تخصيص كل قصة بالفعل الذي ورد فيها، فقال:"أن الله تعالى أخبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة ألفاظ منها: الرجفة في سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الأعراف ٩١)، ومنها الصيحة في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (هود ٩٤)، ومنها الظلة في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (الشعراء ١٨٩) ، وفي التفسير أن هذه الثلاث جُمعت لهم لإهلاكهم واحدةً بعد أخرى، لأن الرجفة بدأت بهم

---

[٩٠٦] معاني النحو ٢/٤٨٢

[٩٠٧] ينظر دراسة المتشابه اللفظي للدكتور محمد السامرائي ص١٢٩-١٣٢

[٩٠٨] ينظر درة التنزيل ص٤٦٦

فانزعجوا لها عن الكنّ [٩٠٩] إلى البراح، فلما أصحروا نال منهم حرّ الشمس، وظهرت لهم ظلة تبادروا إليها وهي سحابة سكنوا إلى رَوحٍ تحت ظلها فجاءتهم الصيحة فهمدوا لها، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أُهلكوا به، غلب التأنيث هذا المكان على المكان الذي لم تتوالَ فيه هذه المؤنثات، فلذلك جاء في قصة شعيبعليه السلام:﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾". [٩١٠]

وقد وافق الكرماني الإسكافي في التوجيه الثاني، وذكر توجيهاً آخر دونـــه، وهو أن التذكير والتأنيث حسنان، لكن التذكير أخف في الأولى لحذف حرف منـــه وأحسن للحائل الذي هو اسم الموصول فاختار التذكير، وفي الأخرى وافــق مـــا بعدها وهو: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾(هود ٩٥) [٩١١]

وأما الأنباري–رحمه الله– فقد ذهب إلى أن حذف التاء من الفعل (أخذ) فـــي الآية الأولى يرجع إلى ثلاثة أسباب هي:

السبب الأول: أنه فصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به وهو (الذين ظلموا).

السبب الثاني: أن تأنيث الصيحة غير حقيقي، حيث أنه يجــوز أن نقــول: (حسن دارك واضطرم نارك)

السبب الثالث: أنه محمول على المعنى، لأن الصيحة في معنى الصياح كقوله تعالى: ﴿ جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(البقرة ٢٧٥)، ولم يقل (جاءته)، لأن (موعظة) في معنى الوعظ، والشواهد على الحمل على المعنى كثيرة جدا. [٩١٢]

وهذه الأسباب الثلاثة فيها نظر، أما **السبب الأول** فقد ذكر فيه أن سبب حذف التاء من الفعل (أخذ) في الآية الأولى هو الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول بـــه وهو (الذين ظلموا)، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول به (الذين ظلموا) في الآية الثانية كما وقع في الآية الأولى، فلماذا ذكر التاء معها؟

---

[٩٠٩] الكنّ: البيت

[٩١٠] درة التنزيل ٢/٤٦٧، وينظر فتح الرحمن ص٢٦٨

[٩١١] ينظر البرهان ص٢٢٤،٢٢٥

[٩١٢] ينظر البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٢٠

وأما **السبب الثاني** فقد ذكر فيه أن تأنيث الصيحة في الآية الأولى غير حقيقي، وقد جاء لفظ الصيحة في الآية الثانية كما ورد ذكره في الآية الأولى، وتأنيثها في الآيتين غير حقيقي، فلِمَ أنّث الفعل معها في الآية الثانية دون الآية الأولى؟

وأما **السبب الثالث** فقد ذكر فيه ابن الأنباري أن لفظ الصيحة في الآية الأولى محمول على الصياح. ولم يبين سبب حملها على المعنى في الآية الأولى دون الآية الثانية.[٩١٣]

ويوجه الفخر الرازي ذلك بقوله:"إنما قال (أخذ) ولم يقل (أخذت) لأن الصيحة محمولة على الصياح. وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل، فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث".[٩١٤]

ويمكن ردّ هذين التوجيهين بقول أن الصيحة قد وردت في الآية الثانية أيضا، فلِمَ لمْ تحمل على الصياح كذلك؟ إذن لأمكن مجيء الفعل فيها مجرداً من تاء التأنيث. وكذلك فقد حصل الفصل بين الفعل والاسم المؤنث في الآية الثانية، فلِمَ لم يأت الفعل فيها مذكّراً كما جاء في الآية الأولى.

وذكر السهيلي–رحمه الله–[٩١٥] أن "الصيحة في قصة صالحعليه السلام في معنى العذاب والخزي إذْ كانت منتظمة بقوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (هود ٦٦) فصارت الصيحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية فقويَ التذكير بخلاف قصة شعيبعليه السلام فإنه لم يُذكر فيها ذلك".[٩١٦]

---

[٩١٣] ينظر دراسة المتشابه اللفظي للدكتور محمد السامرائي ص١٣٣،١٣٤

[٩١٤] التفسير الكبير ٢١/١٨

[٩١٥] هو: الحافظ العلامة البارع أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن اصبغ بن حسين بن سعدون، ويكنى أيضا أبا الحسن، له كتاب الروض، وله كتاب الأعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، وله كتاب الفرائض وغير ذلك، وكان إماما في لسان العرب يتوقد ذكاءاً، عالما بالتفسير والحديث، توفي سنة ٥٨١هـ (ينظر تذكرة الحفاظ ١٣٤٩/٤)

[٩١٦] نتائج الفكر ص١٧٠، وينظر بدائع الفوائد ١٢٦/١، وينظر البرهان للزركشي ٣٨٦/٣

يقول ابن القيّم-رحمه الله- معلقاً على كلام السهيلي:" وعندي فيه جواب أحسن من هذا إن شاء الله وهو أن الصيحة يُراد بها المصدر بمعنى الصياح فيحسُن فيه التذكير، ويراد بها الواحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن، وقد أخبر تعالى عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب عليه السلام بثلاثة أمور كلها مؤنثة في اللفظ، أحدها: **الرجفة** في قوله في سورة الأعراف:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(الأعراف ٩١)، الثاني: **الظلة** بقوله:﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ (الشعراء ١٨٩)، الثالث: **الصيحة:**﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾، وجُمع لهم بين الثلاثة، فإن الرجفة بدأت بهم فأصحروا إلى الفضاء خوفاً من سقوط الأبنية عليهم، فصهرتهم الشمس بحرها، ورُفعت لهم الظلة فأهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس، فنزل عليهم منها العذاب وفيه الصيحة، فكان ذكر الصيحة مع الرجفة والظلة أحسن من ذكر الصياح، وكان ذكر التاء والله أعلم."[٩١٧]، وهذا شبيه بتوجيه الخطيب الإسكافي -رحمه الله- السابق ذكره.

والذي يتضح لي -والله أعلم- أن التوجيه الثاني للإسكافي وتأكيد ابن القيم عليه هو الأقرب والأولى لمقاصد الآيات لأنه قام على تأمل قصة شعيب عليه السلام مع قومه في القرآن، ولأن التعبير عن العذاب الذي أُخذوا به جاء بألفاظ مؤنثة فناسب ذلك إلحاق الفعل بتاء التأنيث، وهذا لم يقع في قصة صالح عليه السلام مع قومه فناسب عدم تأنيث الفعل.

---

[٩١٧] بدائع الفوائد ١٢٦/١، وينظر البرهان للزركشي ٣٨٦/٣

سورة النمل

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في قصة صالحعليه السلام في سورة النمل: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

(النمل ٥٢٠)

وقال في قصة نوحعليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

(العنكبوت ٠١٥)

مواضع التشابه:

الموضع الأول:

كانت الآية في قصة نوحعليه السلام للعالمين، بينما كانت في قصة صالحعليه السلام لقوم يعلمون.

نوعه: تشابه بالتعميم والتخصيص.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

ذِكر العالمين في قصة نوحعليه السلام مناسبٌ لما ذُكر من أن السفينة التي استوت على الجودي بقيت كثيراً مشاهدةً للناس، شاهِدةً على هذه الآية، وترادف جنسها بعد ذلك، وتداوله بين الناس، وتعاطيهم له، وركوبهم فوق ظهره، وارتجاف قلوبهم بالخوف، مذكِّراً لهم إلى أن تقوم الساعة بهذه الآية.

ولا يخفى ما في أقدمية قصة نوحعليه السلام ونجاته من المناسبة مع ذكر العالمين فإنها تكاد تنتظم العالمين كلهم؛ لأنها كانت منذ فجر الخليقة، وكان نوحعليه السلام آدم الثاني، وكان هو وذريته من بعده رأس العالمين خاصة على القول بعموم الطوفان.

أما ذِكر قوم يعلمون في سورة النمل في قصة صالحﷺ فلأن السورة فائضة بذكر العلم والحكمة، ولأن الوصف بالعلم كالمقابل للسابق عليه مباشرة من وصف الكفرة بأنهم لا يشعرون في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ ﴾ (النمل ٥٠)

الموضع الثاني:

في قصة نوحﷺ جعل النجاة ومتعلقاتها آية، وفي قصة صالحﷺ جعل الهلاك ومتعلقاته آية.

نوعه: تشابه بالإبدال.

أثر السياق في توجيه المتشابه:

يقول الفخر الرازي-رحمه الله- في تفسيره أن سبب جعل النجاة آية في قصة نوحﷺ لأن الإنجاء من الطوفان الذي علا الجبال بأسرها أمر عجيب إلهي وما كانت به النجاة وهو السفينة كان باقياً والغرق لم يُبق لمن بعده أثر فجعل الباقي آية.[٩١٨]

ولكن يُتعقب عليه أن في قصة نوحﷺ آيات أخرى، فقد جعل الله الآية في نجاة نوحﷺ وغرق قومه في سور المؤمنون والشعراء والقمر، وفي بعض الآيات جعل الله الغرق وحده آية كآية سورة الفرقان، وذلك لأنه كان في كل من النجاة والهلاك آية وعبرة، وهذا توجيه لا غبار عليه إن شاء الله.

وكذلك لا غبار على قول الفخر الرازي-رحمه الله- في تفسيره: "وهاهنا أي في ترتيب قصص سور العنكبوت خاصة لطيفةٌ هي أن الله تعالى آية قدرته موجودة في الإنجاء والإهلاك، فذكر في كل باب آية، وقدّم آية الإنجاء لأنها أثر الرحمة، وأخّر الإهلاك لأنها أثر الغضب ورحمته سابقة لغضبه."[٩١٩]

---

[٩١٨] ينظر التفسير الكبير ٥٦/٢٥

[٩١٩] التفسير الكبير ٥٦/٢٥

والأَولى بيان سبب جعل الهلاك آية في قصة صالحﷺ لأن النجاة في هــذه القصة إنما كانت بأمر عادي وكان صالحﷺ ومن معه بمنأى عن العذاب، فالعبرة والآية إنما كانت في الهلاك دون النجاة.

سورة القمر

في هذه السورة وحدة واحدة:

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾
(القمر ٠١٦)

وقال تعالى في قصة هودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾
(القمر ٠١٨-٠٢١)

وقال في قصة صالحعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾
(القمر ٠٢٣-٠٣١)

في هذه الوحدة موضع واحد للتشابه:

وردت عبارة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾ مرةً واحدةً في نهاية قصتي نوح وصالح عليهما السلام بعد حكاية نزول العذاب، بينما وردت مرتين في أول قصة هودعليه السلام وآخرها.

نوعه: تشابه بالحذف والإثبات.

أثر السياق في توجيه المتشابه :

اختُصت قصة هودعليه السلام بالتكرار لأن عاداً ذُكر في قصتهم في سورة فصلت بصفة خاصة التنويه بعذاب الآخرة بعد حكاية نزول عذاب الدنيا وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (فصلت ١٦)، فاختُصت سورة القمر بالتنويه بالعذاب والنُذر مرتين على إرادة عذاب الدنيا بإحداهما وعذاب الآخرة بالأخرى منهما[٩٢٠]، وقد تُعقّب على ذلك بأن الثاني ترتب على العذاب الأول فكيف يُراد به العذاب الأخروي.[٩٢١]

وقد يجاب أيضا بأن الأولى وعيدٌ لهم وكأنها مما قاله نبيهم لهم، والثانية وعيدٌ لغيرهم مما قاله الله تعالى لمن نزل عليهم القرآن كالشأن في بقية نظائرها.

وقد يجاب بأن الأولى استفهامٌ قُصد به تنبيه السامع لما يأتي بعد من غيرهم، وتحريضه على مثل هذا السؤال، والاستعداد لتلقّي جوابه، والثانية قُصد بها التهويل في هذا العذاب وبيان جسامته.

وقريبٌ منه ما قيل من أن الأولى على معنى: فكيف كان وعيد عذابي ونذر، والثانية على معنى: فكيف كان ذلك بعد وقوعه وتحقّق وعيدنا.

وقيل أن التكرار لتقرير المعنى.[922]

والظاهر أن اختصاص عاد بذلك لأنها كانت أشد قوةً، وأكثر ترفاً ونعيماً حتى قالوا: ﴿ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ ﴾، وقد أخبر الله عنهم بأنهم أترفوا في الحياة الدنيا، وقال فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ (الفجر ٦-٨)، وقال لهم نبيهم: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (هود ٥٢)

ولا تعارض بين ذلك وبين كون قوم نوحعليه السلام أظلم وأطغى، وذلك لما تكرّر من تكذيبهم ورميهم نبيهم بالجنون، وغير ذلك مما سبقت الإشارة إليه في قصة نوحعليه السلام فحصل بذلك التمايز بين جميع القصص.

---

[٩٢٠] ينظر تفسير البيضاوي ٢٦٧/٥، وروح المعاني ٨٧/٢٧

[٩٢١] ينظر تفسير أبي السعود ١٧١/٨

[٩٢٢] ينظر التفسير الكبير ٤٣/٢٩

خاتمة البحث

الخاتمة

أحمد الله تعالى في نهاية البحث على أن يسّر لي كتابته، وجمع ما فيه، وقد اتضحت لي في نهاية البحث نتائج، منها:

١-أن السياق القرآني أحد أعمدة الترجيح الأساسية في منهجية التفسير، ولا يُستغنى عنه بحال، وهو يضبط فهم المتلقي.

٢-أن السياق القرآني مفيد في توجيه المتشابه اللفظي وبيان الفروق الدقيقة بين الآيات.

٣-أن النظر في السياق القرآني معين على تدبر القرآن الكريم، مما يقي المفسر من البعد عن مراد الله عز وجل، ويعين على دفع شبهة التكرار اللفظي والمعنوي في القرآن.

٤- ظهر لي من خلال هذا البحث أن كتب توجيه المتشابه قليلة، وهي مع قلتها لم تتناول جميع المتشابه في القصص التي درستها، من هنا ظهرت أهمية البحث ومدى صعوبته، فهو مع ذلك فن دقيق يحتاج إلى نظر في علوم مختلفة كأصول الدين والنحو والبلاغة وغيرها.

٥- أن المتشابه اللفظي من أعظم دلائل إعجاز القرآن، فهذا التشابه والاختلاف بين ألفاظ وكلمات القرآن قد أبرز أسراراً عظيمة وحِكماً عجيبة.

٦- عناية علماء المتشابه بالسياق، فكثيراً ما كانوا يربطون الآية بما جاورها، كما كانوا ينظرون مراراً وتكراراً في سياق السورة لتوجيه المتشابه.

وبعد، فإن هذا جهدي وعلى الله التُكْلان، أسأل الله العظيم أن يجعله من العلم النافع الخالص لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات المتشابهة

قصة نوح عليه السلام

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾(ص ٠١٢)

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾(الذاريات ٠٤٦)

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾(النجم ٠٥٢)

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾(القمر ٠٠٩-٠١٤)

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾(الحاقة ٠١١-٠١٢)

العنكبوت والفرقان

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(نوح ٠٢٦-٠٢٧)

فيها موضع واحد: اختلاف حكاية الدعوة في كل موضع من المواضع السابقة ١٩١

الوحدة الثانية ١٩٤

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝ ﴾(المؤمنون ٠٣٠)

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾(الفرقان ٠٣٧)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾(الشعراء ١٢١)

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً ﴾(العنكبوت ٠١٥)

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾(القمر ٠١٥)

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝ ﴾(الحاقة ٠١٢)

فيها موضع واحد: مجيء لفظ ﴿ ءَايَةً ﴾ بالإفراد في الفرقان والشعراء والعنكبوت والقمر والحاقة، وبالجمع في المؤمنون ١٩٤

الفرقان

تقدم من متشابهها ١٢٩-١٩٤

الوحدة الأولى ١٩٩

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾(الفرقان ٠٣٧)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾(الشعراء ١٠٥)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝ ﴾(ص ٠١٢)

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾(القمر ٠٠٩)

فيها موضع واحد: قوله: ﴿ كَذَّبُوا ﴾ بالتذكير في الفرقان، و﴿ كَذَّبَت ﴾ بالتأنيث في سور الشعراء وص والقمر. ١٩٩

الوحدة الثانية ٢٠١

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾(الفرقان ٠٣٧)

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً ﴾(العنكبوت ٠١٥)

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾(القمر ٠١٥)

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝ ﴾(الحاقة ٠١٢)

قصة هود عليه السلام

قصة صالح عليه السلام

الوحدة – الموضع	السورة	الصفحة

موضع التشابه: جاء وصْف البيوت في الحجر بقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ وفي الشعراء بقوله: ﴿فَرِهِينَ﴾ . ٣٥٦

الإسراء

تقدم من متشابهها ٣٠٩-٣٢٨

الشعراء

تقدم من متشابهها ٣٠٩-٣١٦-
٣٢٠-٣٢٨-
٣٣٢-٣٥٧

النمل

تقدم من متشابهها ٣٢٠-٣٣٢-
٣٥٠

فصلت

تقدم من متشابهها ٣٣٢-٣٥٠

فيها وحدة واحدة ٣٦٧

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾(فصلت ٠١٧)

﴿ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾(الذاريات ٤٤-٠٤٥)

الموضع الأول: جاءت الصاعقة نكرة في فصلت ومعرفة في الذاريات. ٣٦٧

الموضع الثاني: زاد في الذاريات بيان حال قوم صالح عليه السلام بقوله ﴿ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ۝ ﴾ ٣٦٨

الذاريات

تقدم من متشابهها ٣٠٩-٣٢٨-
٣٣٢-٣٦٧

النجم

تقدم من متشابهها ٣٢٠-٣٣٢

القمر

تقدم من متشابهها ٣١٦-٣٢٠-
٣٢٨-٣٣٢

الحاقة

تقدم من متشابهها ٣٣٢

الشمس

الموازنة بين المتشابه اللفظي في القصص السابقة

الوحدة–الموضع | السورة | الصفحة

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(الشعراء ١١٠)

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(الأعراف ٠٦٥)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(هود ٠٥٠-٠٥١)

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(الشعراء ١٢٤)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(الأعراف ٠٧٣)

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(هود ٠٦١)

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(الشعراء ١٤٢)

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(الأعراف ٠٨٥)

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(هود ٠٨٤)

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(الشعراء ١٧٧)

﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾(العنكبوت ٠٣٦)

قال تعالى في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ ﴾(يونس ٠٧٢)

وقال في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ ﴾(هود ٠٢٩)

وفي قصة هود عليه السلام في نفس السورة: ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ ﴾(هود ٠٥١)

وقال سبحانه في سورة الشعراء في جميع قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

٤٣٧ **الموضع الأول:** عبّر في جميع المواضع بلفظ الأجر بينما عبّر بلفظ المال في موضع واحد في قصة نوح عليه السلام في سورة هود.

٤٣٨ **الموضع الثاني:** ذكر لفظ الجلالة في قصة نوح عليه السلام في يونس وهود في قوله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ ﴾ ، مع العدول عنه إلى قوله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ ﴾ في قصة هود عليه السلام في هود، وقوله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام في الشعراء

٤٣٩ **الموضع الثالث:** عبّر بما النافية في قصة نوح عليه السلام في يونس: ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم ﴾، وفي جميع القصص في الشعراء: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ ﴾ وعبّر بلا النافية في قصتي نوح وهود عليهما السلام في سورة هود في قوله تعالى: ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ ﴾.

هود

٤٤٠ **فيها وحدة واحدة**

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة هود: :﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ﴾ (هود ٢٩) وقال في قصة هود عليه السلام في نفس السورة: :﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (هود ٥١)

٤٤٠ **موضع التشابه:** جاء قول نوح عليه السلام معطوفاً في هود: ﴿ وَيَا قَوْمِ ﴾، بينما جاء قول هود عليه السلام مستأنفاً في هود: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾

٤٤١ **الوحدة الثانية**

قال تعالى في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾(هود ٠٢٨)

وفي قصة صالحﷺ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(الشعراء ١٤٢)

وفي قصة شعيبﷺ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾(الشعراء ١٧٧)

٤٤٨ **موضع التشابه:** في سورة الشعراء وُصف نوح وهود وصالح عليهم السلام بالأخوة،

٤٤٩

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة الشعراء في قصة نوحﷺ:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ ﴾(الشعراء ١٠٨-١١٠)

وقال في قصة هودﷺ في نفس السورة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ ﴾(الشعراء ١٢٦-١٣١)

وقال في قصة صالحﷺ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الشعراء ١٤٤-١٥٠)

وقال في قصة شعيبﷺ:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾(الشعراء ١٧٩)

٤٤٩ **موضع التشابه:** في الشعراء يقول نوحﷺ ومَن بعده من الرسل لأقــوامهم: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ إلا أنها ذُكرت مرتين في قصص نوح وهود وصالح عليهم السلام، بينما ذُكرت مرة واحدة في قصة شعيبﷺ.

٤٥١ **الحاقة**

فيها وحدة واحدة

قال تعالى في قصة نوحﷺ في سورة الحاقة:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحاقة ١١-١٢)،

وقال في نفس السورة في قصة هودﷺ:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحاقة ٦-٨)

٤٥١ لم تفصّل قصة هودﷺ في الحاقة كقصة نوحﷺ،

الأعراف

المرحلة الثانية

٤٥٢

الوحدة الأولى

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة نوحﷺ : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٠)

وقال في قصة هودﷺ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى

سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(الأعراف ٠٦٦)

وفي قصة صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف ٠٧٥)

وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ ﴾(الأعراف ٠٨٨)

وقال تعالى في سورة هود في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ﴾(هود ٠٢٧)

وفي قصة هود عليه السلام:﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾(هود ٠٥٣)

وفي قصة صالح عليه السلام:﴿ قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ ﴾(هود ٠٦٢)

وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ ﴾(هود ٠٨٧)

وفي سورة المؤمنون في قصة نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ ﴾(المؤمنون ٠٢٤)

وفي قصة هود عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ ﴾(المؤمنون ٠٣٣)

وفي سورة الشعراء في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ ﴾(الشعراء ١٨٥-١٨٧)

٤٥٩

الموضع الخامس: قال تعالى في الأعراف في قصة ثمود: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وقال في الشعراء في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

٤٦٠

الموضع السادس: قال تعالى في قصة نوح عليه السلام في سورة المؤمنون: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ ، وقال في نفس السورة في قصة هود عليه السلام: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.، حيث قدم المجرور في القصة الثانية على الصفة بالكفر ولم يؤخر عنها كما ورد في قصة نوح عليه السلام.

٤٦٢

الوحدة الثانية

قال تعالى في سورة الأعراف في قصة هود عليه السلام:﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ ﴾(الأعراف ٠٦٥)

وفي قصة صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ ﴾(الأعراف ٠٧٣)

وقال قي قصة شعيب عليه السلام:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾(الأعراف ٠٨٥)

وقال تعالى في سورة هود في قصة هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ ﴾(هود ٠٥٠)

وقال في قصة صالح عليه السلام:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾(هود ٠٦١)

وقال في قصة شعيب عليه السلام: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ﴾(هود ٠٨٤)

وقال تعالى في سورة الشعراء في قصة نوح عليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(الشعراء ١٠٥)

وقال في قصة هود عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(الشعراء ١٢٣)

وقال في قصة صالح عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾(الشعراء ١٤١) وفي قصة شعيب عليه السلام: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(الشعراء ١٧٦)

وقال تعالى في سورة القمر في قصة نوح عليه السلام: ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾(القمر ٠٠٩)

وفي قصة هودﷺ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾(القمر ٠١٨)

وفي قصة صالحﷺ:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ﴾(القمر ٠٢٣)

موضع التشابه: ذُكر قوم نوحﷺ بعنوان (قوم نوح)، بينما ورد ذِكر قوم هود وصالح وشعيب عليهم السلام بألقاب عاد وثمود ومدين أو أصحاب الأيكة ٤٦٣

هود

الوحدة الأولى ٤٦٤

قال تعالى في سورة هود في قصة صالحﷺ:﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾(هود ٠٦٢)

وقال في سورة إبراهيم في قوم نوحﷺ وعاد وثمود: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾(إبراهيم ٠٠٩)

الموضع الأول: مجيء لفظ ﴿ وَإِنَّنَا ﴾ في هود، بينما جاء في إبراهيم لفظ ﴿ وَإِنَّا ﴾ ٤٦٤

الموضع الثاني: قوله في الآية الأولى:﴿ تَدْعُونَآ ﴾، وفي الثانية:﴿ تَدْعُونَنَآ ﴾. ٤٦٥

المؤمنون

الوحدة الأولى ٤٦٧

قال تعالى في المؤمنون في قصة نوح: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ ﴾(المؤمنون ٠٢٤) وقال في نفس السورة في قصة هود: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ ﴾(المؤمنون ٠٣٣)

الموضع الأول: جاء قول الملأ في المؤمنون في قصة نوحﷺ معطوفا بالفاء وفي قصة هودﷺ في نفس السورة جاء قولهم معطوفا بالواو ٤٦٧

الموضع الثاني:الزيادة على الوصف بالكفر في سورة المؤمنون في قصة هودﷺ بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ٤٦٨

الوحدة الثانية ٤٧٠

قال تعالى في سورة المؤمنون في قصة صالحﷺ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾(المؤمنون ٠٢٤)

وقال في سورة فصلت في قصة هودعليه السلام وقصة صالحعليه السلام: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا ﴾(فصلت ٠١٤)

موضع التشابه: جاء لفظ الجلالة في الآية الأولى بينما جاء لفظ الرب في الآية الثانية. ٤٧٠

الوحدة الثالثة ٤٧٢

في سورة المؤمنون في قصة نوحعليه السلام:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾(المؤمنون ٠٢٥)

وفي السورة نفسها في قصة هودعليه السلام: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(المؤمنون ٠٣٨)

موضع التشابه: اختلفت التهمة في الآيتين، فقوم نوحعليه السلام اتهموه بالجنون وعاداً اتهمت هوداًعليه السلام بالكذب والافتراء. ٤٧٢

الشعراء

الوحدة الأولى ٤٧٣

قال تعالى في سورة الشعراء في قصة صالحعليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ ﴾(الشعراء ١٥٣-١٥٤)

وقال في قصة شعيبعليه السلام في نفس السورة: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(الشعراء ١٨٥-١٨٦)

موضع التشابه: جاء إثبات حرف الواو في قصة شعيبعليه السلام في:﴿ وَمَآ أَنتَ ﴾ ، وحذفها من قصة صالحعليه السلام في قوله:﴿ مَآ أَنتَ ﴾. ٤٧٣

النجم

فيها وحدة واحدة ٤٧٨

ذكر تعالى قصتي عاد وثمود في سورة النجم بقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ ﴾(النجم ٠٥٠-٠٥٣)

وذكرهما في سورة الحاقة بقوله: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾(الحاقة ٤-٦)

موضع التشابه: قدّم تعالى ذِكر عاد في موضع سورة النجم وأخّر ذِكر ثمود، بينما قدّم ذكر ثمود في موضع سورة الحاقة وأخّر ذكر عاد. ٤٧٨

قال في قصة صالحعليه السلام في سورة النمل: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(النمل ٠٥٢)

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام في سورة العنكبوت: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(العنكبوت ٠١٥)

الموضع الأول: كانت الآية في قصة نوحعليه السلام للعالمين، بينما كانت في قصة صالحعليه السلام لقوم يعلمون. ٤٩٦

الموضع الثاني: في قصة نوحعليه السلام جعل النجاة ومتعلقاتها آية، وفي قصة صالحعليه السلام جعل الهلاك ومتعلقاته آية. ٤٩٧

القمر

فيها وحدة واحدة ٤٩٩

قال تعالى في قصة نوحعليه السلام: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾(القمر ٠١٦)

وفي قصة هودعليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾(القمر 18-٢١)

وقال في قصة صالحعليه السلام:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾(القمر ٠٢٣-٠٣١)

موضع التشابه: وردت عبارة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ مرةً واحدةً في نهاية قصتي نوح وصالح عليهما السلام بعد حكاية نزول العذاب، بينما وردت مرتين في أول قصة هودعليه السلام وآخرها. ٤٩٩

فهرس الآيات المستشهد بها

يوسف

سورة طه

الأنبياء

الحج

المؤمنون

الفرقان

الشعراء

النجم

القمر

الرحمن

المطففين

الانشقاق

البروج

الفجر

الشمس

العاديات

الإخلاص

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المراجع

١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن حسن بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١٩٧٨م

٢- ابن قيم الجوزية جهوده في التفسير اللغوي: د. طاهر سليمان حمودة، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط ١٣٩٦هـ

٣-الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق:سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ

٤- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد محمد بن علي، تحقيق: أحمد شاكر، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود محمد بن محمد العمادي، مراجعة:حسن أحمد مرعي، محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.ط٤، ١٤١٤هـ

٦- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، لبنان، ط١٣٩٩هـ

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت - ط١، ١٤١٢هـ

٨- أسرار التكرار في القرآن، تأليف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام - القاهرة -ط٢، ١٣٩٦هـ،

٩- أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: د.فخر صالح قدارة. دار الجيل، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ

١٠- أسرار ترتيب القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة،

١١-أسماء الكتب: عبد اللطيف بن محمد رياضي زادة، تحقيق: د. محمد التونجي، دار الفكر - دمشق - ط٣، ١٤٠٣هـ

١٢- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت - ط١، ١٤١٢ هـ

١٣- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ

١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١٤١٥هـ

١٥-الإعجاز البلاغي في القرآن: محمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ

١٦-الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره: د.محمد أحمد القاسم،دار المطبوعات الدولية، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ

١٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، راجعه:الأستاذة نجوى عباس، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ

١٨-إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت - ط٣، ١٤٠٩هـ

١٩- الأعلام: خير الدين الزركلي، مصدره: موقع يعسوب، ترقيمه موافق للمطبوع (الموسوعة العالمية العربية)

٢٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت - ط ١٩٧٣م

٢١- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤١١هـ

٢٢- الإكمال لرجال أحمد: أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الشافعي.

٢٣- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: أدورد فنديك، دار صادر - بيروت - ط ١٨٩٦م

٢٤-الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط١، ١٤٠٧هـ

٢٥-الأمثال في القرآن الكريم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم محمد ،مكتبة الصحابة،مصر -ط١، ١٤٠٦هـ،

٢٦-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر، دمشق،

٢٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٢٨-الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت،ط٤، ١٤١٩هـ

٢٩-البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٠-البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين الزركشي، تحرير: د.عمر الأشقر، وزارة الشئون الإسلامية، الكويت، ط٢، ١٤١٣هـ

٣١-بحر العلوم (تفسير السمرقندي): أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت،

٣٢-البداية والنهائية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف - بيروت،ط١، ١٩٦٦م

٣٣-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٨هـ

٣٤-بدائع الفوائد: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: هشام عطا وآخرون. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة،ط١، ١٤١٦هـ

٣٥-البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب،مكتبة الوفاء - المنصورة - مصر - ط٤، ١٤١٨هـ

٣٦–البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد خلف الله، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ

٣٧–البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة،بيروت، ط١٣٩١هـ،

٣٨–بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد علي النجار، عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٩–بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر،ط٢، ١٣٩٩هـ

٤٠–البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ

٤١–بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط٣، ١٤٢٦هـ

٤٢–البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت –ط١، ١٤٠٧

٤٣–البيان في عد آي القرآن: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد. مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ

٤٤–تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤٥–التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

٤٦–تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٧–تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان ،عالم الكتب – بيروت – ط٣، ١٤٠١هـ

٤٨–تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر – ط١، ١٣٧١هـ

٤٩–تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر – بيروت – ط ١٩٩٥م،

٥٠–تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، ط٣، ١٣٩٣هـ

٥١–التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر – ط١، ١٤١٢هـ–

٥٢–التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مكتبة رحاب المعرفة، وقف إبراهيم محمد ياسين محلاوي الجهني، المدينة المنورة.

٥٣–التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، طبعة جديدة منقحة، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٤–التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ.

٥٥–التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ

٥٦–التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط٤، ١٤٢٧هـ

٥٧–التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت – ط١، ١٤٠٥هـ

٥٨–تذكرة الأريب في تفسير الغريب: أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف ، الرياض، ط١٤٠٧هـ

٥٩–تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١

٦٠–تفسير الجلالين: محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط١

٦١–تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢

٦٢–تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٠١هـ.

٦٣–التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ

٦٤–تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط ١٤٠٨هـ

٦٥–تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا،ط١، ١٤٠٦هـ

٦٦–التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد، كلية الآداب، الرباط، ط١٩٩٢م

٦٧–تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

٦٨–تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ

٦٩–تهذيب الكمال: أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ

٧٠–تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١، ٢٠٠١م،

٧١–التوقيف على مهمات التعاريف: الشيخ عبد الرؤوف بن محمد المناوي، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دارالفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ

٧٢–تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ١٤٢١هـ

٧٣–الثقات: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.دار الفكر،ط١، ١٣٩٥هـ

٧٤–جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٥هـ.

٧٥–الجامع الصحيح سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،.

٧٦–الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه(صحيح البخاري): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت،ط٣، ١٤٠٧هـ

٧٧-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
٧٨-الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.فخر الدين قباوة. ط٥، ١٤١٦هـ
٧٩-جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم – بيروت،
٨٠-جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م،
٨١-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٨٢-حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي: محيي الدين شيخ زاده، المكتبة الإسلامية، تركيا،
٨٣-حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الشيخ أحمد الصاوي المالكي، دار الفكر، ط١٣٩٢هـ.
٨٤-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط ١٤١٨هـ
٨٥-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ
٨٦-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٩٩٨م،
٨٤-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد ضان. مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند،ط٢، ١٣٩٢هـ
٨٥-الدر المنثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت،ط ١٩٩٣م.
٨٦-دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل: د.محمد فاضل السامرائي، دار عمار، ط١، ١٤٢٦هـ
٨٧-درة التنزيل وغرة التأويل: محمد بن عبد الله الأصبهاني الإسكافي، تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين، مطبوعات جامعة أم القرى،ط١، ١٤٢٢هـ
٨٨-دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الجليند. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ،
٨٩-دلائل الإعجاز: الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. التنجي. دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ
٩٠- دلالة السياق: د. ردة الله الطلحي، معهد البحوث بجامعة أم القرى،مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ
٩١-دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق: د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار، القاهرة ط١، ١٤١١هـ
٩٢-دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير: أ.عبد الحكيم القاسم، إشراف:د.حسن محمد عبد العزيز.
٩٣-دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دائرة المكتبات والوثائق المدنية، عمّان. ط١، ١٤٠٩هـ،

٩٤-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي المـــالكي، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت.

٩٥-ديوان الحماسة لأبي تمام: أبو زكريا يحي بن علي التبريزي الشهير بالخطيب، دار القلم - بيروت

٩٦-ديوان امرؤ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٧هـــ

٩٧-الرسالة: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر،القاهرة، ط ١٣٥٨هــ،

٩٨-رسالة بناء المعاني وعلاقاتها في سورة الأعراف: د. عواطف حمزة خياط، إشراف: د. محمد أبـــو موسى، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـــ

٩٩-رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى‍ﷺ: فهد الشتوي، إشـــراف: د.محمد بازمول. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـــ

١٠٠-رسالة المتشابه اللفظي في القرآن: د.فائقة حسن الحسني. إشراف: د. أمين باشا، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـــ

١٠١-رسالة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: د.صالح بن عبد الله الشثري، إشراف: د.محمد أبو موسى. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـــ

١٠٢-رسالة متشابه النظم في قصص القرآن الكريم، مقارنة وتحليل: د. عبد الغني عوض الراجحـــي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، الجامعة الأزهرية.

١٠٣-الروض الريان في أسئلة القرآن: الحسين بن سليمان بن ريان، تحقيق: عبد الحلـــيم بـــن محمـــد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.ط١، ١٤١٥هـــ

١٠٤-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،العلامة أبو الفضل محمـــود الألوســـي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٥-زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٣، ١٤٠٤هــ،

١٠٦-سر الفصاحة: الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتـــب العلمية - بيروت - ط١ ، ١٤٠٢هـــ

١٠٧-سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم - دمشـــق - ط١، ١٤٠٥هـــ

١٠٨-سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكـــر - بيروت ،

١٠٩-سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمـــد عبـــد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ط ١٤١٤هـــ ،

١١٠-سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت - ط ١٣٨٦هـــ

١١١-سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنـــداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـــ.

١١٢-سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون.مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هــ،

١١٣–شذى العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط١٨، ١٣٩١هـ

١١٤–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – سوريا – ط ١٤٠٥هـ ،

١١٥–شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢، ١٣٩٢هـ

١١٦–شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني. دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٠هـ

١١٧–الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د.عمر الطباع، مكتبة المعارف، ط١٤١٤هـ

١١٨–صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان: أبو حاتم محمد ين حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ،

١١٩–صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٣٧٤هـ

١٢٠–صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت – ط٢، ١٣٩٩هـ

١٢١–صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٢٢–الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض – ط٣، ١٤١٨هـ

١٢٣–طبقات الحفاظ: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٣هـ،

١٢٤–طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٣٥٠هـ

١٢٥–طبقات الشافعية: أبو بكر أحمد بن محمد بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان. عالم الكتب، بيروت،ط١، ١٤٠٧هـ

١٢٦–طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط٢، ١٤١٣هـ

١٢٧–طبقات الفقهاء: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: خليل الميس. دار القلم، بيروت،

١٢٨–طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ،

١٢٩–طبقات المفسرين: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر. مكتبة وهبة، القاهرة،ط١، ١٣٩٦هـ،

١٣٠–علل النحو: أبو الحسن محمد الوراق، تحقيق: محمود جاسم الدرويش. مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤٢٠هـ

١٣١–علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم: صالح السليمان المحمد العمري، ط١، ١٤٠٥هـ

١٣٢–عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ

١٣٣–عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب):شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت،

١٣٤–العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، بيروت،

١٣٥–غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود الكرماني، تحقيق: د.شمران العجلي. دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ،

١٣٦–الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل): سليمان بن عمر العجيلي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر.

١٣٧–فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت،

١٣٨–فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن علامة، مطبعة العاصمة، القاهرة.

١٣٩–فتح الرحمن كشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحي زكريا الأنصاري، تحقيق: الشيخ محمد بن علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٤٠–فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

١٤١–الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت –ط٢، ١٩٧٧م

١٤٢–الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير – عمان – ط١، ١٤١٠هـ

١٤٣–فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ

١٤٤–فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار العربي الإسلامي – بيروت – ط٢، ١٤٠٢هـ

١٤٥– الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة – بيروت – ط ١٣٩٨هـ

١٤٦–القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط٥، ١٤١٦هـ

١٤٧–القصة في القرآن: محمد قطب، دار قباء، القاهرة، ط ٢٠٠٢م

١٤٨– القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن، ط١

١٤٩–قطف الأزهار في الأخبار المتواترة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ

١٥٠–قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (الناسخ والمنسوخ للكرمي): مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن. دار القرآن الكريم، الكويت، ط١٤٠٠هـ،

١٥١–قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجـددي البركتـي، الصـدف ببلشـرز – كراتشـي – ط١، ١٤٠٧هـ،

١٥٢–الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤١٣هـ،

١٥٣–الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة): أبو بكر عبد الله بن أبـي شـيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض،ط١، ١٤٠٩هـ،

١٥٤–كتاب سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيـل، بيروت، ط١،

١٥٥–كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرانـي أبـو العبـاس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، مكتبة ابن تيمية، ط٢،

١٥٦–الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمـود الزمخشـري، تحقيق:عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي، بيروت،

١٥٧–كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفـي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط ١٤١٣هـ

١٥٨–الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): أبو إسحاق أحمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

١٥٩–كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين محمد بن جماعة، تحقيق: د.عبد الجواد خلـف، ط١ ١٤١٠هـ

١٦٠–الكليات في اللغة والاصطلاح: أبو البقاء الكفوي، إعداد: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة ط١، ١٤١٢هـ،

١٦١–اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: الشيخ عادل عبـد الموجـود، والشيخ علي معوض وآخرون. دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٩هـ

١٦٢–لباب النقول في أسباب النزول: جلال الـدين عبـد الـرحمن السـيوطي، دار إحيـاء العلـوم، بيروت.ط١٩٧٨م

١٦٣–لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ

١٦٤–لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، الهند. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،ط٣، ١٤٠٦هـ

١٦٥–المتشابه: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، مطبعة الحكومة، بغداد، ط ١٩٦٧م

١٦٦–متشابه القرآن العظيم: أحمد بن جعفر بن المنادي، تحقيق: د. عبد الله الغنيمـان، نشـر الجامعـة الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ

١٦٧–مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق:د.محمد فؤاد سزكين، دار الفكر، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ

١٦٨–المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبـي حـاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب – ط١، ١٣٩٦هـ

١٦٩–مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية: مكتبة شرف الدين الكتبي، الهند، ط ١٣٧٤هـ

١٧٠-المحتسب: عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: دار مزكين، اسطنبول، ط٢، ١٤٠٦هـ

١٧١-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق:عبد السلام محمد ، دار الكتب العلمية، لبنان،ط١، ١٤١٣هـ

١٧٢-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١٤١٥هـ،

١٧٣-مختصر في شواذ القرآن: ابن خالويه، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٤م

١٧٤-المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤١١هـ

١٧٥-مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر

١٧٦-مسند ابن حميد: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة – ط١، ١٤٠٨

١٧٧-مصاعد النظر لإشراف على مقاصد السور: برهان الدين إبراهيم البقاعي، تحقيق: د.عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ

١٧٨-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت

١٧٩-المصنف (مصنف عبد الرزاق): أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤٠٣هـ

١٨٠- المطول شرح تلخيص المفتاح: العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ

١٨١-معارج التفكر ودقائق التدبر: د.عبد الرحمن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٨٢-معالم التنزيل (تفسير البغوي): أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك وآخرون، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ

١٨٣-معاني القرآن وإعرابه: الزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ،

١٨٤-معاني القرآن: محمد بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م

١٨٥-معاني النحو: د: فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي بالموصل، ودار الحكمة للطباعة والنشر.

١٨٦-معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ

١٨٧-المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء – الموصل – ط٢، ١٤٠٤هـ

١٨٨-معجم الأدباء: أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١١هـ

١٨٩-معجم الأفعال المتعدية بحرف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م

١٩٠–معجم المحدثين: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: د.محمد الحبيب الهيلة. مكتبة الصديق، الطائف،ط١، ١٤٠٨هـ

١٩١–معجم المطبوعات: مصدره: موقع يعسوب، ترقيمه موافق للمطبوع.(الموسوعة العالمية العربية)

١٩٢–معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت – ط٢، ١٤٢٠هـ

١٩٣–معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: بشار معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ،

١٩٤– المعنى بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية في قصة محمد بن المؤمل للجاحظ: د. محمد عبد الحفيظ العريان، ط١ ،١٤١٤هـ

١٩٥–المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني دار المعرفة – لبنان،

١٩٦–مفردات غريب القرآن، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني. دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ،

١٩٧–المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: د.علي بو ملحم. مكتبة الهلال، بيروت،ط١، ١٩٩٣م

١٩٨–المقتضب: أبو العباس محمد بن المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب، بيروت،

١٩٩–ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي. بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ

٢٠٠–مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر – لبنان – ط١، ١٤١٦هـ–

٢٠١–المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد القاسم السجلماسي، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠١هـ

٢٠٢–المنفردات والوحدان: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: عبد الغفار البنداري. دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤٠٨هـ

٢٠٣–من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين: آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام:أ.د:فؤاد محمود سندي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ

٢٠٤–منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية،ط٢، ١٤٠٩هـ

٢٠٥–النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن:د. محمد عبد الله دراز، تحقيق:عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، دار الثقافة، الدوحة، ط ١٤٠٥هـ

٢٠٦–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند،ط١، ١٤٠٢هـ

٢٠٧–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.ط٢، ١٤١٣هـ

٢٠٨–الناسخ والمنسوخ: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد. مكتبة الفلاح، الكويت،ط١، ١٤٠٨هـ

٢٠٩-الناسخ والمنسوخ: هبة الله بن سلامة المقري، تحقيق: زهيـــر الشـــاويش، المكتـــب الإســـلامي، بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ

٢١٠-نتائج الفكر:أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق:د.محمد بـــن إبـــراهيم البنـــا، دار الريـــاض، الرياض.

٢١١-النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمـــد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ط ١٣٩٩هـ

٢١٢-نهاية الإيجاز في علم البيان: فخر الدين محمد بن عمر الرازي.

٢١٣-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: مصطفى بن عبد الله الرومي، دار الكتب العلميـــة، بيروت،ط ١٤١٣هـ.

٢١٤-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبـــد الحميـــد هنداوي. المكتبة التوفيقية، مصر،

٢١٥-الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت - ط ١٤٢٠هـ

٢١٦-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة، لبنان،

فهرس المحتويات

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، دراسة نظرية تطبيقية.

خطة البحث: تضمن البحث مقدمة وقسمين وخاتمة، أما **المقدمة** فقد احتوت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والصعوبات التي واجهتني فيه، وخطة الموضوع.

وأما القسم الأول: فقد اشتمل على فصلين، **الفصل الأول:** تحدثت فيه عن المتشابه اللفظي في القرآن، واشتمل على مبحثين، **المبحث الأول:** اشتمل على تعريف المتشابه اللفظي، لغة واصطلاحا، ومعناه والمراد به في القرآن، **والمبحث الثاني:** اشتمل على أهمية علم المتشابه اللفظي وفوائده، **والفصل الثاني:** تحدثت فيه عن السياق واشتمل على أربعة مباحث، **المبحث الأول:** اشتمل على تعريف السياق لغة واصطلاحا،ومعنى دلالة السياق، **والمبحث الثاني:** اشتمل على أصل القول بالسياق من سنة المصطفىﷺ وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، **والمبحث الثالث:** اشتمل على عناية العلماء بالسياق وأهميته، **والمبحث الرابع:** اشتمل على أركان السياق وأنواعه، أما **القسم الثاني** من البحث فقد اشتمل على:

المتشابه اللفظي في قصة نوح﵇، والمتشابه اللفظي في قصة هود﵇، والمتشابه اللفظي في قصة صالح﵇، والمتشابه اللفظي في قصة شعيب﵇، **كما اشتمل** على موازنة للمتشابه اللفظي في القصص الأربعة السابقة.

وأما **الخاتمة** فقد توصلت فيها إلى نتائج، أهمها:

١- أن السياق القرآني أحد أعمدة الترجيح الأساسية في منهجية التفسير، وهو يضبط فهم المُتلقي.

٢-من فوائد السياق توجيه المتشابه اللفظي وبيان الفروق الدقيقة بين الآيات.

٣-أن المتشابه اللفظي من أعظم دلائل إعجاز القرآن، فالتشابه بين كلمات القرآن قد أبرز أسراراً عظيمة وحِكماً عجيبة.

٤- عناية علماء المتشابه بالسياق، فربطوا الآيات بما سبقها ولحقها، وكثيراً ما نظروا إلى سياق السورة لتوجيه المتشابه.

٥-تبين لي من خلال الدراسة التطبيقية أهمية التأصيل الصحيح لمسائل العلم.

وصلى اله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اسم الطالبة: تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث **المرحلة:** الماجستير